

الالف  
كتاب  
٢٠١

# رحلات ماركو بولو

الجزء الأول



ترجم إلى الإنجليزية: وليام مارسدن

ترجم إلى العربية: عبد العزيز جاويد



الهيئة المصرية العامة للكتاب





رخلایت مایر کو بولو

# الألفا كتاب الثاني

الإشراف العام  
و. سمير سرحان  
رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير

لمسعى المطبعي

مدير التحرير

أحمد صليحة

الإشراف الفني

محمد قطب

الإخراج الفني

لمساء محرم



مكتبة  
شيخ المترجمين  
عبد العزيز توفيق جاويد

# رحلات ماركو بولو

الجزء الأول

ترجمها إلى الإنجليزية  
وليم مارسدن

ترجمها إلى العربية  
عبد العزيز جاويد

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥







## الفهرس

الصفحة	الموضوع
١١	مقدمة الطبعة العربية الثانية
١٥	مقدمة
٢٥	التعريف بطبعات الكتاب
٢٧	وصف الرحلات
٣١	تمهيد
٣٣	الفصل الأول
٤٨	الفصل الثاني
٥٠	الفصل الثالث
٥١	الفصل الرابع
٥٣	الفصل الخامس
٥٦	الفصل السادس
٥٨	الفصل السابع
٥٩	الفصل الثامن
٦٤	الفصل التاسع
٦٦	الفصل العاشر
٦٧	الفصل الحادي عشر
٦٩	الفصل الثاني عشر
٧٢	الفصل الثالث عشر
٧٣	الفصل الرابع عشر
٧٥	الفصل الخامس عشر
٧٨	الفصل السادس عشر
٨١	الفصل السابع عشر
٨٢	الفصل الثامن عشر



٩٥	• • • • •	الفصل التاسع عشر
٨٦	• • • • •	الفصل العشرون
٨٧	• • • • •	الفصل الحادى والعشرون
٨٩	• • • • •	الفصل الثانى والعشرون
٩٣	• • • • •	الفصل الثالث والعشرون
٨٤	• • • • •	الفصل الرابع والعشرون
٩٦	• • • • •	الفصل الخامس والعشرون
٩٧	• • • • •	الفصل السادس والعشرون
١٠١	• • • • •	الفصل السابع والعشرون
١٠٢	• • • • •	الفصل الثامن والعشرون
١٠٤	• • • • •	الفصل التاسع والعشرون
١٠٦	• • • • •	الفصل الثلاثون
١٠٧	• • • • •	الفصل الحادى والثلاثون
١٠٩	• • • • •	الفصل الثانى والثلاثون
١١٠	• • • • •	الفصل الثالث والثلاثون
١١١	• • • • •	الفصل الرابع والثلاثون
١١٢	• • • • •	الفصل الخامس والثلاثون
١١٤	• • • • •	الفصل السادس والثلاثون
١١٧	• • • • •	الفصل السابع والثلاثون
١٢١	• • • • •	الفصل الثامن والثلاثون
١٢٤	• • • • •	الفصل التاسع والثلاثون
١٢٦	• • • • •	الفصل الأربعون
١٢٧	• • • • •	الفصل الحادى والأربعون
١٢٩	• • • • •	الفصل الثانى والأربعون
١٣٠	• • • • •	الفصل الثالث والأربعون
١٣١	• • • • •	الفصل الرابع والأربعون
١٣٣	• • • • •	الفصل الخامس والأربعون
١٣٦	• • • • •	الفصل السادس والأربعون



الموضوع	الصفحة
الفصل السابع والأربعون	١٣٨
الفصل الثامن والأربعون	١٤١
الفصل التاسع والأربعون	١٤٣
الفصل الخمسون	١٤٦
الفصل الحادى والخمسون	١٤٨
الفصل الثانى والخمسون	١٥٠
الفصل الثالث والخمسون	١٥٣
الفصل الرابع والخمسون	١٥٤
الفصل الخامس والخمسون	١٥٦
الفصل السادس والخمسون	١٥٨
الفصل السابع والخمسون	١٦٠
هوامش الفصل الاول	١٦٧
هوامش الفصل الثانى	١٨٤
هوامش الفصل الثالث	١٨٦
هوامش الفصل الرابع	١٨٨
هوامش الفصل الخامس	١٩١
هوامش الفصل السادس	١٩٥
هوامش الفصل السابع	١٩٧
هوامش الفصل الثامن	١٩٩
هوامش الفصل التاسع	٢٠٠
هوامش الفصل العاشر	٢٠٢
هوامش الفصل الحادى عشر	٢٠٣
هوامش الفصل الثانى عشر	٢٠٤
هوامش الفصل الثالث عشر	٢٠٨
هوامش الفصل الرابع عشر	٢٠٩
هوامش الفصل الخامس عشر	٢١١
هوامش الفصل السادس عشر	٢١٧
هوامش الفصل السابع عشر	٢٢١



٢٢٣	• • • • •	هوامش الفصل التاسع عشر
٢٢٥	• • • • •	هوامش الفصل العشرين
٢٢٦	• • • • •	هوامش الفصل الحادى والعشرين
٢٢٨	• • • • •	هوامش الفصل الثانى والعشرين
٢٣١	• • • • •	هوامش الفصل الثالث والعشرين
٢٣٣	• • • • •	هوامش الفصل الرابع والعشرين
٢٣٥	• • • • •	هوامش الفصل الخامس والعشرين
٢٣٦	• • • • •	هوامش الفصل السادس والعشرين
٢٣٩	• • • • •	هوامش الفصل السابع والعشرين
٢٤١	• • • • •	هوامش الفصل الثامن والعشرين
٢٤٤	• • • • •	هوامش الفصل التاسع والعشرين
٢٤٦	• • • • •	هوامش الفصل الثلاثين
٢٤٧	• • • • •	هوامش الفصل الحادى والثلاثين
٢٤٩	• • • • •	هوامش الفصل الثانى والثلاثين
٢٥٠	• • • • •	هوامش الفصل الثالث والثلاثين
٢٥١	• • • • •	هوامش الفصل الرابع والثلاثين
٢٥٣	• • • • •	هوامش الفصل الخامس والثلاثين
٢٥٤	• • • • •	هوامش الفصل السادس والثلاثين
٢٥٦	• • • • •	هوامش الفصل السابع والثلاثين
	• • • • •	هوامش الفصل الثامن والثلاثين
٢٦٢	• • • • •	هوامش الفصل التاسع والثلاثين
٢٦٤	• • • • •	هوامش الفصل الأربعين
٢٦٥	• • • • •	هوامش الفصل الحادى والأربعين
٢٦٨	• • • • •	هوامش الفصل الثانى والأربعين
٢٦٩	• • • • •	هوامش الفصل الثالث والأربعين
٢٧٠	• • • • •	هوامش الفصل الرابع والأربعين
٢٧٢	• • • • •	هوامش الفصل الخامس والأربعين
٢٧٤	• • • • •	هوامش الفصل السادس والأربعين



الموضوع	الصفحة
هوامش الفصل السابع والأربعين	٢٧٨
هوامش الفصل الثامن والأربعين	٢٨٢
هوامش الفصل التاسع والأربعين	٢٨٤
هوامش الفصل الخمسين	٢٨٦
هوامش الفصل الحادي والخمسين	٢٨٨
هوامش الفصل الثاني والخمسين	٢٩٠
هوامش الفصل الثالث والخمسين	٢٩٤
هوامش الفصل الرابع والخمسين	٢٩٥
هوامش الفصل الخامس والخمسين	٢٩٧
هوامش الفصل السادس والخمسين	٢٩٩
هوامش الفصل السابع والخمسين	٣٠٠







## مقدمة الطبعة العربية الثانية

الرحلة من أجمل المتعات ، فيها يستمتع الجسم بالحركة والعين بالمناظر الجديدة جميلها وخبيثها والعقل بالخبرة والمعرفة والمشاهدة ، فان لم تيسر الرحلة ففي كتب الرحالين متعة أى متعة ولكنها تحمل أرج الماضي ورفيف مالا يمكن مشاهدته ان كان قديما ، ومالا يتيسر الالمام به ان كان بعيدا . من هنا أقبل الناس على الرحلات عملا وقراءة ، فالسعادة فى الحالين واحدة ، وما أعظم العرب وأوسع عقلياتهم حين أقبل ابن جبير وابن بطوطة يسرحان فى الدنيا ويدونان ما يشاهدان من أنماط الأخلاق المعجبة وغرائب العادات غير المألوفة وأنواع السلوك وطرائق الحياة والأطعمة والملبس ! كانوا رجالا بلغوا من توقد الذكاء الغاية والنهاية ومن دقة الملاحظة ما لا حد له ولا نزال نطالعهم بين القدماء ونترقب كل حديث من صفوفهم مثل محمد ثابت وأنيس منصور فنلتهم ما سطره التهاما .

وماركو بولو يأخذ بأعنة جيادنا فى قرون المغول الأولى ، ويتولج بنا فى أرض الروم والروس والترك حتى يدق أبواب الصين . وهناك يدخل على الامبراطور ولا يزال واقفا بين يديه يلهينا بأفانين سحره وحسن تصويره ، فهو الفاتح الثقافى للصين أمام عقليتنا المتوثبة المتعطشة لكل



جديد . ان ماركو بولو هو فاتح بلاد الصين وليست البارجة الأوروبية ، لأنه على عكس الاستعمار أدخلنا دخلة حميدة ، وأنزلنا بين ظهرائى الشعب نؤاكلة ونعايشه ونماشيه ، وأجلسنا الى جوار الامبراطور وفى قصره الفاخر وسرادقه الضخم المترامى المصنوع من الفراء الثمين . يالها معرفة حميمة وصداقة وثيقة وأخوة فى الانسانية والحضارة والمدنية ! .

لقد منح المرحوم الأستاذ صلاح عبد الصبور ( رئيس هيئة الكتاب الأسبق ) العربية منحة جميلة حين كلفنى بنقل هذا الكتاب الى العربية ، وتجاوز فيه كل الروتين المتعجر ، فلا فاحص لفحص صلاحية الكتاب للترجمة ، حيث قال رحمه الله وهو المثقف القدير حين عرضت عليه ترجمة الكتاب وعجبت أنه لم يعله الى فاحص : « وهل يحتاج ماركو بولو الى فاحص ؟ ! » .

ومن المعلوم أن ماركو بولو ( ١٢٥٤ - ١٣٢٤ ) رحالة بندقى ، ولد من عائلة نبيلة ، وكان والده وعمه غائبين ساعة مولده فى مهمة تجارية فى بلاد الصين ، حيث طلب منهما قوبلاى خان العودة اليه . فعادا اليه ١٢٧١ آخذين معهما مازكو فساقرأ بطريق الموصل ، بغداد ، وخراسان والبامير ، وكشغر وقرقند وخوشان ولوينور وصحراء جوبى وتاتجوت وشانجتو ، وبلغوا بلاط الخان فى ١٢٧٥ ، وأرسل الخان ماركو مبعوثا الى يوشان ، وبورما وقره قورم وكوشين صين والهند ، وظل ثلاث سنوات يعمل حاكما ليانجتشو . وأخيرا غابرت الأشربة بلاد الصين فى حاشية أميرة مغولية ، وعادوا بطريق سومطرة والهند وفارس الى البندقية وبلغوها فى ١٢٩٥ . وأصبح ماركو فى ١٢٩٨ ربانا لسفينة فى الأسطول الموجه على جنوا ، وأخذ أسيرا بعد هزيمة البندقية فى جورزولا . وبينما هو فى أسره أملى بيانا عن أسفاره على روستيكياتو من بيزا ، وترجم هذا العمل الى لغات كثيرة



ونشره في انجلترا مارسدن (١٨١٨) و ت . رايت (١٨٣٤)  
و . مواري (١٨٤٤) والسير يول (١٨٧١) ثم راجعه  
وزاد فيه كورديار (١٩٠٣) ، كما راجعه مارسدن مكتبة  
افريمان .

وقد أسعدني حقا أن تعيد هيئة الكتاب طبع هذا الكتاب  
الذي أترك للقارئ الحكم على قدره بعد مطالعته اياه .

**عبد العزيز توفيق جاويد**

**مصر الجديدة**

**نوفمبر ١٩٩٤**







## مقدمة

ولد ماركو بولو ، موضوع هذه المذكرات ، بمدينة البندقية (فينيسيا) فى عام ١٩٥٤ . وكان ابنا لنيقولو بولو ، وهو من أبناء العائلات النبيلة بتلك المدينة ، وكان شريكا بأحد البيوت التجارية ، المشتغلة بالتجارة مع القسطنطينية . وفى عام ١٢٦٠ خرج نيقولو بولو هذا بصحبة شريكه الأصغر وهو شقيقه مافيو ، وعبر البوكسين ( البحر الأسود ) فى مغامرة تجارية الى بلاد القرم .

فتكللت مغامرتهما بالنجاح ، ولكنهما لم يتمكنوا من العودة الى قاعدتهما بسبب نشوب حرب أشبها التتار على الطريق الذى جاءا منه ، ونظرا لأنهما لم يستطيعا العودة مضيا الى الأمام ، مجتازين الصحراء المؤدية الى بخارى فأقاما بها ثلاث سنوات . وفى نهاية السنة الثالثة ( وهى الخامسة فى رحلتهم ) - أشار عليهما بعضهم بزيارة الخان الأعظم قبلاى ، « وهو قبلاى خان » الذى ورد اسمه فى قصيدة كولريدج . وكان فريق من مبعوثى الخان الأعظم على وشك العودة الى كاثاى ، ومن ثم انضم الشقيقان الى تلك الجماعة ، فسارا قدما فى رحلتهم « شمالا ثم شمالا بشرق » أمد عام كامل ، قبل الوصول الى بلاط الخان بمدينة كاثاى وأحسن الخان استقبالهما ووجه اليهما أسئلة كثيرة عن الحياة فى أوروبا ، وبخاصة عن الأباطرة والبابا والكنيسة و « جميع ما يجرى فى روما » . ثم أرسلهما الخان بعد ذلك الى أوروبا فى سفارة الى البابا ، ليطلبوا من قداسته مائة « مبشر ليدخلوا أهل كاثاى فى دين المسيحية » . كما طلب كذلك شيئا من الزيت



المقدس من قنديل الناوروس المقدس . واستغرقت رحلة عودة الشقيقين ( من كاثاي الى عكا ) ثلاث سنوات . وعند وصول الرحالتين الى عكا تبينا أن البابا قد مات . فقررا بناء على ذلك العودة الى وطنيهما البندقية ، لكي ينتظرا هناك حتى يتم انتخاب البابا الجديد فوصلا الى البندقية في ١٢٦٩ ، ليجدا أن زوجة نيقولو توفيت أثناء غيبة زوجها وكان ابنه ماركو - رحالتنا - يناهز آنذاك الخامسة عشرة ولعله أمضى طفولته بمنزل أحد أخواله بالبندقية .

أقام نيقولو ومافيو بولو بالبندقية حولين كاملين ، ينتظران أن ينتخب للكنيسة بابا . ولكن لما لم تبد أية بارقة لذلك ، عولا على العودة الى الخان الأعظم ليخبراه - وقد أعذرا - كيف أن بعثتهما أخفقت فانطلقا تبعا لذلك ثانية ( في ١٢٧١ ) وفي صحبتهما ماركو ، وقد بلغ آنذاك السابعة عشرة . وحصلا في عكا على خطاب من مندوب بابوى يوضح كيف حدث أن الرسالة لم يتهيا لها أن تسلم . وحصلا فعلا على بعض من الزيت المقدس ، وبذا صار في امكانهما المضي في رحلتهم . ولكنهما لم يكادا يمضيان غير بعيد في رحلتهم حتى استدعاهما الى عكا ثانية المندوب البابوى السورى سالف الذكر ، الذى سمع من فوره أنه انتخب بابا . على أن البابا الجديد لم يرسل مائة من المرسلين ( المبشرين ) كما طلب قبلاى ، بل عين بدلا من ذلك راهبين من الوعاظ وصحبا آل بولو حتى أرمينية ، حيث سمعا بشائعات عن الحرب فعادا أدراجهما فرقا وواصل آل بولو رحلتهم مدة ثلاث سنوات ونصف ، حتى بلغوا بلاط الخان ( من شانجتو ، غير بعيد من بيكين ) - فى منتصف عام ١٢٧٥ واستقبلهم الخان « بالتكريم والتلطف » وبالف فى الحفاوة بماركو ، الذى كان آنذاك « شابا فتيا » ولم يمض زمن طويل تعلم فيه ماركو لغة التتار وعاداتهم حتى استخدمه الخان فى الوظائف العامة ، حيث أرسله مديرا زائرا لعدة ولايات



همجية نائية ولاحظ ماركو ببالغ العناية العادات العجيبة لتلك الولايات ، وأبهج صدر الخان بما رواه له عنها . ولعل ماركو زار في إحدى تلك الرحلات بعض الولايات الجنوبية ببلاد الهند . وبعد انقضاء ما يقرب من سبعة عشر عاما قضوها مكرمين في خدمة قبلاى ، أخذ الحنين الى العودة الى البندقية يغالب البنادقة الثلاثة .

فلقد صاروا من الأثرياء ، وأصبح قبلاى شيخا هرما ، وكانوا يدركون ان وفاة قبلاى ، ربما أدت الى حرمانهم من جميع تلك المساعدات العامة التى كانوا يتوقعون بها وحدها التغلب على مالا حصر له من الصعوبات التى ستواجههم فى أثناء رحلة العودة الطويلة . بيد أن قبلاى أبى أن يسمح لهم بمغادرة البلاط ، بل لقد « بدا عليه الاستياء من ذلك الطلب » . على أنه تصادف فى ذلك الحين أن أرغون خان فارس أرسل سفراءه الى قبلاى ليخطبوا له إحدى الفتيات « من بين أقرباء زوجته المتوفاة ، وكانت الفتاة ، وهى غانية بارعة الجمال فى السابعة عشرة من عمرها ، على وشك مرافقة السفراء الى بلاد فارس ، ولكن الطرق البرية العادية الى فارس كانت محفوفة بالمخاطر ، بسبب بعض الحروب الناشئة بين التتار . ولذا صار من الضرورى لها أن تسافر الى فارس بطريق البحر . والتمس المبعوثون من قبلاى أن يأذن للبنادقة الثلاثة بمرافقتهم فى السفن . . بوصفهم أشخاصا ذوى مهارة كبيرة فى فنون الملاحة » . وقبل قبلاى التماسهم ، وان عن غير كبير ارتياح . فجهز أسطولا فاخرا من السفن ، وأرسل البنادقة الثلاثة مع الفرس ، بعد أن منحهم أولا ، اللوحة الذهبية أو ضمان سلامة المرور ، وهى التى تمكنهم من التزود بما يلزمهم أثناء الطريق . فأبحروا من إحدى المرافئ الصينية فى أوائل عام ١٢٩٢ .



واستغرقت الرحلة إلى فارس زهاء السنتين ، خسرت  
الحملة اتناهما ستمائة رجل . فلما ان وصلوا إلى فارس  
وجدوا الخان قد مات ولدا ، سلمت الغادة الحسنا إلى ابنه  
فتلقاها بقبول حسن . ومنح البنادقة ضمان سلامة المرور  
في بلاد فارس ، بل الحق انه ارسلهم في طريقهم بصحبة  
جند من الراكبة ، ما كانوا يستطيعوا عبور تلك البلاد  
بدونهم أثناء الأيام المضطربة . وبينما هم سائرون بمطاياهم  
في طريقهم ، سمعوا ان مولاهم قبلاى الشيخ لقي منيه .  
ومبا لبثوا حتى وصلوا إلى البندقية سالمين في وقت ما من  
عام ١٢٩٥ .

وتروى عن وصولهم إلى وطنهم بعض أقاصيص عجيبة ،  
اذ يقال ان أقاربهم لم يعرفوهم ، ولا غرابة في ذلك ، اذ انهم  
عادوا في ثياب تترية رثة وهم لا يكادون يستطيعون التحدث  
بلغتهم الأصلية . ولم يقرر أقرباؤهم الاعتراف بهم الا بعد  
أن فتقوا الخياطة في ملابسهم الرثة كاشفين بذلك عما  
يخبئونه من جواهر في بطائنها . ( وفي امكان من يشكون  
في صحة هذه الحكاية كتاريخ أن يقرءوها على انها قصة  
رمزية ) غير أن ماركو بولو لم يطل الإقامة بين أهله وأقربائه .  
وكانت البندقية في حرب مع جنوة ولما كانت أسيرة بولو من  
الأسر الغنية فقد طلب إليها اعداد سفينة للقتال ، وكان  
ذلك حتى قبل عودة الرحالة من الأقطار الآسيوية ، وأقلع  
ماركو بولو بهذه السفينة قائدا وربانا ضمن الأسطول الذى  
خرج بقيادة أندريا واندولو ، الذى هزمه الجنويون قبالة  
كرزولا في السابع من سبتمبر ١٢٩٦ ، وحمل ماركو بولو  
أسيرا إلى جنوة ، حيث بقى بها رغم الجهود التى بذلت  
لافتدائه ، لمدة ثلاث سنوات تقريبا ويرجح أنه أملى أثناءها  
كتابه بلغة فرنسية ركيكة جدا على شخص اسمه رستكيان  
من بيترا ، وهو رفيق له فى السجن . ثم عاد إلى البندقية



في خلال عام ١٢٩٩ ، والأرجح أنه تزوج بعد ذلك بمدة قصيرة .

ولا يعرف الا القليل من حياته بعد عودته من السجن .  
غير انا نعرف ان القوم اطلقوا عليه كنية « المليونى » بحسرة .  
ما كان يرويه من حكايات مذهشة عن أجهة قبلاى وفخامته .  
ولكن نظرا لثرائه وذيوع صيته ، فان تلك الكنية المنطوية على الاستخفاف ربما كانت تنطوى على المجاملة الى حد ما . وقد اكتشف النكولونيل بولى المحرر الكبير لكتاب ماركو بولو انه قام بكفالة أحد مهربى الخمور ، وأنه أعطى نسخة من كتابه لنبييل فرنسى ، وأنه قاضى وكيلا بالعمولة ( قوموسيونجى ) على نصف الأرباح فى صفقة مقدار من المسك . وظن بعض الناس حينما من الدهر أنه هو نفسه ماركو بولو الذى قصر فى ( ١٣٠٢ ) فى تكليف سباك ( ستمكرى ) المدينة بتفقد أنبوبة المياه التى لديه . فقد نقل وزير هذه الخطيئة فى الآونة الأخيرة الى رجل آخر يحمل نفس الاسم ، وهو رجل « كان يجهل الأمر الصادر بشأن ذلك الموضوع » . وفى اليوم التاسع من يناير ١٣٢٤ ، كتب وصيته وقد شعر بأنه يزداد كل يوم ضعفا ، ولا تزال وصيته هذه باقية الى اليوم . فجعل الوصاية على تركته فى زوجته دوناتا وبناته الثلاث اللواتى ترك لهن الشرط الأعظم من أملاكه . ولم يلبث أن مات بعد قليل من انجاز هذه الوصية . ودفن بالبندقية خارج باب كنيسة سان لورنزو ، وان كان الموضع المضبوط للقبر غير معروف . ولا نعرف للرجل صورة يقطع بصحتها ، ولكنه ، شأن كولبس ، توجد له صور كثيرة من نسج الخيال ، يرجع تاريخ أحسنها الى القرن السابع عشر .

ولم يقابل كتاب ماركو بولو بالتصديق من معاصريه . فان الرحالة الذين يشاهدون العجائب ، حتى فى أيامنا هذه ( ولا شك أن اسم بروس مكتشف النيل الأزرق سيخطر على كل بال ) فلما صدق حكاياتهم ، أولئك الذين أتيح لهم بعد



أن بقوا في عقر دارهم ، الحصول على جميع نتائج ثمار فضلهم . فعندما عاد ماركو بولو من الشرق ، وهو ديار مجهولة تغشاها سحائب الابهام وتمتلىء بالفخامة وصنوف الرعب ، لم يستطع أن يبوح بالحقيقة كلها ، فاضطر أن يروي قصته بأقتضاب خشية ألا يجد من يصدقه . ولقى كتابه بين الناس في الشطر الأخير من العصور الوسطى سراجاً أقل من ترهات وخزعبلات السير جون ماندفيل . ذلك أن ماركو بولو إنما يتحدث عما رأى ، فأما جامع حكايات ماندفيل فإنه عندما لا يسرق مباشرة من بلينى والراهب أودوريك وغيرهما ، يتحدث عما قد يتوقع شخص جاهل أن يراه ، وما يحب على كل حال أن يقرأ عنه ، وذلك أنه مما يسمد الناس دائماً أن يقرهم الغير على رأى يرونه ، مهما ضعف أساس ذلك الرأى . وأكبر شاهد على ضالة ما لقيه ماركو بولو من تصديق ، أن خريطة آسيا لم تعدل نتيجة لمكتشفاته إلا بعد خمسين عاماً من وفاته .

وكتابه من أعظم كتب الأسفار . فانه حتى في هذه الأيام ، وقد انقضت عليه أكثر من ستة قرون ، لا يزال المرجع الرئيسى الثقة فيما يتعلق بأجزاء من آسيا الوسطى والامبراطورية الصينية المترامية الأطراف . أجل، من العسير في بعض الأحيان تتبع بعض تجولاته ، كما أن من الصعب التعرف على بعض الأماكن التى زارها ، وان أدت جهود الكولونيل بول الى ايضاح معظم الصعوبات وتأكيد معظم البيانات المجيبة التى وردت به . وسيظل كتاب ماركو بولو بالغ الروعة عظيم القيمة لدى كل من الجغرافى والمؤرخ والباحث فى الحياة الآسيوية على السواء . فأما عند القارئ العام فان السحر الأكبر للكتاب يكمن فى طابعه الرومانسى .

ويعد التجوال بين الغرباء وتناول خبزهم وطعامهم الى جوار نيران المخيمات فى النصف الآخر من العالم من الأمور الرومانسية . فان فعل ذلك ينطوى على الطابع الرومانسى .



وان بالغ فى تقدير الرومانسية من خلقت فيهم حياتهم  
الراكدة تذوقا وميلا كاذبا للفعالية والحركة . وقد جاس  
ماركو بولو خلال ديار قوم غرباء ، ولكن الباب مفتوح أمام  
أى امرئ « أوتى الشجاعة والقدرة على الحركة » أن يحدو  
حدوه . والتجوال فى حد ذاته ، ان هو الا ضرب من الاستمتاع  
الذاتى فان هو لم يصف شيئا الى مخزون المعرفة البشرية ، أو  
ان هو لم يهيب لآخرين أن يمتلكوا بأخيلتهم بعض أجزاء من  
العالم ، فانه يكون عندئذ عادة ضارة ، ذلك أن اختيار المعرفة  
- أى تكديس الحقائق والوقائع لا يكون انجازا نبيلًا الا عند  
تلك القلة التى تملك تلك « الكيمياء » التى تحول مثل  
ذلك الصلصال اللازب الى ذهب سماوى سرمدى . وربما ظن  
بعض الناس أن الكثير من الرحالة منحوا قراءهم ممتلكات  
خيالية ضخمة ، ولكن الممتلكات الخيالية لا تقاس بالأميال  
والفراسخ ، كما أن سكان ذلك القطر لا يكتبون بيانات عما  
لديهم من البهائم والطير ، اذ أن الرحالة العجيب هو وحده  
الذى يبصر الشئ العجيب ، كما أنه لم يبصر العجائب فى  
تاريخ العالم كله الا خمسة رحالة فقط - فأما من عداهم  
فقد أبصروا الطير والبهائم والأنهار والقفار - فأما الرحالة  
الخمس فهم : هيرودوت ( أبو التاريخ ) وجاسيار وملكور -  
وبالتأزار وماركو بولو نفسه . ووجه العجب فى ماركو بولو  
هو هذا : أنه خلق آسيا خلقا للعقل الأربى .

« وعندما ذهب ماركو بولو الى الشرق كانت آسيا الوسطى  
بأكملها وهى الشديدة الامتلاء بالأبهة والفخامة ، والبالغة  
العجيج بما حوت من أمم وملوك ، أشبه شئ بعلم يطيف  
بعقول الناس . فلم يكن الأوربيون يمسون الا حافة الشرق  
وحدها . فهناك فى عكا وفى بيزنطة وفى المدن المنهمكة فى  
العمل على البحر الأسود - كان تجار أوربا يقايضون الأجانب  
الغريب على أفانين الحرير والجوهر والبلاسم الثمينة التى



تحمل عبر الصحراء بتكاليف باهظة على ظهور القوافل من أرض المجهول ، وكان تصور الناس عامة للشرق يستفي من الكتاب المقدس ، ومما يرويه الصليبيون الشيوخ من حكايات ، ومن كتب التجار . وكل ما كان الناس يعرفونه عن الشرق هو أنه غامض خفى وأن الرب (يعنى السيد المسيح) ولد فيه . أما ماركو بولو الذى يكاد يكون أول أوربي شاهد الشرق ، فقد شهد بكل ما حوى من عجب ، وبدرجة أوفى وأكمل من أى رجل آخر شاهده حتى يومنا هذا . والصورة التى وضعها لنا عن الشرق هى نفس الصورة التى نكونها فى عقولنا عندما نكرر بأفواهنا كلمتى « بلاد الشرق » ونستسلم تماما للصورة الخيالية التى يستثيرها ذلك الرمز . وربما يحدث ذات يوم - أن العقل الغربى سيعاود الرجوع الى ماركو بولو للتعرف على صورة آسيا بعد أن تتأمر ككائى بزمان طويل .

ومن العسير أن يقرأ المرء ماركو بولو كما يقرأ الوقائع التاريخية ، إذ الحق أن الانسان يقرأه قراءته للقصاص الرومانسى ، أى كما يقرأ مثلا قصة أمسية القديس مرقس - أو قصة « البئر عند نهاية العالم » فالشرق الذى يكتب عنه هو شرق قصص الرومانسى وليس شرق « الهنسى المتجلنز » - بما له من مصيف فى سملا ومن بعثات الى التبت ومن برقيات « لرويتير » . ففى « شرق » القصص الرومانسى تنمو شجرة « الشمس أو الشجرة الجافة » - التى مر بها ماركو بولو ، وهى ضرب من الصوى أو علامات الطريق عند نهاية الصحراء المترامية وينمو على تلك الشجرة تفاح الشمس والقمر ، وفى ظلها اقتتل دارا والاسكندر وتلك هى الوقائع المهمة عن تلك الشجرة فيما يروى ماركو بولو ونحن المحدثين ، الذين لا يهتمون بأية شجرة بمجرد أن يتمكنوا من التمتمة باسمها اللاتينى ، قد فقدنا كل عجب حين ضاع ايماننا .



وقد كان العصر الوسيط ، كدأب عصرنا هذا تماما ،  
حافلا بالحديث عن الفردوس الارضى \* وربما كان كل  
الفرق اننا تقدمنا ، بحيث اصبحنا نتكلم عنه كامنحان  
اجتماعى ، بدلا من اعتباره حقيقة جغرافية \* ويحلوننا ان  
نظن ان البنادقة القدماء انطلقوا شرقا فى رحلتهم الشهيرة  
وهم لا يكادون يصدقون أنهم سيبلغونه ، مثلما فعل كولبس  
( بعد ذلك بقرنين ) حيث لم يكذ يتوقع أن يشهد أرضا  
«تزهج فيها الأزهار الذهبية على أشجارها الى أبد الآبدين» \*  
والحق أنهم لم يجدوا الفردوس الأرضى ، ولكنهم رأوا أبهات  
قبلاى وهو من أغنى ملوك الأرض بآسيا ، وان المرء ليحس  
بوجود قبلاى فى القصة من أولها لآخرها ، مثلها أن النبيذ  
الأحمر اذ يصب فى كأس من الماء - يمتزج به وينتشر فيه  
أو مثلما ان السعط يشد الجواهر فى قلادة ولن يكون الخيال  
صعبا الا متى تفكر المرء فى الملكى أو القدسى من الأشياء \*  
وسيجد القارئ فى قبلاى من الروعة القدر الكافى للمء  
معبد عقله بالمجد الشامخ واذن ، فنحن فيما نفكر فى ماركو  
بولو ، فاننا فى الواقع انما نفكر فى قبلاى ، وبغض النظر  
عن العجيب الرومانتيكى الذى يحيط به ، فانه شخصية  
نبيلة ، جديرة منا بالتأمل \* فهو أشبه شىء بأحد ملوك  
القصص الرومانسى وكان ابداع صورته على ذلك النحو فى  
هذا الكتاب واجبا محتما حقا ومما يملؤنا بالفخر والتوقير  
لتلك الموهبة الشعرية أن نتفكر كيف أن هذا الملك  
- « ملك الملوك » ، وحاكم العدد الموفور من المدن - والعدد  
الموفور من البساتين ، والوفرة الكثيرة من برك السمك  
ما كان ليصبح الا اسما أجوف أو خيالا تغطيه الرمال ، لو لم  
يستقبل بترحاب رحالين تعلوهما الوعشاء ، وقدا عليه ذات  
صباح من غياهب المجهول ، بعد تجوال طال فى أقطار  
الأرض \* ولعله دار بخلده وهو يودعهما ( نفس الفكرة التى  
دارت بخلد ذلك الملك الذى تذكره القصيدة من أنه ربما



جاء وقت لا يتذكره الناس « الا بهذا الشيء وحده دون غيره »  
بعد أن يتجرد من كل أمجاده ويرقد صامتا وقد تغطى وجهه  
بالقناع الذهبى فى ظلمة القبر الساجى - عندما خفق  
المصباح الذى طالما ظل مضيئا خفقته الأخيرة ثم انطفأ ومات.  
وأضحى رمادا .

ديسمبر ١٩٠٧

جون ميسفيلد

## التعريف بطبعات الكتاب

أملى ماركو بولو - وهو فى الأسر - قصة رحلاته على زميل له فى السجن استنسخت مخطوطاته على يد أفراد آخرين مع اختلافات كثيرة ، ولا تزال باقية لدينا الى اليوم حوالى مائة نسخة من الرحلات تختلف لغة ما بين فرنسية وإيطالية ولاتينية وليس بينها اثنتان متفقتان بالضبط . وصدرت الطبعة المبكرة لأول محرر لأعمال ماركو بولو وهو راموسيو - فى سنة ١٥٥٩ - وقام مارسدن بترجمة انجليزية لهذه الطبعة الايطالية فى سنة ١٨١٨ ، وقال الكولونيل السير هنرى بول - الذى صار فيما بعد خيرا متخصصا فى « ماركو بولو » وهو الذى يشير اليه المستر جون ميسفيلد فى مقدمته ، فى التمهيد الأول الذى صدر به عمله : - « لقد ظلت نسخة مارسدن النسخة المثالية السليمة المترجمة . . . فهى والحق يقال عمل رجل حصيف واسع العلم سليم التفكير » . . وفى ١٨٥٤ أعد توماس رايت اصدارة اعتمدت على ترجمة مارسدن خصيصا لمكتبة بون ، بها فصول اضافية ، واختصار للهوامش الأصلية ، وهذه الطبعة الصادرة فى مكتبة افرى مان انما هى اعادة طبق الأصل لطبعة مكتبة بون - وقال رايت فى ثنايا مقدمته ما نصه : « ان هوامش مارسدن مطولة الى حد ما » ، « كما أن شطرا طيبا منها لا يتكون الا من تكرارات لبيانات واسناد تؤيد امكان تصديق ما أورده ماركو بولو . . . ولما كانت هذه المسألة مفهومة الآن بصورة أعم منها فى عهد مارسدن ، لم تعد لهذه التأييدات أية



ضرورة الآن . ومع هذا فانتى عندما قمت بمقابلة هذه  
الترجمة على الطبقات الجديدة للنص ( فى لفات مختلفة ) ،  
وجدت أن من المرغوب فيه تنقيحها تنقيحا عاما . . ومن ثم  
فان الفصول الاضافية مترجمة عن النص الفرنسى القديم .  
وصدرت ترجمة بول لأول مرة فى مجلدين فى ١٩٧١ حاوية  
لهوامش وصور : كما صدرت الطبعة الثانية المنقحة فى  
١٨٧٥ وصدرت الثالثة بتنقيح هنرى كورديار فى ١٩٥٣ ،  
ثم صدر مجلد آخر الهوامش فى سنة ١٩٢٠ من عمل هنرى  
كورديار .

مارس ١٩٤٥

## وصف الرحلات

لم يكن البولوان الكبيران ينويان عندما غادرا القسطنطينية في ١٢٦٠ ، تجاوز الحدود الشمالية للبحر الأسود كثيرا - فنزلا أولا بثغر صولدايا « ببلاد القرم » وكانت عند ذاك مدينة تجارية مهمة - ومن صولدايا سارا شمالا وشمالا شرقيا بشرق الى ساره - أو سارا ، وهي مدينة ضخمة على نهر الفولجا كان يقيم بها الملوك كامبوسكان - ثم الى بولجارا أو بول فار التي أقاما بها قرابة السنة .

حتى اذا سارا جنوبا لمسافة قصيرة الى بوكاكا وهي مدينة أخرى على الفولجا ، رحلا الى الجنوب الشرقي رأسا ، عبر الطرف الشمالي لبحر قزوين ، في مسيرتهم الى بخارى التي دامت ستين يوما ، وفيها أقاما ثلاث سنين ومن بخارى انطلقا مع رجال الخان الأعظم شمالا الى مدينة أوترار ، ثم مضيا عنها في اتجاه شمالي شرقي الى بلاد الخان قرب بكين - وفي رحلة العودة ، بلغا ساحل البحر عند لياس بأرمينية . ومن لياس ذهبا الى عكا ، ومنها الى نيجردبونت برومانيا ، ومن نيجردبونت الى البندقية ، التي مكثا بها قرابة السنتين .

وفي المرحلة الثانية الى الشرق ، التي صحبهما فيها ماركو بولو الصغير ، أبحرا رأسا من البندقية الى عكا قرب نهاية عام ١٢٧١ . وقاموا برحلة قصيرة جنوبا الى بيت المقدس ، طلبا للزيت المقدس ، ثم عادوا بعد ذلك الى عكا ، التماسا للخطابات من المندوب البابوي . حتى اذا غادروا عكا



تقدموا حتى لياس بأرمينية ، ومن هناك استدعاهم اليه  
ثانية البابا المنتخب حديثا . وعندما انطلقوا للمرة الثانية  
عادوا أدراجهم الى لياس ، وكانت في ذلك الحين مدينة  
عظيمة - تباع فيها الأفادية والقماش المقصب ، ويبدأ منها  
في العادة التجار المتجهون شرقا وشدوا الرحال من لياس  
شمالا حتى دخلوا تركمانيا ، مارين بقاساريا وسيفاس ، حتى  
أرزنجان ، حيث كان السكان ينسجون قماش البقرم الجاسي  
اللازم لتجليد الكتب - فإذا هم عبروا جبل أرارات الذي  
يقال ان فلك نوح استوت عليه ، سمعوا حكايات عن حقول  
النفط في باكو ومن هنا رحلوا الى الجنوب الشرقي ، في  
محاذاة نهر دجلة الى بانداس ، ومن بانداس يبدو أنهم قاموا  
برحلة لا ضرورة لها الى الخليج الفارسي - وهنا يتركنا الكتاب  
نظن أنهم رحلوا بطريق نوريذ تبريز (في العراق الفارسي)  
فيزد فكرمان الى ثغر هرمز (أرمز) كأنما انتووا ركوب  
البحر من هناك . على أنهم قد كانوا ليتقدموا أسرع كثيرا لو  
أنهم اتبعوا طريق الدجلة حتى البصرة ، ولو أنهم ركبوا  
منها سفينة على الخليج وأقلعوا بطريق كايس أو كيس الى  
هرمز . وبعد أن زاروا هرمز عادوا الى كرمان بطريق  
آخر ، ثم مضوا قدما فوق صحراء كرمان المألحة الرهيبة ،  
مخترقين خراسان الى بالاكشان ويرجح أن رحلتهم توقفت  
في بالاكشان بسبب مرض ماركو الذي يتحدث عن أنه أقام  
هناك زهاء السنة يوما ما ، لاسترجاع عافيته . وعندما غادروا  
بالاكشان تقدموا عبر جبال البامير العالية الى قشغر ، ثم في  
اتجاه جنوبي شرقي بطريقي خوتان - ولم تكن دفنت بعد  
تحت الرمال - الى صحراء جوبي . وتشيع عن صحراء  
جوبي - كما تشيع عن الصحراوات جميعا - شائعات السوء  
بأنها « مسكن للأرواح الشريرة التي لا تبرح تلاحق الرحالة  
باللهو والضحك حتى توردهم موارد التلف » ، وعبر آل پولو  
صحراء جوبي في مدة الثلاثين يوما المعتادة ، متوقفين كل

ليلة الى جوار البرك نصف المالحة أو نصف العذبة التي تجعل القيام بالرحلة ممكنا ، وما لبثوا وقد عبروا الصحراء ، حتى دخلوا الصين سريعا . ولعلمهم اقاموا في كان شاو ، وهي من أوائل المدن الصينية التي زاروها ، ما يقارب السنة ، « بسبب مشاغلهم » ولكن المرجح أن هذه الإقامة حدثت فيما بعد ، وهم في خدمة قبلاى وعندئذ عبروا ولاية شن سي - الى ولاية شان سي - الى أن وصلوا في النهاية الى كاي ينج فو ، التي أقام بها قبلاى حديقة مسراته الصيفية .

وفي رحلة العودة أقلع آل بولو من مدينة زيتوم بولاية فوكيهن . وسارت السفينة ملازمة للشاطئ الصيني ، ( تجنباً لحاجزى براناس وبراسل المرجانيين ) ، وعبرت خليج نتيكين ( تونج كنج ) الى تشامبا في جنوب شرق كمبوديا . ولعلمهم بعد أن غادروا تشامبا أقاموا ببورنيو إقامة قصيرة ، ولكن الأرجح أنهم أقلعوا رأسا الى جزيرة بنتانج عند قمم مضيق ملقة ( ملقا ) فالى سومطرة ، حيث تعطل الأسطول خمسة أشهر بسبب هبوب الرياح الموسمية المضادة ، ويبدو أن السفن انتظرت تغير الرياح الموسمية في مرفأ على الشاطئ الشمالي الشرقي لمملكة سومطرة ، حتى اذا واتتهم ريح مروا أمام جزر فيقوباز واندامان ، ثم وجهوا مجرى السفينة سيلان - ثم انطلقوا عبر البحر الى ساحل كورومانديل وربما لزموا ساحل بدراس في اتجاههم شمالا حتى ليبانام . وعند ساحل بمباي يبدو أنهم احتضنوا الشاطئ جهد امكانهم حتى مدينة سورات فيما يحتمل ، وهي تقع في خليج كامباي ، على أنه من المحتمل بالمثل أن تكون أوصاف هذه الأماكن نقلت عن أقاصيص الملاحين ، وأن الأسطول خرج بعيدا في عرض البحر مجابها لجاته تجنباً لقراصنة الشواطئ .

ويطيل ماركو بولو الحديث عن مدينة عدن وعن مدن تقع على سواحل بلاد العرب ، ولكن المرجح أن الأسطول لم يرس عليها قط - وكل ما نعرفه يقينا هو أنهم وصلوا الى هرمز ،



على الخليج الفارسي ثم توغلوا في داخل البلاد إلى خراسان -  
وعند مغادرتهم خراسان ساروا بها مخترقين بلاد فارس  
وأرمينية الكبرى ، حتى بلغوا ترائيزون على البحر الأسود  
( البوكسين ) ومن هنالك ركبوا السفن وأقلعوا بحرا إلى  
البندقية وطنهم بعد أن رسوا أولا بالقسطنطينية ثم  
نجر وبونت . « وكان ذلك في عام ١٢٩٥ من تجسد المسيح » .

جون ميستفيلد

# تمهيد

أيها الأباطرة والملوك والأدواق والمراكيذ واللوردات والفرسان وكل من شاء من الناس معرفة تنوعات الأجناس البشرية ، فضلا عن تنوعات الممالك والولايات والأقاليم بكل أجزاء بلاد الشرق . . . اقرءوا هذا الكتاب من أوله لاخره فستجدون فيه أعظم وأعجب خصائص الشعوب ولا سيما شعوب أرمينية وفارس والهند وبلاد التتار على ما تروى بأشكالها المتعددة في هذا العمل الذي وضعه ماركو بولو ، وهو مواطن عالم حكيم من البندقية يبين فيه بوضوح ما شاهد بنفسه من أشياء وما سمع من غيره من أشياء ، ذلك أن هذا الكتاب سيكون كتابا رائده الصدق - وينبغي أن يعلم اذن أنه منذ خلق آدم الى يومنا هذا ، لم ير انسان وثنيا كان أم مسلما أم مسيحيا أم من أية ملة أخرى ، ومهما يكن جنسه أو جيله ، ولا استعلم عن مثل هذا العدد الضخم وذلك النوع من الأشياء العظيمة ، مثلما رأى واستعلم ماركو بولو سالف الذكر وهو الذي اذ رغب في دخيلة أفكاره أن الأشياء التي قد رأى وقد سمع تعلن على الملأ بواسطة العمل الحالى من أجل مصلحة أولئك الذين لم يستطيعوا مشاهدتها بأعينهم - فانه هو نفسه وقد كان فى عام ١٢٩٥ من أعوام سيدنا (المسيح) سجيناً بمدينة جنوة - جعل الأشياء التي يحتويها العمل الحالى تكتب على يد السيد/ستييجيلو - وهو مواطن من بيزا - كان معه نزيلا بنفس السجن فى جنوة كما أنه قسمه أقساما ثلاثة .





## الفصل الأول

قسم ١ - ينبغي أن يكون معلوما لدى القارىء انه حدث ،  
فى الوقت الذى كان فيه بالدوين الثانى امبراطورا على  
القسطنطينية (١) يوم كان يقيم مأمورا يمثل دوج البندقية  
بها (٢) وفى عام سيدنا الرب ١٢٥٠ (٣) ، أن اعتلى نيقولو  
يولو - والد ماركو المذكور ، ومعه مافيو شقيق نيقولو -  
وهما رجلان محترمان واسعا المعرفة ، متن سفينة يملكانها ،  
ومعهما شحنة غنية ومتنوعة من مختلف البضائع حتى بلغا  
القسطنطينية سالمين . .

وبعد البحث بندبر وروية فيما ينبغي عمله رأيا أن خير  
ما يحتمل أن يعود عليهما بتحسن رأسمالهما ، هو أن يواصل  
رحلتها فى بحر البوكسين أو البحر الأسود (٤) واقتناحا  
بهذا الرأى اشترى كثيرا من الجواهر البديعة الفـالية  
الثلث (٥) حتى اذا غادرا القسطنطينية ، أبحرا فى ذلك  
البحر الى ميناء يسمى ضولدايا ، ومنها سافرا على ظهور  
الخيل لمدة عدة أيام حتى بلغا بلاط أمير قوى ببلاد التتار  
الغربية اسمه بركة (٦) .

وكان يسكن فى مدينتى بلجارا وايارا (٧) ، وهو من أشد  
من عرف بين قبائل التتار حتى آنذاك . . من الأمراء تحررا  
وتمديننا . فأبدى ارتياحا كثيرا لوصول الرهاين . .  
واستقبلهما بمظاهر الحفاوة والتكريم . وفى مقابل  
ما غمرهما به من مجاملة ، فانهما عندما وضعا بين يديه  
الجواهر التى أحضرها معها وأدركا أن جمالها قد سره ،  
هرضا عليه قبولها . وملاه ما فى هذا السلوك من جانب



الأخوين من سماحة وأريحية بالاعجاب ولم يشأ أن يبزاه فى الكرم - فلم يكتف بأن يأمر بأن يدفع اليهما ضعف قيمة الجواهر ، بل قدم اليهما فوق ذلك عدة هدايا نفيسة .

فلما ان قضى الاخوان سنة كاملة فى ديار هذا الأمير ، راودهما الحنين الى زيارة مسقط رأسهما ثانية ، ولكن عاقهما نشوب الحرب فجأة بين أميرها وأمير آخر يسمى آلاءو (Alau) وكان حاكما على التتار الشرقيين (٨) ونشبت بين جيشيهما معركة دموية شرسة ، انتصر فيها آلاءو ، وكانت عاقبة ذلك أن أصبحت الطرق غير مأمونة على الرحالة فلم يستطع الأخوان محاولة العودة بالطريق التى جاءا منها ، وأشار عليهما بعضهم أن الوسيلة العملية الوحيدة للوصول الى القسطنطينية هى المضى أماما فى اتجاه الشرق ، فى طريق غير مطروق ، بحيث يدوران حول ممتلكات بركة وتبعاً لذلك ، اتخذوا طريقهما الى مدينة تدعى « أوكاكا » (٩) - وهى تقع على تخوم مملكة التتار الغربيين - حتى اذا غادرا ذلك المكان وزادا تقدما الى الأمام ، عبروا نهر دجلة (١٠) أحد أنهار الفردوس الأربعة حتى وصلا الى صحراء امتدادها رحلة سبعة عشر يوما (١١) ، فلم يجدا فيها مدينة ولا حصنا ولا أى بناء ذى قيمة ، وكل ما وجداه هو تزار معهم قطعانهم يسكنون خياما فى منبسط الوادى . حتى اذا قطعوا هذه الشقة ، بلغا فى النهاية مدينة حسنة البنيان تسمى نجارا (١٢) ، تقع بولاية بهذا الاسم ، وتتبع الممتلكات الفارسية ، كما أنها أجمل مدينة فى تلك المملكة ويحكمها أمير اسمه براق - وهنا عجزا عن التقدم خطوة الى الأمام فالجأهما ذلك الى التريث ثلاث سنوات .

وتصادف وهذان الاخوان فى نجارا ، أن ظهر بها شخص (١٣) له اعتباره ومكانته أوتى مواهب رفيعة وكان يتقدم فى

طريقه كسفير من آلاءو سالف الذكر الى الخان الأعظم ،  
الرئيس الأعلى للتتار جميعا ، والمسمى قبلاى (١٤) والذي  
يقع مقر حكمه عند الطرف الأقصى للقارة فى اتجاه بين  
الشمال الشرقى والشرق (١٥) . ولما تصادف أنه لم تتح له  
من قبل فرصة لقاء أى واحد من سكان ايطاليا ، وان تاق الى  
ذلك ، فقد سره كثيرا أن يقابل هذين الأخوين ويتحدث  
اليهما ، خاصة وقد اتقنا آنذ لغة التتار ، وبعد أن اختلط  
بهما لمدة عدة أيام - ووجد أخلاقهما مرضية له ، اقترح  
عليهما أن يصحباه ليمثلا بين يدى الخان الأعظم الذى لا بد  
أنه سيسر بظهورهما فى بلاطه ، الذى لم يزره حتى آنذاك  
أى فرد من بلادهما . مضيفا الى ذلك تأكيدات من عنده  
بأنهما سيلقيان حسن الاستقبال ويكافآن بأحسن الهبات .  
ونظرا لاقتناعهم التام أن محاولتهما العودة الى بلادهما  
ستعرضهما لأفدح المخاطر ، فانهما وافقا على هذا الاقتراح  
واذ سلما نفسيهما لرعاية القوى القاهر ، فانهما انطلقا  
فى رحلتهم بين حاشية السفير - يسهر على خدمتهما عدة  
خدم مسيحيين أحضرهم معهم من البندقية . وامتد الطريق  
الذى سلكاه أولا بين الشمال الشرقى والشمال ، وانقضت  
سنة كاملة قبل أن يتمكنوا من الوصول الى المقر الامبراطورى ،  
وذلك نتيجة للتأخيرات غير العادية التى - نجمت عن الثلوج  
وفيضان الأنهار ، وهو ما اضطرهما الى الانتظار حتى ذاب  
الثلج وحتى انخفضت الفيضانات . وقد لحظا أثناء مسيرهما  
فى رحلتهم أشياء كثيرة جديدة بالاعجاب ، ولكنها حذفت  
هنا نظرا لأنها ستوصف بقلم ماركو بولو ، فى سياق  
قسم (٢) : ولما قدم الرحالان الى حضرة الخان الأعظم  
قبلاى تلقاهما بالتعطف والتنازل والبشاشة التى يتحلى بها  
خلقه ، ونظرا لأنهما كانا أول من ظهر بتلك البلاد من  
اللاتين ، فقد أقيمت لهما المآدب وشرفا بآيات تكريم أخرى .  
وانخرط الإمبراطور بتعطف فى الحديث معهما فاستفسر



استفسارات جادة حول موضوع القسم الغربى من العالم كما سألهما عن امبراطور الرومان (١٦) وعن غيره من الملوك والأمراء المسيحيين . وأراد أن يتلقى المعلومات عن المكانة النسبية لكل منهم وامتداد ممتلكاتهم والطريقة التى يقيم بها ميزان العدل فى ممالكهم وأماراتهم العديدة ، وكيف تصرفهم وسلوكهم أثناء الحرب ، وسألهما فوق كل شيء أسئلة تتعلق بوجه خاص بالبابا وشئون الكنيسة وما لدى المسيحيين من العبادات الدينية والمذاهب ، ولما كانا من الحصفاء الواسعى العلم فانهما قدما اجابات مناسبة حول هذه المسائل جميعا ، ولما كانا يجيدان لغة التتار : ( المغول أو المغل ) على أحسن وجه ، فانهما كانا يعبران عن نفسيهما دوما بأوفق عبارة ، بحيث أن الخان الأعظم ، وقد وضعهما موضع التقدير الكبير ، كثيرا ما كان يأمر بإدخالهما عليه .

حتى اذا حصل منهما على جميع المعلومات التى قدمها اليه الاخوان بعقل راجح لبيب ، عثر عما يخالجه من الرضى التام ، وبعد أن رسم فى خلدته خطة استخدامهما سفيرين له لدى البابا ، بعد استشارة وزرائه فى الموضوع - اقترح عليهما فى رجاء كله تल्प ورقة - أن يصحبا أحد رجاله المدعو خوجاتال فى بعثة الى الكرسي البابوى بروما . وأبلغهما أن هدفه من ذلك هو أن يقدم الى قداسته التماسا أن يرسل اليه فئة من رجال العلم ، أوتوا المعرفة التامة بمبادئ الديانة المسيحية ، فضلا عن الفنون السبعة وتأهلوا بالقدرة على ان يثبتوا لعلماء ممتلكاته بالجدل المقنع والحجة العادلة ، أن العقيدة التى يعتنقها المسيحيون تفوق ، وتقوم على صدق أوضح من كل عقيدة خلافها ، وأن آلهة التتار والأوثان التى تعبد فى منازلهم ان هى الا أرواح شريرة ، وأنهم فضلا عن سكان الشرق جملة ، واقعون تحت تأثير الخطأ بتوقييرهم اياها كآلهة ، وعلاوة على هذا فانه أشار الى ما سيخالجه من سرور ان هما عند العودة جلبا معهما من بيت المقدس ، شيئا من الزيت

المقدس من المصباح الذى لا يبرح متقددا على الدوام فوق ناووس السيد يسوع المسيح ، الذى اعترف بأنه يكن له اجلالا وانه يعده ( الرب ) ( ١٧ ) الحق . وما أن سمعا هذه الاوامر تلقى اليهما من قم الخان الأعظم ، حتى خرا ساجدين بخضوع أمامه على الأرض ، معبرين عن تقبلهما عن طيب خاطر واستعدادهما الفورى ، أن ينفذا بأقصى ما يستطيعان الارادة المكية مهما تكن . وعند ذلك أمر بأن تكتب كتب باسمه باللفة التتريية الى بابا روما وسلمهما اياها فى أيديهما وأصدر أوامره أيضا أن يسلموا لوحة من الذهب عليها الطغراء ( ١٨ ) الامبراطورى ، طبقا للعادة المرعية التى أسسها جلالته ، وبفضلها ينقل الشخص الذى يحملها - ومعه حاشيته بأكملها ويحرسون بسلام من محطة يريد الى أخرى بواسطة محافظى ( حكام ) - جميع الأماكن داخل الممتلكات الامبراطورية ، كما يحق لهم أثناء مدة اقامتهم بأية مدينة أو قلعة أو بلدة أو قرية التزود بما يلزمهم من مؤن والحصول على كل ما يوفر لهم أسباب الراحة .

حتى اذا تم تكليفهما بهذا الشرف ، استأذنا الخان الأعظم فى السفر ، وانطلقا فى رحلتها ولكنهما لم يكادا يتقدمان فى رحلتها أكثر من عشرين يوما ، حتى أصيب الموظف المسمى خوجاتال رفيق رحلتها بمرض خطير بالمدينة المسماة آلاو ( ١٩ ) وفى هذه الملمة استقر العزم بعد استشارة كل من حضر وبموافقة الرجل نفسه ، على وجوب تركهما له ، وبمواصلتهما رحلتها أفادا فائدة جوهرية من تزودهما باللوحة الملكية ، التى وجهت اليهما الاهتمام فى كل مكان مرا فيه .

ودفعت عنهما جميع نفقاتهما وزودا بالحراس . على أنه رغم هذه المزايا ، فنهايك بضخامة الصعوبات التى اضطررا الى ملاقاتها ، بسبب البرد القارس والثلج والجليد وفيضان الأنهار ، بحيث أن أصبح تقدمهما مضجرا لا محالة ،



وانقضت سنوات ثلاث قبل أن يتمكنوا من بلوغ مرفأ على البحر فى أرمينيا الصغيرى يسمى لياسوس (٢٠) - ورحلا من هناك بحرا ، فوصلا الى عكا (٢١) فى شهر أبريل ١٢٦٩ وهناك علما ببالغ الكدر - ان البابا كلمنت الرابع توفى من زمن قريب (٢٢) . وكان يقيم فى عكا (٢٣) قاصد رسولى (مندوب بابوى) عينه البابا اسمه نيبالدو ده فسكونتى وفى بياتشنزا ، فأبلغاه بالأمر الذى يحملانه من الخان الأعظم لبلاد التتار فنصحهما بكافة الوسائل بالانتظار حتى يتم انتخاب بابا ثان ، حتى اذا تم ذلك ، واصلا القيام بسفارتهما . فوافقا على هذه المشورة - وعولا على الاستفادة من فترة الانتظار بالقيام بزيارة لأسرتيهما فى البندقية . وبناء على ذلك ركبا من عكا سفينة متجهة الى نجروبونت ، ومنها واصلا السفر الى البندقية وهناك وجد نيقولو بولو أن زوجته التى تركها حبلى عند رحيله ، قد ماتت ، بعد أن وضعت له ابنا اسمه « ماركو » وبلغ عمره الآن تسعة عشر عاما (٢٤) وذلك هو ماركو الذى وضع الكتاب الحالى والذى سيروى فيه قصة جميع تلك الأمور التى كان لها شاهد عيان .

قسم (٣) وفى الحين نفسه حالت عوائق كثيرة دون انتخاب بابا جديد، حتى لقد اضطرا أن يمكثا سنتين بالبندقية وهما ينتظران على الدوام اتمام تلك العملية (٢٥) وعندما ساورهما فى نهاية الأمر خوف من أن يستاء الخان الأعظم من تأخرهما، أو يظن أنهما لا ينويان معاودة زيارة بلاده ، رأيا من الحكمة العودة الى عكا . وفى هذه المرة اضطحبا معهما الصغير ماركو بولو . وقام الثلاثة بزيارة بيت المقدس بموافقة من المندوب البابوى وهناك تزودوا بشيء من الزيت الخاص بقنديل الناووس المقدس . طبقا لتعليمات الخان الأعظم وما كان أن حصلوا على رسائله الموجهة الى ذلك الأمير التى تشهد بما أبدوا من اخلاص فى تنفيذ ما أمرهم به ،

والتي توضح له أن بابا الكنيسة المسيحية لم ينتخب بعد، حتى تقدموا الى مرقاً لابسوس أنف الذكر على أنهم ما كادوا يرحلون حتى تلقى المندوب البابوي رسالا من ايطاليا ، أرسلهم مجمع الكرادلة - يعلنون اليه ارتقاءه هو نفسه للكرسي البابوي \* وعندئذ اتخذ اسم جريجوري العاشر (٢٦) - واذ رأى أنه أصبح في مركز يؤهله تماما للاستجابة لرغبات العاهل التتاري ، فانه سارع بإرسال بعض الرسائل الى ملوك أرمينية (٢٧) ، مبلغا أباه نبأ انتخابه ، وملتصا ، ان كان السفيران اللذان كانا في طريقهما الى بلاط الخان الأعظم لم يبرحا بعد مملكته ، أن يصدر الأوامر بعودتهما فورا \* ووجدتهما هذه الرسائل مقيمين بعد في أرمينية ، فعجلا تلبية لدعوته بالعودة ثانية الى عكا ومن أجل ذلك زودهما الملك بغليون مسلح - مرسلا في الحين نفسه سفيرا من قبله لتقديم تهانيه للحبر ذي السيادة \* .

وعند وصولهما استقبلهما قداسته استقبالا ممتازا وبادر بإرسالهما توا برسائل بابوية مع راهبين من « هيئة الوعاظ » ، تصادف وجودهما في نفس المكان ، وهما رجلان جمعا بين التبهر في الأدب والعلم فضلا عن التعمق في اللاهوت وكان اسم أحدهما مزا ( الراهب ) نيقولودا فينشزا والآخر مرا ( الراهب ) جيلمو واتربيول ، فمنحهما الرخصة والسلطة لرسم القسس والأساقفة ولمنح النحلة بكامل ما يستطيع هو فعله بشخصه \* ثم حملهما أيضا هدايا ثمينة، بينها عدة زهريات بديعة من خالص البلور ، ليقدماها باسمه الى الخان الأعظم ، المكتملة ببركاته \* وبعد أن استأذناه ، عادا فسارا بسفينتهما الى ميناء لابسوس (٢٨) ، حيث نزلا ثم تقدما منها الى اقليم أرمينية وهناك علما بأن سلطان ( سلعنان ) بابل المسمى بالبندقداري ، غزا البلاد الأرمينية بجيش عرمرم وانه اجتاح البلاد وأحالها خرابا الى حد كبير (٢٩) - وداخل الرعب الراهبين لهذه الروايات وخشيا



على حياتهما من المهالك - فقررا عدم مواصلة السير ، وسلمنا  
للبنادقة الرسائل والهدايا التي حملهما اياها البابا ووضعنا  
بمسيهما تحت حماية عميد فرسان المعبد (٣٠) وعادا معه الى  
الساحل مباشرة - وعبر نيقولو ومافيو وماركو ، وهم الذين  
لا ترهبهم المخاطر ولا الصعاب ، ( لطول ما تمرسوا بها ) -  
حدود ارمينية ، وواصلوا رحلتهم وبعد عبور صحراوات  
يمتد فيها المسير عدة أيام واجتياز شعاب ضيقة خطيرة كثيرة ،  
تقدموا مليا في اتجاه بين الشمال - الشرقى والشمال ، حتى  
حصلوا في النهاية على معلومات عن الخان الأعظم ، الذي  
جعل مقر حكمة آنذاك بمدينة ضخمة وفخمة تسمى كليسه  
من فو (٣١) . واستغرقت رحلتهم بكاملها الى هذا المكان  
مالا يقل عن ثلاث سنوات ونصف السنة ولكن تقدمهم في  
أثناء شهور الشتاء لا يكاد يذكر (٣٢) . ولأن الخان الأعظم  
تلقي اخطارا باقترابهم من بلاده - وهم بعد على بعد كبير -  
ولادراكه بمدى ما قاسوه من تعب شديد ، فانه أرسل اليهم  
من يستقبلهم على مسافة رحيل أربعين يوما ، وأصدر أوامره  
بأن يعد لهم في كل مكان يمرون به كل ما يلزم راحتهم فبهذه  
الوسائل ، وبركات الله عليهم نقلوا في أمان الى البلاط  
الملكي .

قسم (ع) واستقبلهم الخان الأعظم عند وصولهما بكل  
عطف وتكريم وحوله مجموعة كاملة من كبار القواد  
والموظفين . حتى اذا اقتربا من شخصه ، قدما اليه احترامهما  
بأن يخرا أمامه على الأرض ساجدين فأمرهما على الفور  
بالنهوض ، وبأن يقصا عليه الظروف التي أحاطت بهما في  
رحلاتهما ، مع جميع ما جرى أثناء مفاوضاتهما مع قداسة  
البابا - والى حديثهما الذي روياه بالتسلسل المنتظم للأحداث ،  
وقدماه بلغة سهلة واضحة ، أصغى الامبراطور في صمت  
وانتباه . وعندئذ وضعت بين يديه رسائل البابا جريجورى  
وهداياه . وعندما قرئت عليه الرسائل ، أنعم بالاطراء الكثير  
على ولاءسفيريه وحميتهم وشدة جدهما وتلقى بالتوقير الواجب

الزيت المجلسوب من القبر المقدس ، ثم أصدر تعليماته بالاحتفاظ به بعناية ملؤها التقوى - وعندما لحظ وجود ماركو بولو واستفسر عن يكون أجابه نيقولو : « انه خادمك وابنى » . وعندها أجاب الخان الأعظم : « مرحبا به ومسرة بمقدمه » وأمر به فضم الى قائمة أتباع الشرف فى حاشيته . وأقام لمناسبة عودتهم وليمة كبيرة حفلت بالابتهاجات والتفاريح . ولم يبرح الاخوان المذكوران ومعهما ماركو يلقون ما أقاموا فى بلاط الخان الأعظم من التكريم ما يكاد يفوق ما يلقاه رجال بلاطه أنفسهم ، ووضع ماركو موضع الاحترام والتقدير الكبير من كل من ينتسب الى البلاط ، ولم يمض طویل زمن حتى تعلم آداب التتار وأعرافهم وأخذ بها نفسه ، وحذق أربع لغات مختلفة تمكن منها قراءة وكتابة (٣٣) . ولما وجد مولاة صاحب مواهب على هذا النحو رغب فى أن يضع مواهبه - بتولى الأعمال - موضع الاختبار ، وبعث به فى مهمة هامة للدولة الى مدينة تسمى كارازان (٣٤) ، تقع على بعد رحلة ستة أشهر من المقر الامبراطورى وفى تلك المناسبة تصرف بحكمة وحصافة بالغة فى تدبير الشئون التى وكلت اليه بحيث أصبحت خدماته موضع القبول الكبير . وعمد ماركو من جانبه ، وقد أدرك أن الخان كان يجد متعة كبيرة فى الاستماع الى كل ما هو طريف حول أعراف الشعوب وعاداتها والامام بالظروف العجيبة للأقطار النائية الى أن يحاول حيثما ذهب ، الحصول على معلومات صحيحة حول تلك الموضوعات وتدوين الملحوظات حول كل ما رأى وما سمع ، لكى يشبع ما طبع عليه مولاة من حب الاستطلاع . وخلاصة القول أنه تمكن أثناء السنوات السبع عشرة (٣٥) التى قضاها فى خدمته من جعل نفسه عظيم النفع ، حتى أصبح يستخدم فى مهام سرية تحتاج الى ثقة خاصة بكل أرجاء الامبراطورية وما يتبعها من دول .



وكان في بعض الأحيان يسافر أيضا على حسابه الخاص ، ولكن ذلك كان دائما برضاء الخان الأعظم وباقرار من سلطته ومشيبته ، ففي تلك الظروف أتاحت لماركو بولو فرصة لاكتساب معرفة بأشياء كثيرة لا حصر لها ، أما عن طريق مشاهداته الخاصة أو مما جمعه من الآخرين ، وهي أشياء ظلت حتى زمانه مجهولة - عن الاصقاع الشرقية من العالم ، أشياء دونها بقلمه بجد وانتظام ، كما سيتجلى ذلك في « سياق » الكتاب وحصل بهذه الوسيلة على قدر كبير من التكريم والتشريف آثار غيره موظفى البلاط الآخرين .

قسم ( ٥ ) الآن وقد أقام هؤلاء البنادقة تلك السنوات الكثيرة فى البلاط الامبراطورى ، وحققوا فى ابان تلك الفترة ثروة طائلة ، قوامها الجواهر النفيسة والذهب الابريز فانهم أحسوا برغبة ملحة فى زيارة وطنهم الأصلي . ومهما يبلغ من اكرامهم وتدليلهم على يد العاهل الأكبر ، فان تلك العاطفة كانت متسلطة دوما على عقولهم ثم ازدادت تلك الرغبة العاحا وصارت شغلهم الشاغل ، كلما قلبوا الفكر حول شيخوخة الخان الأعظم الذى لو حدثت وفاته قبل رحيلهم عن البلاط ، لحرموا من تلك المساعدة العسامة ( الحكومية ) التى يستطيعون بها وحدها التغلب على ما يقابلهم فى رحلتهم الشديدة الطول من صعوبات لا حصر لها ولا عد ، وأن يبلغوا ديارهم سالمين وهو أمر يحق لهم عقلا أن يؤملوا حدوثه لو تم فى أيام حياته وبفضل مرضاته . وبناء على هذا انتهز نيقولو بولو فرصة ذات يوم وقد لحظ عليه انشراحا أكثر من المعتاد ، فانطرح عند قدميه والتمس منه باسمه واسم عائلته أن يحضوا باذن كريم من جلالته بالرحيل . ولكنه بدلا من ابداء الاستعداد لقبول ذلك الملتمس بدا عليه - الاستياء من الالتماس ، وسأل عن الدافع الذى يمكن أن يراودهم حتى يرغبوا فى تعريض أنفسهم لجميع المتاعب والمخاطر التى سيتعرضون لها فى رحلة قد يفقدون فيها حياتهم قال :

فان كان غرضهم الغنم والكسب ، فانه لعل استعداد  
لاعطائهم ضعف أى قدر امتلاكه ، وأن يغمروهم بالتشريف الى  
أقصى مدى يرغبونه ولكنه نتيجة للاحترام الذى يكتنه لهم ،  
لا بد له من رفض ملتزمهم رفضا باتا .

وتصادف أنه ماتت قرب تلك المدة الملكة بولجانا (٣٦)،  
زوجة أرغون (٣٧) عاهل بلاد الهند ، وعلى سبيل الرغبة  
الآخيرة ( التى تركتها أيضا بشكل مستند كتابى ) . ناشدت  
زوجها ألا تخلفها أية امرأة أخرى فى عرشه وعاطفته لا تكون  
سليلة من حرائر أسرتها التى كانت تقيم آنذاك فى ممتلكات  
الخان الأعظم (٣٨) ، بقطر كاثاي (٣٩) . واذ رغب أرغون فى  
الاستجابة لهذا الرجاء الجاد ، فانه أرسل ثلاثة من أشrafه ،  
وهم رجال من الحصفاء المتزنين كانت أسماؤهم بولاتيا  
وأبوسكا وجوزا (٤٠) - تحيط بهم حاشية كثيرة العدد ،  
ليكونوا سفراءه الى الخان الأعظم ، مع مناشدته أن يتلقى  
على يديه عذراء تكون زوجة له من بين أقرباء ملكته  
المتوفاة . وقوبل الالتماس بقبول حسن ، ووقع الاختيار  
تحت اشراف جلالته على آنسة فى السابعة عشرة من عمرها  
بارعة الجمال فائقة التهذيب . اسمها كوجاتين (٤١) ، وافق  
عليها السفراء ملء قلوبهم عندما عرضت عليهم ،  
حتى اذا تمت جميع الاستعدادات لرحيلهم ، وعينت  
لمصاحبته حاشية كبيرة من الأتباع تشريفًا للزوجة المقبلة  
للملك أرغون تلقوا من الخان الأعظم وداعا كريما ،  
وخرجوا من رحلة العودة فى نفس الطريق التى منها جاءوا  
على أنهم بعد مسيرة ثمانية أشهر حيل بينهم وبين التقدم  
اذ سد الطرق أمامهم ، اندلاع الحروب من جديد بين أفراد  
النتار (٤٢) ، فأكروها على الرغم منهم الى اتخاذ اجراءات  
العودة الى بلاط الخان الأعظم ، وعرضوا عليه المعوقات  
التي اعترضت سبيلهم . .



وتصادف أن عاد ماركو بولو قرب وقت رجوعهم الى  
القصر من رحلة قام بها مع بضعة سفن تحت امرته ، الى  
بعض أجزاء الهند الشرقية (٤٣) ، وأبلغ الخان الأعظم -  
الأنباء التي أتى بها فيما يتعلق بالأقطار التي زارها مع  
تبيان الظروف التي أحاطت برحلته البحرية ، التي قال عنها  
انها تمت في تلك البحار بالسلامة التامة . وما كادت هذه  
الملحوظة الأخيرة تطرق مسامع السفراء الثلاثة ، الذين  
كانوا في أشد القلق مدة ثلاث سنوات - حتى عقدوا لقاء  
مع بنادقتنا ، فوجدوهم لا يقلون عنهم رغبة في العودة لزيارة  
بلادهم . وتم الاتفاق بينهم أن يلتبس الأولون ومعهم  
ملكهم الصغيرة - المشول بين يدي الخان الأعظم - وأن  
يعرضوا عليه مدى الراحة والأمن اللذين ستتم في ظلهما  
عودتهم بحرا الى مملكة مولاهم وذلك بينما ستكون الرحلة  
أقل نفقة من الرحلة برا (٤٤) - كما تتم في زمن أقصر .  
وذلك طبقا لخبرة ماركو بولو ، الذي أبحر في الآونة الأخيرة  
بتلك الأرجاء . فلو رأوا من جلالته ميلا الى الموافقة على  
استخدامهم طريقة الانتقال البحري تلك ، فان عليهم عندئذ  
أن يحثوه على السماح للأوربيين الثلاثة بمرافقتهم في  
رحلتهم لما هم عليه من مهارة فائقة في شئون الملاحة ، حتى  
يصلوا الى ممتلكات الملك أرغون . وبدأت على وجه الخان  
الأعظم عند تلقيه هذا الالتماس علائم الاستياء البالغ وذلك  
لشدة عزوفه عن الافتراق عن البنادقة . غير أنه قد أحس  
مع ذلك أنه لا يجمل به الا أن يوافق ولم يسعه الا الاذعان  
للمتمسهم . ولولا أنه وجد نفسه ملزما بحكم أهمية هذه  
الحالة الخاصة والحاحها ، لما استطاعوا الحصول منه بأي  
وجه آخر على الاذن لهم بالانسحاب من خدمته . ومع ذلك  
فانه أرسل اليهم وخاطبهم في قدر كبير من الرفق والتنازل،  
مؤكداهم تقديره ومطالبياهم بأن يعدوه بالعودة اليه  
مرة ثانية ، بعد قضاء مدة في أوروبا والاقامة مع عائلاتهم

ردحا من الزمن - وأمر بهم - وهذا الهدف أمامه رأى العين -  
فزودوا باللوحة الذهبية ( أو النوط الملكي ) - التى تحمل  
أمره بحصولهم على وسائل الارتحال المجانية وكفالة سلامة  
الآمن لهم فى كل أرجاء ممتلكاته ، وتزويدهم بكل ما يلزمهم  
من مؤن لأنفسهم وأتباعهم ، ثم أعطاهم بالمثل الحق فى  
التصرف بصفتهم سفراء لدى البابا ، وملوك فرنسا وأسبانيا  
وغيرهم من الأمراء المسيحيين (٤٥) .

وفى الحين نفسه - أعدت العدة لتجهيز أربع عشرة  
سفينة ، لكل منها أربع ساريات ولكل منها القدرة على  
الاقلاع بتسعة قلوب (٤٦) . ، ويحتاج بناؤها وتزويدها  
بالأشعة والصواري الى وصف منتهى ، ولكنه ، رغبة فى  
عدم الإطالة ألغى مؤقتا . وكان بين هذه السفن أربع أو  
خمس على الأقل عليها بحارة عدتهم مائتان وخمسون أو  
مائتان وستون . وفى تلك السفن نزل السفراء وقد وضعوا  
الملكة فى حمايتهم ومعهم نيقولو ومافيو وماركو بولو ،  
وبعد ما استأذنوا أولا فى السفر من الخان الأعظم الذى  
أهداهم كثيرا من أحجار الياقوت ، فضلا عن جواهر أخرى  
نفيسة كثيرة ذات قيمة عظيمة ، ثم أصدر توجيهاته كذلك بأن  
تزود السفن بالخبز والمؤن الكافية لمدة سنتين (٤٧) . . .

ق ٦ - وبعد رحلة دامت ثلاثة أشهر وصلوا الى جزيرة  
تقع على اتجاه جنوبى ، تسمى جاوة (٤٨) ، وفيها شاهدوا  
أشياء متنوعة جديدة بالالتفات ، وستكون موضع الملاحظة  
فى سياق الكتاب . وبانطلاقهم من ذلك المكان استغرقوا ثمانية  
عشر شهرا فى البحار الهندية قبل أن يتمكنوا من بلوغ المكان  
الذى يقصدونه ببلاد الملك أرغون (٤٩) ، وفى أثناء هذا  
الجزء من رحلتهم أيضا ، أتاحت لهم فرصة لاحظوا فيها  
كثيرا من الأشياء ، ستروى بالمثل فيما بعد . على أنه ربما  
جاز هنا أن نذكر أنه بين يوم رحيلهم ويوم وصولهم لقى



منيته من بين ملاحى السفن وغيرهم ممن نزلوا فيها  
ما يقارب ستمائة رجل ، كما أنه لم يعيش بعد الرحلة من  
السفراء الثلاثة سوى واحد هو المسمى جوزا ، وذلك بينما  
لم يمت من بين جميع السيدات وحاشية الاناث الا واحدة  
فقط ( ٥٠ ) .

وعند رسوهم على الشاطئ ابلغوا أن الملك أرغون  
أدركته المنية قبل ذلك بقليل ( ٥١ ) ، وأن حكم البلاد كان  
يدبر شئونه ، باسم ولده الذى كان لا يزال شابا يافعا ،  
شخص اسمه كى أكاتوا ( ٥٢ ) - وأبدوا رغبتهم فى الحصول  
منه على التعليمات التى ينبغى اتباعها حول طريقة التصرف  
فى الأميرة ، التى نقلوها الى هذا المكان بأمر الملك الراحل  
وكان جوابه أنه ينبغى لهم تقديم السيدة الى قاسان ( ٥٣ ) ،  
ابن أرغون الذى كان عند ذلك فى مكان ما ، على حدود  
فارس ، يستمد اسمه من الشجرة الجافة (Arbor Secco) ( ٥٤ ) -  
يحتشد عنده جيش عدته ستون ألف رجل بقصد حراسة  
بعض ممرات معينة من غارات العدو ( ٥٥ ) - فتقدموا  
لوضع ذلك موضع التنفيذ حتى اذا فعلوه ، عادوا أدراجهم  
الى مقر حكم كى أكاتوا ، لأن الطريق الذى يتحتم سلوكه  
فيما بعد يقع فى ذلك الاتجاه ( ٥٦ ) - على أنهم أخذوا  
الى الراحة هنا مدة تسعة أشهر ( ٥٧ ) - وعندما استأذنوه  
فى السفر زودهم بأربع لوحات ذهبية وطول كل منها ذراع  
وعرضها خمس بوصات وتزن ثلاث أو أربع ماركات من  
الذهب ( يعادل وزن كل مارك منها ثمانى أوقيات ) ( ٥٨ ) -  
وقد بدأ مافيا من نقوش باستنزال بركات القوى القاهر  
على الخان الأعظم ( ٥٩ ) - والدعاء له بأن يصون اسمه مكللا  
بالتوقير الى أعوام كثيرة والانداز بعقوبة الموت ومصادرة  
الممتلكات لكل من يأبى الخضوع للأمر الرسمى ، ثم مضت  
اللوحة توجه التعليمات بأنه ينبغى أن يعامل السفراء الثلاثة  
بوصفهم ممثليه ، فى كل أقطار ممتلكاته ، قاصيها ودانيها ،

بالتكريم الوافى وأن تسدد جميع نفقاتهم ، وأن يزودوا  
بما يلزم من حرس وقد تم الاذعان لذلك كله ، وخرج  
لحمايتهم من أماكن كثيرة حرس عدته مائتا راكب . هذا الى  
انه لم يكن فى الامكان الاستغناء عن هذا الاحتياط ، نظرا  
لأن حكم كى اكاتو كان مكروها من الشعب ، وكان الناس  
ميالين الى توجيه الاهانات اليه بل والانزلاق الى الاعتداءات،  
وهو مالم يكونوا ليجرؤوا على محاولته تحت حكم ملكهم  
الأصلى (٦٠) - وتلقى رجالونا فى أثناء رحلتهم نبأ عن الخان  
الأعظم قبلاى بأنه رحل عن هذه الدنيا (٦١) ، وهو نبأ وضع  
حدا نهائيا لأى احتمال فى المستقبل لعودتهم لزيارة تلك  
الأقاليم . وواصلوا المضى فى طريقهم الأصلى المقصود حتى  
وصلوا أخيرا الى مدينة ترابيزون ومنها استأنفوا السفر الى  
القسطنطينية ثم الى نجروبولنت (٦٢) وأخيرا الى البندقية  
التي وصلوا اليها ، مستمتعين بالصحة والثراء العريض فى  
عام ١٢٩٥ . وبهذه المناسبة رفعوا صلوات الشكر الى الله العلى  
الذى تفضل فأراحهم بنعمته من تلك المتاعب المرهقة بعد  
ما حفظهم من مهالك لا عداد لها - ويمكن اعتبار البيان  
السابق فصلا تمهيدا ، الغرض منه أن يلم القارىء بالفرص  
التي أتاحت لماركو بولو لاكتساب معرفة بالأشياء التي يصف،  
أثناء اقامة دامت مثل تلك المدة الطويلة من السنين فى  
الأجزاء الشرقية من العالم .



## الفصل الثانى

عن أرمينية الصغرى - وعن ميناء  
لاياسوس - وعن تخوم الولاية \*

يجمل بنا ، حين نشروع فى وصف الأقطار التى زارها  
ماركو بولو فى آسيا ، وما بها من الأشياء الجديرة بالملاحظة  
التى استرعت نظره فيها ، أن نذكر أن علينا أن نفرق بين  
أرمينيتين اثنتين : الصغرى والكبرى (١) \* ويقيم ملك  
أرمينية الصغرى بمدينة تسمى سباستوز (٢) ، ويحكم  
بلادها مراعىا الدقة فى العدالة \* وتكثر بها المدن والأماكن  
المحصنة والقلاع ، كما أنها تزخر بكل ضروريات الحياة ،  
فضلا عن كل ما يساهم فى وسائل الراحة والجمام \* فالصيد  
بنوعيه ، البهائم والطير ، كثير موفور \* على أنه ينبغى أن  
يقال مع ذلك أن هواء ذلك القطر ليس صحيحا تماما \* وكان  
أعيانها فى الأزمان السالفة ، جندا معنكة خبراء لهم قدرهم  
وشجاعتهم ، على أنهم أصبحوا اليوم من كبار المدمنين ومن  
الجببناء التافهين \* وتقع على ساحل البحر مدينة اسمها  
لاياسوس (٣) ، وهى مكان تدور فيه تجارة ضخمة \* ويكثر  
التجار من ارتياد مينائها ، قادمين من البندقية وجنوة ومن  
أماكن أخرى كثيرة ، وهم يتجرون فى التوابل وفى العقاقير  
المختلفة الأنواع ، وفى منسوجات الحرير والصوف ، وغير  
ذلك من السلع الثمينة \* والعادة أن من يبتغون السفر فى  
داخلية بلاد المشرق (٤) Levant يقصدون ابتداء إلى ثغر

لاياسوس ذاك • وحدود أرمينية الصفري هي في الجنوب  
أرض الميعاد التي يحتلها الآن العرب المسلمون Saracens (٥) ،  
وتعدها في الشمال كارامانيا ، التي يسكنها التركمان •  
وتقع في اتجاه الشمال الشرقي مدن قيصرية ، وسيفاستا (٦) ،  
ومدن أخرى كثيرة خاضعة للتتار ، كما يعدها من الجهة  
الغربية ، البحر الذي يمتد الى شواطئ بلاد المسيحية •



## الفصل الثالث

عن مقاطعة تركمانيا ، حيث توجد  
مدن كوجنى وقيصرية وسيفاستا ،  
وعن تجارتها •

يمكن تقسيم سكان تركمانيا (١) الى ثلاث طبقات •  
والتركمانيون ، الذين يبجلون محمدا ويتبعون شرعته ، شعب  
فضل غليظ ، خفيض الذكاء • وكانوا يسكنون بين الجبال ،  
وفي مواطن وعرة عسيرة الولوج ، وكل همهم العشور على  
مرعى طيب لماشيتهم ، وذلك لانهم يعتمدون فى طعامهم  
اعتمادا مطلقا على الغذاء الحيوانى • ولديهم هنا سلالة  
ممتازة من الخيل تسمى بالخيل التركى ، كما أن لديهم بغالا  
بديعة تباع بأسعار عالية (٢) • فأما الطبقات الأخرى فتتألف  
من الروم والأرمنيين ، الذين يسكنون فى المدن والأماكن  
الحصينة ، ويكتسبون معاشهم من التجارة والصناعة •  
وتصنع هنا أحسن وأجمل أنواع البسط ( السجاجيد ) ، كما  
تصنع كذلك الحرير المصبغة بالأرجوان وغيره من الألوان  
الزاهية • ومن بين مدنها قونية أو كوني وقيصرية وسيفاستا ،  
والأخيرة هى التى نال فيها القديس بليز تاج الشهادة (٣)  
وهى جميعا خاضعة للخان الأعظم امبراطور التتار الشرقيين ،  
الذى يعين عليها الولاية (٤) • وسنتحدث الآن عن أرمينية  
الكبرى •

## الفصل الرابع

عن أرمينية الكبرى ، التي بها  
مدن أرزنجان وأرجيرون ودارزين -  
وعن قلعة بايبورث - وعن انجبل  
الذى استقر عليه هلك نوح - وعن  
تخوم الولاية - وعن نبع عجيب من  
الزيت .

ان أرمينية الكبرى ولاية متسعة ، تقع عند مدخلها مدينة  
اسمها أرزنجان (١) ، تقوم بها صناعة نسيج قطنى رفيع  
جدا يسمى اليومبازين (٢) ، فضلا عن أنسجة أخرى كثيرة  
وعجيبة ، قد يمل القارىء من تعدادها . وبها أجمل وأبدع  
حمامات المياه الساخنة ، النابعة من الأرض ، والتي ليس  
لها ضريب فى أى مكان آخر (٣) ومعظم أهلها من الأرمنيين  
الوطنيين ، ولكنهم تحت سيادة التتار . وتضم الولاية مدنا  
كثيرة ، ولكن أرزنجان أهمها جميعا ، كما أنها مقر كرسى  
لكبير أساقفة ، وتتلوها فى الأهمية مدينتا أرجيرون (٤)  
ودارزين (٥) . وهى ولاية مترامية الأطراف ، كما أنها  
تصبح فى فصل الصيف مستقرا لجزء من جيش التتار  
الشرقيين ، بسبب الكلا الطيب الذى تقدمه لماشيتهم . حتى  
إذا اقترب الشتاء اضطروا الى تغيير مكانهم ، ومرد ذلك أنه  
يسقط بها ثلج كثيف جدا ، لا يسمح للخيل بالحصول على  
قوتها ، ولذا فانهم يتقدمون نحو الجنوب التماسا للدفع  
والأعلاف . ويوجد داخل قلعة اسمها بايبيرث (٦) وهى قلعة  
تلتقى بها أثناء ذهابك من تراپيزون الى توريس ، منجم  
غنى بالفضة (٧) ويقوم فى الجزء الأوسط من أرمينية جبل



شاهق الارتفاع بالغ الضخامة ، وهو الذى استوت عليه ،  
فيما يقال ، فلك نوح . فهو لهذا السبب يسمى جبل  
الفلك (٨) . ولا يمكن الدوران حول محيط قاعدته فى اقل  
من يومين . والصعود عليه يتعذر بسبب ما يتراكم عليه  
قرب القمة من الثلوج ، التى لا تذوب أبدا ، بل تواصل  
الزيادة مع كل هطول جديد لها . ومع هذا ، فالمناطق  
السفلى منه قرب السهل ، يعود ذوبان الثلج عليها بخصوبة  
التربة ، كما ينبت نباتا هو من الوفرة بحيث تجد بسببه  
جميع الماشية التى تتجمع هناك صيفا من المناطق المجاورة ،  
مرعى وزادا لا ينضب أبدا (٩) ، وتتأخم أرمينية من الجنوب  
الغربى منطلقتا الموصل وماردين ، اللتين سنصفهما بعد ،  
فضلا عن نواح أخرى كثيرة لا يتسع المقام لتفصيل فيها .  
وتقع زورزانيا الى الشمال ، وهى التى يوجد قرب تخومها  
نبع من الزيت يخرج مقدارا يبلغ من ضخامته أن يشكل  
أحمالا لكثرة كبيرة من الابل (١٠) وهو لا يستخدم من أجل  
أغراض الطعام ، ولكنه يستخدم دهانا للأمراض الجلدية  
فى الانسان والبهائم ، فضلا عن بعض علل أخرى ، وهو  
صالح أيضا للاحتراق . وهم لا يستخدمون فى المنطقة  
المجاورة أى زيت آخر فى مصابيحهم ، ويتوافد الناس من  
مناطق بعيدة للحصول عليه .

## الفصل الخامس

عن ولاية زورزانيا وحدودها -  
وعن الممر الذى أقام فيه الاسكندر  
بوابة الحديد - وعن الظروف  
المعجزية المحيطة ببيتبوع فى تفليس \*

يلقب الملك فى زورزانيا (١) بلقب « داود الملك »  
David Melik (٢) \* ويخضع جزء من القطر للتتار ، كما  
أن الجزء الآخر ظل فى قبضة أمراءه الوطنيين ، بسبب  
ما يقوم فيه من قلاع منيعة \* وهى تقع بين بحرین ، يسمى  
أحدهما الواقع فى الجهة الشمالية (الغربية) باسم البحر  
الأعظم ( وهو اليوكسين أو الأسود ) ، كما يسمى البحر  
الآخر الواقع فى الجهة الشرقية ، باسم بحر أباكو  
( قزوين ) (٣) \* ومحيط هذا البحر الثانى ألفان وثمانمئة  
من الأميال ، وهو يشبه فى طبيعته إحدى البحيرات ، إذ لا  
اتصال بينه وبين أى بحر آخر ، وبه جزر كثيرة ، بها المدن  
والقلاع الرشيقة ، التى منها ما يسكنه قوم فروا أمام التتار  
الأعظم ، عندما حول مملكة أو ولاية فارس (٤) خرابا يبابا ،  
ولاذوا بهذه الجزر أو بصياصى الجبال المنيعة حيث رجوا  
أن يجدوا الأمن والسلامة \* وبعض الجزر غير مزروعة \*  
على أن هذا البحر ينتج كميات موفورة من السمك وبخاصة  
من الحفش والسلمون ، عند مصبات الأنهار ، فضلا عن  
أسماك أخرى من نوع ضخمة (٥) \* والشجر المنتشر بالبلاد  
هو شجرة البقس (٦) \* وبلغنى أن ملوك البلاد كانوا  
يولدون فى الأزمنة الخوالي وقد وسمت كتفهم اليمنى برسم  
نسر (٧) \* والناس هناك قوم أقوياء البنية ، وبحارة شجمان ،



ورماة محنكون وجند ذوو جلد فى النزال - وهم مسيحيون ،  
يتبعون شعائر الكنيسة اليونانية ، ولكنهم يقصرون شعورهم  
على طريقة رجال الدين الغربيين - وتلك هى الولاية ، التى  
لم يستطع الاسكندر الاكبر اختراقها ، عندما حاول التقدم  
شمالا ، وكان ذلك بسبب ضيق أحد الممرات وما يكتنفه من  
صعوبات ، فهو اذ يضربه البحر بأمواجه من ناحية ، ويحده  
من الجانب الآخر جبال عالية وغابات على امتداد أربعة  
أميال ، فان بضعة قليلة من الرجال كانت قادرة على الدفاع  
عنه ولو اجتمع عليها العالم أجمع - ولما خابت آمال الاسكندر  
فى هذه المحاولة ، امر ببناء حائط ضخيم عند مدخل الممر ،  
وحصنها بالأبراج ، ليمنع من يسكنون وراءها من الحاق  
المضايقة به - وحصل الممر ، نتيجة لقوته غير المألوفة ، على  
اسم البوابة الحديدية (٨) ويشاع عن الاسكندر أنه حصر  
التتار بين جيلين - ومع ذلك فليس من الصواب تسمية هذا  
الشعب باسم التتر ، لأنهم لم يكونوا فى ذلك الزمان من  
التتار ، بل من جنس يسمى الكوماني (٩) ، مع خليط من  
أمم أخرى - وتقوم فى هذه الولاية مدن وقلاع كثيرة ،  
وحاجيات الحياة الضرورية موفرة بها ، وتنتج البلاد قدرا  
عظيما من الحرير ، وبها صناعة لنوع من القز المغزول  
بالقصب (خيوط الذهب) (١٠) - وهنا توجد نسور ذات  
حجم ضخم ، من نوع يسمى بالأفيجى - (١١) - ويكسب  
الكافة من السكان معاشهم على الجملة بالتجارة والعمل  
اليدوى - وحالت طبيعة الاقليم الجبلية ، بما لها من خنادق  
ضيقة وحصينة ، دون تمكن التتار من اتمام الفتح الكامل  
لها - ويقال انه تحدث الظروف الاعجازية التالية بدير  
للرهبان مسمى على اسم القديس لوناردو ، اذ توجد هناك  
بحيرة ملحة ، محيط ساحلها مسيرة أربعة أيام ، وتقع الكنيسة  
على حافتها ولا يبدو السمك بها الا فى اليوم الأول من أيام  
الصوم الكبير ، ومنذ ذلك الوقت حتى ليلة عيد الفصح ،  
يوجد بوفرة هائلة ، على أنه يعود لا يرى فى يوم عيد الفصح

بدا ، ولا فى باقى ايام السنة • وهى تسمى بحسيرة  
جيلوتشالات (١٢) • وتصب فى بحر اباكو انف الذر ،  
لذى تحف به الجبال ، والانهار العظيمة : هرديل (١٣) ،  
رحيون وكور وراز ، وكثير غيرها • وقد بدا التجار  
الجنويون فى السفر فيه فى الآونة الأخيرة ، فهم يجلبون منه  
نوع الحرير المسمى بالغلى ghellie (١٤) وتوجد بهذه  
الولاية مدينة جميلة اسمها تفليس (١٥) تحيط بها الضواحي  
وكثير من المراكز المحصنة • ويسكنها مسيحيون من الأرمن  
والكرج ، كما يسكنها بعض المسلمين واليهود (١٦) ، ولكن  
الطائفتين الأخيرتين ليستا ذواتا عدد كبير • وتدور بها  
صناعات الحرير وغيره من السلع • وسكانها رعايا ملك التتار  
العظيم (١٧) ومع أننا لا نتحدث الا عن عدد قليل من المدن  
الكبرى بكل ولاية ، فانه ينبغى لنا أن نفهم أن هناك مدنا  
أخرى كثيرة ، ليس من الضروري ذكرها بالذات ، ما لم  
يتصادف أن تحتوى شيئا يسترعى الأنظار • على أنه لا بد من  
وصف تلك أيضا لو دعت الضرورة الى ذلك • والآن وقد  
تحدثنا عن المدن المتاخمة لأرمينية من الشمال ، فائنا سنذكر  
الآن ما يقع منها فى الجنوب والشرق •



## الفصل السادس

عن ولاية الموصل وما بها من  
سكان متنوعين - عن الشعب المسمى  
بالكرد - وعن تجارة هذه البلاد \*

الموصل ولاية ضخمة (١) ، تسكنها أخلاط شتى من  
الشعوب لها أوصافها المختلفة ، وتؤمن طائفة منها بالنبي  
محمد وتسمى العرب (٢) - وأما الآخرون فيعتنقون الدين  
المسيحي ، ولكن ليس طبقا لقوانين الكنيسة ( الكاثوليكية )  
التي يختلفون عنها في كثير من الحالات ، ويسمون بالنساطرة  
واليعاقبة والأرمن ، ولديهم بطريق ، يسمونه الجاكوليت  
وهو الذى يرسم كبرى الأساقفة ، ورؤساء الأديرة ويرسلهم  
الى جميع أصقاع الهند والى القاهرة وبلد اش ( بغداد ) ،  
والى جميع الأماكن التى يسكنها مسيحيون ، على نفس الشاكلة  
التي يتبعها بابا الكنيسة الرومانية ( الكاثوليكية ) \* وجميع  
الأنسجة الذهبية والحريرية التى نسميها بالموسلين (٤) هى  
من صنع الموصل ، كما أن جميع التجار الذين ينعتون  
«موسولينى» ، والذين يحملون الأفاوية والعقاقير ، بمقادير  
ضخمة من اقليم الى اقليم ، ينتمون الى تلك الولاية \* ويسكن  
الأجزاء الجبلية جنس من الناس يسمى بالأكراد ، بعضهم  
مسيحيون من النساطرة أو اليعاقبة ، وبعضهم الآخر من  
المسلمين \* وجميعهم قوم لا مبدأ لهم ، صناعتهم سلب

التجار (٥) والى جوار هذه المقاطعة مكانان يسميان موس  
Mus وماردين (٦) ينتج بهما القطن بوفرة عظيمة ، ومنه  
يجهزون القماش المسمى البوكاسيني ، فضلا عن منسوجات  
أخرى كثيرة . والسكان قوم من الصنائع والتجار وهم جميعا  
من رعايا ملك التتار . وسنتحدث الآن عن مدينة بلداش  
( بغداد ) .



## الفصل السابع

عن المدينة العظيمة بلداش أو  
ياجادت (بغداد) ، التي كانت تسمى  
قديما بابل - وعن الملاحه منها  
بآسارا ( البصرة ) ، الواقعة فيما  
يسمى ببحر الهند ، ولعله هي  
الحقيقة الخليج الفارسي - وعن  
مختلف العلوم التي تدرس بتلك  
المدينة .

ان بلداش مدينة كبيرة ، وكانت فيما سبق المقر الرسمي  
للخليفة (١) ، أو الحبر الأعظم لجميع المسلمين ، شأن البابا ،  
بالنسبة للمسيحيين جميعا ، ويمر في وسطها نهر عظيم (٢) ،  
ينقل التجار بواسطته بضائعهم من بحر الهند واليه ، وتقدر  
المسافة هنا بملاحه سبعة عشر يوما ، وذلك بسبب كثرة  
التعاريج في مجراه . ومن يقومون بالرحلة يرسون بعد  
مقادرتهم النهر بمكان يسمى كيسى (٣) ، ومنه يتقدمون الى  
البحر : على أنهم قبل رسوهم هناك يمرون بمدينة تسمى  
البصرة Balsara (٤) ، تقع بالقرب منها أحراش من النخيل  
تنتج أجود بلح ( تمر ) في العالم . ويقوم ببلداش صناعة  
الحريير المغزول بخيوط الذهب ( القصب ) ، وكذلك صناعة  
الدمقس ، فضلا عن القطيفة ( المنخل ) المحلاة بأشكال الطير  
والحيوان (٥) . وتكاد جميع الآلئ المنقولة الى أوربا من  
الهند أن تجرى فيها عملية الثقب في هذا البلد . وتدرس  
الشريعة الاسلامية بها بكل عناية وانتظام ، كما يدرس  
السحر والفسوزيقى ، والفلك وعلم الفراسة والعرافة  
( استطلاع الغيب ) وهي أجمل وأوسع مدينة توجد في هذا  
الجزء من العالم .

## الفصل الثامن

حول أسر خليفة بلداش ، مصرعه ،  
ووزحة احد الجبال بطريقة معجزية .

لقى الخليفة سالف الذكر ، الذى يعرف عنه انه جمع كنورا اعظم واضخم مما جمعه اى ملك اخر على الزمان كله ، مصرعه البائس التعس فى الظروف التالية ( ١ ) . فى المدة التى شرع فيها أمراء التتار فى بسط سلطانهم ، كان بينهم أربعة اشقاء ، يحكم اكبرهم المسمى مانكو فى المقر المسمى للاسرة . ولما ان اخضعوا افليم خاتاي وغيره من الاصفاغ القائمة بتلك الناحية من العالم ، لم تقنع نفوسهم بما فتحوا ، بل تطلعت جشعا الى المزيد من الارض ، فصوروا بأخيلتهم فكرة الامبراطور العالمية الشاملة ، واقترحوا ان يقتسموا العالم فيما بينهم . حتى اذا استقر ذلك الهدف امام أعينهم ، اتفقوا ان يتقدم أحدهم نحو الشرق ، وأن يقوم آخر بفتوحاته فى الجنوب ، على حين يوجه الاثنان الآخران عملياتهما نحو الأصقاع الباقية من العالم . وكان القسم الجنوبي من نصيب أولاءو ، الذى جمع جحفا جارا ، ما أن أتم به اخضاع الولايات التى يخرقها طريقه ، حتى مضى قدما فى عام ١٢٥٥ لمهاجمة تلك المدينة بلداش ( ٢ ) . وأدرك أولاءو ما عليه بغداد من قوة عظيمة ومن تعداد هائل لسكانها ، فعمد الى استخدام الوسائل الاستراتيجية أكثر منه الى القوة فى اخضاعها ، ولجئ يخدع أعداءه عن عدد جنده ، وكانوا يألفون من مائة ألف راكب فضلا عن المشاة ، وضع



فريقا من جيشه قبالة أحد جوانبها ، ووضع فريقا آخر قريبا من مداخل المدينة ، بحيث تخفيه إحدى الغابات ، ووضع نفسه على رأس الفريق الثالث ، ثم تقدم بجرأة حتى أصبح على مسافة قريبة من البوابة .

واستخف الخليفة بتلك القوة الظاهرة الضعف ، ولوثوقه في كفاية الصيحات الإسلامية المعتادة لاثارة الحماسة ، لم يدر بخلده شيء أقل من القضاء عليه قضاء مبرما ، ومن أجل ذلك الغرض خرج الى ظاهر المدينة ومعه حراسه . ولكن ما كاد أولاء و يراه مقتربا ، حتى تظاهر بالتقهقر أمامه الى أن استدرجه بهذه الوسيلة الى ما وراء الغابة ، حيث اتخذ الفريقان الآخران قواعدهما . وعندما أطبق عليه الفريقان من الجانبين أصبح جيش الخليفة محاصرا وهزم ، وأخذ الخليفة نفسه أسيرا ، واستسلمت المدينة للفتح . وعند دخول المدينة ، اكتشف أولاءو دهشته العظيمة برجا مملوءا بالذهب . فاستدعى الخليفة أمامه ، وبعد توبيخه على شحه ، الذي منعه من انفاق كنوزه في انشاء جيش للدفاع عن عاصمته تلقاء الغزو القوى الذي ظلت مهددة به طويلا ، أمر به فزج سجيننا في ذلك البرج نفسه بلا زاد . وهناك انتهت حياته التعسة بين أكداس ما كنز من الثروة والكنوز .

وفي رأيي أن الرب يسوع المسيح رأى هنا أن من الخير أن ينتقم لما وقع من مظالم على خلصائه المسيحيين الذين كان مقت ذلك الخليفة لهم بالفا . فمنذ تولى الخلافة في ١٢٢٥ ، كان شغله الشاغل في كل يوم تدبير الوسائل لادخال كل من يقيم في دولته منهم في دينه ، أو في حالة رفضهم ذلك ، صياغة الحجج التي يتذرع بها لاعدامهم . وتشاور الخليفة مع علمائه من أجل هذا الغرض ، فاكتشفوا في الانجيل فقرة هذا نصها : « لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك

فينتقل « ، ( متى ١٧ : ٢٠ ) ( وذلك يتأتى بالصلاة والدعاء  
 بذلك الى رب الجلالة ) . وسر الخليفة بهذا الاكتشاف ، وان  
 اقتنع في قرارة نفسه بأن الأمر من المحال ، فأصدر الأوامر  
 بجمع جميع المسيحيين النساطرة واليعاقبة الذين يسكنون  
 في بغداد والذين كان عددهم عظيماً . ووجه الى هؤلاء هذا  
 السؤال : « هل تؤمنون بأن كل ما ورد في انجيلكم صحيح  
 أم لا ؟ » فأجابوه بأنه صحيح . فقال الخليفة : « ان كان  
 صحيحاً ما تقولون ، فلنر أيكم سيعطينا البرهان على ايمانه ،  
 لأن من المؤكد أنه ان لم يوجد بينكم واحد له ولو جزء ضئيل  
 من الايمان بربه ، قدر جبة خردل ، فسيكون لي الحق ، أن  
 أعدكم ، منذ الآن ، قوما شريرين وفسدة وعديمي الايمان .  
 من أجل ذلك فاني أمنحكم مهلة عشرة أيام ينبغي أن تتمكنوا  
 قبل انقضائها من زحزحة الجبل القائم أمامكم بفضل قوة  
 من تعبدون ، والا فلتمتنقوا شرعة نبينا ، وأنتم على الحالين  
 آمنون . فان لم تفعلوا ، وجب عليكم جميعاً أن تتوقعوا نكال  
 وانكر مصرع » . وعند سماع هذه الكلمات ارتعدت فرائص  
 المسيحيين اشفاقاً على حياتهم ، لما عرفوه فيه من قلب قاس  
 لا يرحم ومن توق الى اغتصاب ما يملكون من ثروات .  
 ولكنهم مع ذلك ، لامتلأهم بالثقة بفاديتهم وأنه سينقذهم مما  
 يتعرضون له من خطر ، عقدوا اجتماعاً وأخذوا يتشاورون  
 فيما ينبغي لهم عمله . ولم يخطر على بالهم الا شيء واحد هو  
 الابتغال الى بارئهم أن يمنحهم من لدنه عوناً من رحمته .  
 ولبلوغ تلك الغاية انطرح كل منهم كبيراً كان أم صغيراً على  
 الأرض ساجداً ليل نهار ، وهم يذرفون الدمع بغزارة ، دون  
 أن يهتموا بأي عمل آخر عدا الضراعة الى الله . فلما أن  
 واصلوا ذلك مثابرين ثمانية أيام كاملة ، جاء التجلي الالهي  
 آخر الأمر على صورة حلم رآه أسقف يعيش عيشة تقوى  
 مثالية ، ويوجهه الى البحث عن اسكاف ( صانع أحذية ) معين  
 ( لا يعرف اسمه ) ليس له الا عين واحدة ، ودعوته الى ذلك  
 الانجيل ، على اعتبار أنه شخص قادر على القيام فعلاً بزحزحته



عن مكانه ، بفضل الله ونعمائه . فلما أن وجد القوم ذلك الاسكاف وابلغوه نيا الرويا ، اجاب بانه لا يشعر في نفسه أنه جدير بالقيام بذلك ، اذ أن استحقاقاته ( جداراته ) ليست بالدرجة التي تؤهله للمكافأة بمثل تلك النعمة الزافرة . على انه ، لما الح عليه المسيحيون المسادين المروعون ، قبل في نهاية الامر . وينبغي ان يدون مفهومه انه كان رجلا شديد التمسك بالاخلاق الفاضلة والحديث الورع قد احتفظ بنقاء عقله والاخلاص لربه ، واطب على صلوات القداسات وغيرها من الواجبات الالهية ، وأظهر الحمية في أعمال الصدقة والبر ، والتشدد في أداء الأصوام . وحدث له ذات يوم أن امرأة حسناء شابة جاءت الى دكانه ليصنع لها حذاء ، وبينما هي تمد له قدمها ، كشفت بالصدفة عن جزء من ساقها ، فاستثار فيه جماله رغبة ملحة . ولكنه تدارك نفسه ، وصرف المرأة على الفور ، وأخذ يتذكر كلمات الانجيل التي تقول : « ان أعثرتك عينيك فاقلعها وألقها عنك ، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان » ( متى ١٨ : ٩ ) ، ومد يده على الفور فقلع عينه اليمنى باحدى آلات صنعته ، مظهرا بهذا العمل ، فوق كل ريب وشبهة ، عظمة ايمانه .

فلما أن وافى اليوم المحدد ، أقيمت الصلوات الدينية في ساعة مبكرة من الفجر ، وانطلق موكب رهيب الى الوادى الذى يقف فيه الجبل ، وقد حمل الصليب المقدس في المقدمة . ولاعتقاد الخليفة أنه موكب سينتهى الى الفشل من جانب المسيحيين ، فانه أثر أن يشهده بنفسه ، فحضر ترافقه كوكبة من جرسه ، بقصد القضاء عليهم فى حالة فشل المحاولة ، وهنا أقبل الصانع التقى ، وقد جثا أمام الصليب ، ورفع أكف الضراعة الى السماء ، فالتمس من خالقه بذلة وخضوع أن يشمل الأرض بنظرة من رحمته ، ومن أجل مجد اسمه وعظمته ، ومن أجل تأييد الايمان المسيحي وتثبيتته ، أن يمد

يد العون لشعبه في القيام بذلك العمل المفروض عليهم  
وبذلك يظهر جبروته لدل من ينالون من شريعته • ولما ان  
ختم صلاته صاح بصوت مرتفع : « باسم الاب والابن والروح  
القدس ، امرك ايها الجبل ان ترحل نفسك ! » وعند نطق  
هذه الكلمات تحرك الجبل ، واهتزت الأرض في الحين نفسه  
بطريقة مدهشة ومروعة ، وبهت الخليفة وكل من أحاطوا  
به ومسهم الرعب وظلوا مذهولين أمدا طويلا • واعتنق كثير  
من رجاله النصرانية ، بل انه حتى الخليفة نفسه اعتنق  
المسيحية سرا ، حيث ظل على الدوام يحمل صليبا يخفيه تحت  
أثوابه ، وجد حول عنقه بعد أن لقي مصرعه • ولهذا السبب  
لم يدفنوه في مدافن أسلافه • وتخليدا لتلك النعمة الفريدة  
التي حباهم بها الله ، لا يبرح جميع المسيحيين ، نساظرة  
ويعاقبه ، يحتفلون منذ تلك اللحظة بطريقة وقورة بعودة  
ذلك اليوم الذي حدثت فيه المعجزة ، محتفظين كذلك بصوم  
أثناء شهرهم ليلة الذكرى ، في التهجد (٣) •



## الفصل التاسع .

عن مدينة توريس ( تبريز ) الفخمة  
بالعراق وعن سكانها من التجار  
وغيرهم .

ان توريس مدينة ضخمة وبالفة الفخامة تتبع ولاية  
العراق ، التي تحوى مدنا أخرى كثيرة ومواقع حصينة ،  
ولكن هذه أرفعها شأنا وأكثرها سكانا ( ١ ) . ويعتمد السكان  
فى معاشهم بصفة رئيسية على التجارة والصناعات ، والأخيرة  
تشمل صنع أنواع مختلفة من الحرير بعضها مخلوط بخيوط  
الذهب وله أثمان عالية فى الأسواق . فهى فى موقع بالغ  
الملاءمة للتجارة ، بحيث يفد اليها التجار من الهند وبلدات  
والموصل وكريميور ( ٢ ) ، فضلا عن أصقاع مختلفة من أوربا ،  
ليشتروا ويبيعوا فيها طائفة من السلع . وفى الامكان الحصول  
فى هذا المكان على الأحجار النفيسة واللآلئ بكميات وفيرة  
ويحرز التجار المشتغلون بالتجارة الأجنبية ثروات ضخمة ،  
فأما السكان بعامة فيغلب عليهم الفقر . وهم يألفون من خليط  
من أمم ونحل مختلفة : ما بين نساطرة وأرمنيين ، ويماقبة  
وكرجيين وفرس ومن أتباع محمد المسلمين الذين يشكلون  
الكتلة الكبرى للسكان ، وهم الذين يسمون بحق  
التبريزيين ( ٤ ) . ولكل ضرب من هؤلاء الأقوام لغته الخاصة .  
والمدينة محاطة بحدائق ذات بهجة ، تنتج أبداع الثمار ( ٥ ) .  
والسكان المسلمون قوم اتصفوا بالخيانة والفدر والتجرد  
من المبادئ . وهم يعتقدون أن ملتهم ترى ( كذا !! ) . ان  
كل ما سرق أو نهب من أبناء الديانات الأخرى ، فهو أخذ

حلال وأن السرقة ليست جريمة ، بينما يعد كل من لقي  
مصرعه على يد النصارى ، شهيدا . فلو لم يمنعهم أو يكبحهم  
اذن السلطان الذى يحكمهم الآن (٦) ، لارتكبوا أفعالا نكراء  
كثيرة . وهذه المبادئ شائعة بين المسلمين جميعا (كذا !!) .  
وعندما تحين منيتهم يشهدهم قسيسهم ( كذا ! ) ويسألهم :  
أيؤمنون بأن محمدا هو رسول الله حقا . فان أجابوا بالايجاب  
وأنهم يؤمنون بذلك . فعلا ، تحقق لهم خلاصهم فى الآخرة ،  
ونتيجة لهذه السهولة فى التحلة من الذنوب ، وهو أمر يفسح  
المجال لارتكاب كل معصية شائنة ، نجحوا فى أن يضموا الى  
دينهم نسبة ضخمة من التتار ، الذين يرون فيه وسيلة تزيح  
عن كاهلهم كل حظر على ارتكاب الجرائم . ( كذا ؟ !! ) -  
المترجم - ) . والمسافة من تبريز الى فارس مسيرة اثنى عشر  
يوما (٧) .



## الفصل العاشر

عن دير القديس برسامو ، قرب  
مدينة توريس \*

يوجد غير بعيد من توريس دير ، يستمد اسمه من  
القديس التقى برسامو (١) ويشتهر أهله بالتقوى \* ويقوم  
به هنا رئيس ورهبان كثار ، يشبهون في زيهم هيئة الرهبان  
الكرملين \* ولكيلا يعيشوا عيش الكسل ، يشغلون أنفسهم  
على الدوام في نسج الزناير (التكك أو النطاقات) الصوفية،  
التي يضعونها على مذبح قديسهم أثناء القيام بالخدمة  
الدينية ، وعندما يدورون في أرجاء الولايات ، يستجدون  
الصدقات ( على نفس الطريقة التي يفعلها رهبان هيئة  
الروح القدس ) ، يهدون هذه الزناير الى أصدقائهم وإلى  
ذوى المكانة من الناس ، لأنها موضع التقدير في علاج الآلام  
الروماتزمية ، فهي لهذا السبب تطلبها جميع الطبقات في  
ورع وخشوع \*

## الفصل الحادى عشر

### عن ولاية فارس

كانت فارس فى الزمان الخالى ، ولاية مترامية وفاخرة ، ولكنها الآن تدمرت الى حد كبير على يد التتار . وتوجد بفارس بلدة اسمها سايا ، هى التى وفد منها المجوس الثلاثة الذين جاءوا للسجود للسيد المسيح فى بيت لحم ، وثلاثتهم مدفونون بتلك البلدة فى ناووس جميل ، وأجسام ثلاثتهم مكتملة السلامة بلعاهم وشعرهم . وكان اسم أحدهم بلداسار واسم الثانى جسبار واسم الثالث ملكيور . وأكثر ماركو من الاستفهام بتلك المدينة حول المجوس الثلاثة ، ولم يستطع أحد أن يخبره بشيء عنهم ، عدا أن المجوس الثلاثة كانوا مدفونين هناك من سالف الأزمان . وبعد رحلة ثلاثة أيام نصل الى قلعة تسمى بالاساتا ، ومعناها قلعة عبدة النار . وفى الحق أن سكان هذه القلعة يعبدون النار ، وذلك هو السبب الذى يقدم تعليلا لهذا . ويقول أهل تلك القلعة انه حدث فى قديم الزمان أن ملوكا ثلاثة لذلك الاقليم ذهبوا ليمجدوا ملكا معينا ولد حديثا ، وحملوا معهم ثلاث هدايا ، هى الذهب واللبان والمر : فالذهب لكى يعرفوا هل هو ملك دنيوى ، واللبان لكى يعرفوا هل هو رب ، والمر لكى يعرفوا ان كان انسانا فانيا . ولما قدم هؤلاء المجوس الى المسيح ، سجد له أصفر الثلاثة أولا ، وبدأ له أن المسيح كان يعادله قامة وسنا . ثم جاء الأوسط فالأكبر ، فبدأ لكل منهما كأنما يكافئه قامة وسنا . فلما أن تساروا فيما بينهم حول

مشاهداتهم ، اتفقوا على التقدم للعبادة والسجود على الفور ،  
وعندئذ بدا لهم جميعا فى سنة الحقيقية • وعند انصرافهم  
أعطاهم الطفل صندوقا مقفلا ، حملوه معهم عدة أيام ، ثم  
دخلهم حب الاستطلاع الى تعرف ما أعطاهم ، ففتحوا  
الصندوق ووجدوا بداخله حجرا ، كان المقصود منه أن يكون  
علامة على أنه ينبغى لهم أن يظلوا صامدين كالحجر ، فى  
الايمان الذى تلقوه منه • على أنهم عندما رأوا الحجر ،  
عجبوا وظنوا أنهم خدعوا فألقوا بالحجر فى حفرة ، وعلى  
الفور اندلعت النار فى الحفرة ، فلما رأوا ذلك ندموا من  
الندم على ما فعلوا ، ثم اقتطعوا قبسا من النار وحملوه معهم  
الى بلادهم • حتى اذا وضعوها فى احدى كنائسهم (معابدهم)  
فانهم يعنون بالاحتفاظ بها مشتتة ، ويعبدون تلك النار  
ربا ، ويقربون جميع قرايبنهم بواسطتها • واذا تصادف  
أنها انطفأت ، ذهبوا يلتمسون غيرها من النار الأصلية فى  
الحفرة التى ألقوا فيها بالحجر ، والتى لا تخبو أبدا ، وهم  
لا يأخذون أقباسا من أية نار أخرى • ومن أجل ذلك يعبد  
أهل تلك البلاد النار • وقد علم ماركو ذلك كله من سكان  
تلك البلاد ، والحق ان أحد هؤلاء الملوك كان ملكا لسايبا ،  
والثانى لديافا ، والثالث ملكا للقلعة (١) والآن نعالج شأن  
أهالى فارس وبلادهم •



## الفصل الثاني عشر

عن أسماء الممالك الثماني التي  
تؤلف ولاية فارس ، وعن سلالة الخيل  
والحمير الموجودة هناك .

توجد بفارس ، وهي ولاية عظيمة ، ثمانى ممالك (١) ،  
وأسمائها كالتالى : - فأولى الممالك التى تلتقى بها عند  
دخول البلاد هى قزوین Kasibin - (٢) ، فأما الثانية ، وتقع  
الى الجنوب ( الغرب ) فهى كردستان (٣) والثالثة هى  
لور (٤) ، وإلى الشمال ، تقع الرابعة وهى سولستان (٥) ،  
الخامسة أصفهان (٦) ، والسادسة سیراس (٧) - ( شيراز ) ،  
والسابعة سيونكارا (٨) ، والثامنة تيموكاين (٩) ، وتقع  
فى أقصى بلاد فارس .

وجميع هذه الممالك تقع الى الجنوب عدا مملكة  
تيموكاين ، التى تقع فى الشمال قرب المكان المسمى بالشجرة  
الجافة Arbor Secco (١٠) . وتمتاز البلاد بسلالة الخيل  
المتأزاة التى تربي فيها ، والتى يحمل الكثير منها الى الهند  
لتباع هناك وتجلب أثمنا عالية ، لا يقل الواحد منها عن  
مائتى جنيه تورنوازي (١١) . وهى تنتج أيضا أضخم  
وأرشق ما فى العالم من الحمير ، وهى تباع ( بديار مرباها )  
على الفور بشعر أغلى من شعر الخيل ، لأنها أسهل مطعما ،  
وأقدر على حمل أثقال أكبر ، وأطول باعا وأمداء فى السفر  
نهارا من كل من الخيل والبغال ، التى لا تستطيع تحمل  
التعب بدرجة معادلة لتحمل هذه الحمير ، واذن فإن التجار  
الذين يضطرونهم الظروف فى أسفارهم من ولاية الى أخرى

الى اختراق صحارى مترامية وقطاعات من الرمال ، لا يلتقون فيها بأى نوع من العشب ، وحيث يكون من الضرورى ، بسبب بعد المسافات بين الآبار أو غيرها من أماكن السقاية ، القيام برحلات طويلة فى أثناء النهار ، مفضلين اياها على غيرها من دواب الحمل ، وذلك لأنها تمضى أسرع على الأرض وتحتاج الى قدر أصغر من الطعام . وتستخدم الجمال هنا أيضا ، وهذه بالمثل تحمل أثقالا عظيمة ، وتعيش على أقل التكاليف ، ولكنها لا تبلغ سرعة الحمير .

ويحمل تجار تلك الأصقاع الى جزيرة قيس (كيس) (١٢) ، والى هرمز والى أماكن أخرى على ساحل المحيط الهندى ، حيث يشتريها منهم من يحملونها الى بلاد الهند . على أنه نتيجة لشدة الحرارة بتلك البلاد ، فإنها لا تستطيع العيش طويلا لأنها فى الأصل من قاطنات المناخ المعتدل . والناس فى بعض هذه النواحي متوحشون ، متعطشون الى الدم ، شيمتهم المنتشرة هى جرح وقتل بعضهم بعضا . وهم لا يتورعون عن انزال الأذى بالتجار والمسافرين لولا امتلاء قلوبهم رعبا من التتار الشرقيين (١٣) ، الذين ينزلون بهم أقصى العقاب . ونشأ أيضا نظام خاص ، يقضى فى جميع الطرق التى يخشى فيها من الخطر ، بالزام السكان ، بناء على طلب التجار ، أن يزودوهم بأدلاء نشطين أمناء ، يقومون على ارشادهم وأمنهم بين كل ناحية وأخرى ، ويتقاضون أجرا مقداره جروتان (١٤) أو ثلاث ، عن كل دابة محملة تبعا للمسافة . وكلهم من أتباع الديانة المحمدية . ومع هذا فإن بالمدن تجارا وعددا غفيرا من الصنائع ، الذين يصنعون أنواعا كثيرة من أنسجة الحرير والذهب (١٥) . وينمو القطن بوفرة فى هذه البلاد ، كما ينمو القمح والشعير (١٦) ، والدخن ، وأنواع أخرى كثيرة من الحبوب ، وذلك فضلا عن الأعناب وجميع أصناف الفاكهة . وإذا أكد أى انسان أن

المسلمين لا يشربون الخمر ، لأن شريعتهم تحرمها ، أمكن أن نجيبه عن ذلك بأنهم يهدئون جائشة ضمائرهم في تلك النقطة ، باقناع أنفسهم بأنهم لو احتاطوا فأغلوا الخمر على النار حتى يستهلك منها جزء وتصبح حلوة، فإنهم يستطيعون شربها بغير خرق للوصية الربانية ، وذلك لأنهم اذ يغيرون طعمها يغيرون اسمها ، ولا يعودون يسمونها خمرا ، وان كانت كذلك في الواقع (١٧) .



## الفصل الثالث عشر

عن مدينة يزدي وصناعتها ، وعن  
الحيوانات الموجودة بالاقليم الممتد  
بين ذلك المكان وبين كرمان .

ان يزدي مدينة ضخمة على تخوم فارس تدور فيها تجارة  
عظيمة (١) . وهناك نوع من قماش الحرير والقصب  
( الذهب ) يصنع بها ويعرف باسم اليزدي ، ويحمله التجار  
منها الى جميع أرجاء العالم (٢) . وسكانها مسلمون .  
ويستغرق من يسافرون من هذه المدينة ، ثمانية أيام  
يقضونها في اختراق أحد السهول ، لا يجدون فيه على طول  
تلك المدة الا أماكن ثلاثة تتوفر فيها اللوازم والراحة (٣) .  
ويمتد الطريق وسط أحراش مترامية من نخيل البلح ،  
ويعيش فيها صيد كثير ما بين حيوان وطيور الجبل والسمان .  
فمن أولع من الرحالة بمتع المطاردة ، يستطيعون هنا  
الاستمتاع برياضة رائعة . وقد يلتقي المرء كذلك  
بحمر (٤) : ( الحمير المتوحشة ) في كثرة أعداد ورشاقة  
أجسام . وبعد انقضاء ثمانية أيام ، تصل الى مملكة تسمى  
كرمان (٥) .

## الفصل الرابع عشر

عن مملكة كرمان التي أسماها  
الأقلمون كرمانيا - وعن منتجاتها  
الحفرية والمدنية - وصناعاتها -  
وصقورها - وعن منحدر عظيم  
يشاهد عند الخروج من ذلك  
الأقليم .

إن كرمان مملكة تقع على الحدود الشرقية لبلاد  
فارس (١) ، وكان يحكمها فيما مضى ملوكها ، في تعاقب  
وزرائي . ولكن منذ أن أخضعها التتار لحكمهم ، صاروا  
يولون عليها حكاما حسب هواهم . وتوجد في جبال تلك  
البلاد الأحجار النفيسة المسماة بالفيروزج (٢) . وهناك  
أيضا عروق من الصلب (٣) ومن الأثمة ( الأنتيمون ) (٤)  
كبيرة المقادير . وهم يصنعون هنا بدرجة عظيمة من الاتقان  
جميع الأدوات اللازمة لعتاد الحرب ، كالسروج والأعنة  
( اللجم ) والمهاميز والسيوف والقسي والسهام والجمع وكل  
أنواع الأسلحة المستخدمة عند تلك الشعوب .

وتعمل النساء والصفار بالابرة وينتجون وشيا من  
الحرير والذهب ، منوع الألوان والرسوم ، يمثل الطير  
والحيوان ، مع أنماط زخرفية أخرى (٥) . وقد صممت  
هذه الأشغال للسثائر وأغطية الفراش والنمارق اللازمة  
لأماكن نوع الأغنياء ، وينفذ العمل بمهارة وذوق بالغين  
يثيران كل إعجاب . ويربى في المناطق الجبلية أحسن  
ما يطير على جناح من البوازي ( الصقور ) . وهي أصغر  
حجما من البوازي الجواله Peregrine وهي محمرة اللون حول

الصدر والبطن وأسفل الذيل ، ولها طيران بالغ السرعة بحيث لا يفلت منها طائر \* وعند مغادرتك كرمان ، تسافر سبعة أيام مخترقا سهلا منبسطا ، بطريق لطيف ، يزيد من لطفه كثرة ما فيه من الحجل وغيره من القنائص (٦) \* وكثيرا ما تلتقى أيضا بمدن وقلاع ، وكذا بمساكن متناثرة ، حتى تصل في النهاية الى جبل ، ينحدر منه بمنحدر شديد ، يستغرق قطعه يومين \* وتوجد بها أعداد لا حصر لها من أشجار الفاكهة ، وكانت الناحية أهلة بالناس فيما سلف من الزمان ، وان خلت في الوقت الحاضر من السكان ، الا أن يكونوا من الرعاة فقط ، وهم يشاهدون قياما على أنعامهم ترعى \* وفي تلك المنطقة من الاقليم التي تمر بها قبل بلوغ المنحدر ، يشتد البرد ويقسو حتى ان الانسان لا يستطيع وقاية نفسه منه الا بشق النفس وذلك بارتداء كثير من الثياب والفرجيات (وهي المعاطف الفضفاضة) المبطنة بالفراء (٧) \*



## الفصل الخامس عشر

عن مدينة كاماندو ناحية ريو بارله -  
وعن بعض الطيور الموجودة هناك -  
وعن نوع خاص من الثيران - وعن  
السكرانين ، وهم قبيلة من  
الصوص .

تصل عند نهاية منحدر هذا الجبل الى سهل  
يتسع ، في اتجاه جنوبي ، الى مسافة تبلغ مسيرة خمسة أيام ،  
توجد عند بدايته مدينة اسمها كاماندو (١) ، كانت فيما  
سبق ، مكانا عظيم الاتساع ، بالغ الأهمية ، ولكنها فقدت  
ذلك في أيامنا هذه ، وذلك لأن التتار دمروها وتركوها  
بلىعا مرات متكررة . وتسمى الناحية المجاورة ريو بارله (٢) .

ودرجة حرارة السهل دفيئة جدا . وهو ينتج القمح  
والأرز وغيرهما من الحبوب . وينمو على أقرب جزء منه الى  
التلال أشجار النخيل والرمان ، والسفرجل وأنواع عديدة  
من الفواكه الأخرى ، منها فاكهة تسمى تفاحة آدم (٣) وهي  
غير معروفة في مناخنا البارد . وتوجد القمارى (Turtle-doves)  
هنا بأعداد هائلة نتيجة لوفرة الفواكه الصغيرة التي تمدّها  
بالطعام ، ولعدم اقبال المسلمين على أكلها لأنهم يعدون ذلك  
مكروها (٤) .

وهناك بالمثل كثير من التدرج والدراج والأخيرة منها  
لا تماثل مثيلاتها بالأقطار الأخرى ، حيث لونها خليط من  
الأبيض والأسود مع منقار وأرجل حمراء (٥) .

وتوجد بين الماشية أيضا سلالات من نوع غير مألوف وبخاصة نوع من الثيران الضخمة البيضاء ، لها غلاف قصير الشعر أملسه ( وذلك نتيجة للمناخ الحار ) ، وقرونها قصيرة وغليلة وغير مستدقة الطرف ، ولها بين الأكتاف قتب محدودب أو سنام ، بارتفاع راحتي كفين تقريبا (٦) .  
وهي حيوانات جميلة ، ولما هي عليه من شديد القوة فانها تحمل أثقالا ضخمة . وتعودت أن تنيح على الأرض مثل الجمال أثناء تحميلها ثم تنهض بالأحمال .

ونجد هنا أيضا غنما تعادل الحمار في الحجم ولها ذيول طويلة وغليلة تزن ثلاثين رطلا فما فوق ، وهي سميكة لذينة الطعم (٧) . وتوجد في هذه المقاطعة مدن كثيرة تحيط بها أسوار عالية وغليلة من التراب (٨) ، بقصد الدفاع عن السكان ، ضد غارات الكراونيين (Karaunus) ، الذين يعيشون في البلاد فسادا وينتهبون كل ما تصل إليه أيديهم (٩) .

ولكى يتمكن القاريء من فهم أى نوع من الناس هؤلاء ، ينبغي له أن يفهم أنه كان هناك أمير اسمه نوجودار وهو ابن أخى زاجاتاي ، الذى كان شقيقا للخان الأعظم (أوقطاي) (أوغاداي) وكان يحكم في بلاد التركستان (١٠) .

وبينما كان هذا النيجودار ( نيقودار ) ، مقيما ببلاط زاجاتاي ( جافتاي ) ، راوده الطمع فى أن يكون هو نفسه ملكا ، واذ قد سمع أنه توجد بالهند مقاطعة اسمها مالابار (١١) ، يحكمها فى ذلك الحين ملك اسمه عز الدين سلطان (١٢) ، ولم تضم الى أملاك التتار بعد ، فانه جمع سرا حشدا تقارب عدته العشرة آلاف من الرجال ، هم أشد من وجد من الرجال فسوقا ويأسا فى الحياة ، واذ انفصل عن عمه دون أن يعطيه أية اشارة الى مخططاته ، فانه تقدم بهم من خلال بالاشان (١٣) الى مملكة كيزمور (١٤) ، وهناك فقد كثيرا من قومه وماشيته ، بسبب صعوبة الطرق ورداءتها ، ثم

دخل فى خاتمة المطاف مقاطعة مالابار (١٥) . واذ هبط هكذا على عز الدين على غرة ، أخذ منه عنوة مدينة تسمى دلى Dely فضلا عن مدن أخرى كثيرة تقع بالقرب منها ، وهناك بدأ حكمه وانتج التتار الذين حملهم الى هناك ، وهم رجال شقر البشرة ، باختلاطهم بالنساء الهنديات السمراوات ، الجنس الذى أطلق عليه اسم الكراونيين ، ومعناها بلقة البلاد ، الهجناء أو الخلاسيون (١٧) . وهؤلاء هم القوم الذين يمارسون منذ ذلك الوقت النهب والسلب ، وليس ذلك فقط باقليم ريوبارله ، بل فى كل اقليم يضعون فيه أقدامهم .

وقد تعلموا ببلاد الهند الفنون السحرية والشيطانية ، التى تمكنوا بواسطتها من انتاج الظلام ، حيث يخفون نور النهار بدرجة تجعل الأشخاص لا يرون بعضهم بعضا ، الا على مسافة قريبة جدا (١٨) . وكلما خرجوا فى غارات السلب وضعوا ذلك الفن موضع التنفيذ فلا يراهم أحد وهم يقتربون .

وفى أغلب الأحيان تكون هذه الناحية مسرح عملياتهم ، ونظرا لأنه متى اجتمع التجار من مختلف النواحي فى هرمز ، انتظارا لمن هم فى الطريق من الهند ، فانهم يرسلون خيولهم وبغالهم فى فصل الشتاء ، وقد أرهقت قواها لشدة طول الرحلة الى سهل ريوبارله ، حيث تجد وفرة من الكلا وتصبح سميئة . ولعلم الكراونيين بأن ذلك سيحدث ، ينتهزون الفرصة للقيام بعملية نهب عامة ، ويأخذون من يرعون الماشية عبيدا ، ان لم يملكوا ما يفتدون به أنفسهم . وقد أحبط ماركو بولو (١٩) نفسه ذات مرة بستار من ذلك الظلام المصطنع ، ولكنه هرب منه الى قلعة كونسالى (٢٠) ومع هذا فان كثيرا من رفاقه أسروا وبيعوا ، كما أعدم آخرون ولهؤلاء القوم ملك اسمه كوروبار .



## الفصل السادس عشر

عن مدينة هرمز ، الواقعة على جزيرة  
غير بعيدة من الأرض الأصلية على بحر  
الهند - وعن أهميتها التجارية - وعن  
الرياح الحارة التي تهب عليها .

هناك عند نهاية السهل المنبسط الذى ذكرنا أنه يمتد  
فى اتجاه جنوبى الى مسافة رحلة خمسة أيام منحدر طوله  
قراية عشرين ميلا ، الى جوار طريق مفرط الخطورة ، لكثرة  
ما به من لصوص يهاجمون المسافرين وينتهبون ما معهم على  
الدوام (١) . ويقودك هذا المنحدر الى سهل آخر يمتاز بمنظره  
الجذاب الممتع ، وامتداده رحلة يومين ويسمى وادى هرمز .  
وهنا تعبر عددا من المجارى المائية الجميلة ، وتشهد اقليما  
يفطيه النخيل ، الذى يعيش بينه طائر الدراج الفرانكولين ،  
وطيور من نوع الببغاء ، وطيور أخرى غير معروفة فى  
مناخنا . ثم تصل فى نهاية المكان الى حافة المحيط ، حيث  
تقف على جزيرة لا تبعد كثيرا عن الساحل ، مدينة اسمها  
هرمز (٢) ، يرتاد ميناءها التجار من كل أرجاء الهند ، وهم  
يجلبون التوابل والعقاقير ، والأحجار الكريمة واللؤلؤ ،  
ومنسوجات الذهب كما يجلبون أنياب الفيلة (العاج)  
وأنواعا أخرى مختلفة من البضائع . وهنا يبيعون هذه  
البضائع لمجموعة مختلفة من التجار ، يتولون توزيعها بكل  
أرجاء العالم . والحق ان هذه المدينة يغلب عليها كثيرا الطابع  
التجارى ، ولها بلاد وقلاع تابعة لها ، وتعد المكان الرئيسى

بمملكة كرمان كلها (٣) . واسم حاكمها ركندين أتشوماك (٤) ، وهو يحكم حكما مطلقا ، ولكنه يعترف في الحين نفسه بسيادة ملك كرمان عليه (٥) ويدين له بالولاء . وإذا تصادف أن تاجرا أجنبيا مات في دائرة حكمه ، صادر أملاكه ، وأودع المبالغ المتحصلة في بيت ماله (٦) . والسكان لا يقيمون بالمدينة أثناء فصل الصيف ، لسبب ما بها من شدة الحرارة التي تجعل الهواء ضارا بالصحة ، ولكنهم ينسحبون إلى بساطينهم الواقعة على امتداد الشاطئ ، أو على ضفاف النهر ، حيث يصنعون لأنفسهم على الماء من أعواد الصفصاف أكواخا وخصاصا ، ثم يحيطون هذه الأكواخ بأعواد تدفع في الماء من جانب وعلى الشاطئ من الجانب الآخر مكونين بذلك عريشة من أوراق الشجر تقيهم قيظ الشمس . وهنا يقيمون أثناء الفترة التي تهب فيها ، منذ قرابة التاسعة صباحا حتى الظهيرة ، ريح أرضية يبلغ من شدة حرارتها أن تعوق التنفس وتؤدي إلى الوفاة باختناق الشخص الذي يتعرض لها . ولن يستطيع أحد النجاة من تلك الريح إذا فاجأته على السهل الرمل (٧) وما أن يحس السكان باقتراب هذه الريح ، حتى يغمسوا أنفسهم في الماء إلى الأذقان ، ويظلون على هذه الحال حتى تتوقف عن الهبوب (٨) . وتأكيذا للشدة الخارقة لهذا القيظ ، يقول ماركو بولو أنه تصادف أن كان بهذه النواحي عندما حدثت الظروف التالية : لما أبداه حاكم هرمز ، من إهمال أداء الجزية لملك كرمان ، اضطر الملك أن يعقد العزم على إجباره على أدائها أثناء الفصل الذي يكون فيه أهم سكان منزله خارج المدينة ، أي على أرض القارة ، وأرسل لهذا الغرض كوكبة من الجنود ، تتألف من ست عشرة مائة فارس وخمسة آلاف راجل ، سارت عبر إقليم ريوبارله لتأخذهم على غرة . ومع هذا ، فنظروا لأن الأدلاء أضلوها فقد فاتهم أن يصلوا إلى المكان المقصود قبل انسداد الليل ، وتوقفوا ليأخذوا قسطا من الراحة في أجمة لا تبعد كثيرا عن هرمز ،

ولكنهم عندما عاودوا مسيرهم فى الصباح، فاجأتهم تلك الريح  
الحارة ، فاختنقوا عن آخرهم، ولم ينبج منهم واحد ينقل النبا  
المشئوم الى مولاة . وعندما علم أهل هرمز بما حدث، وذهبوا  
ليدفن جيف موتاهم ، حتى لا تفسد رائحتهم المنتنة الهوام ،  
وجدوهم ناضجين قد خبزتهم شدة الحرارة ، بحيث ان  
الأطراف كانت تنفصل عن الجذوع عند الامساك بها ،  
وبحيث أصبح من الضرورى أن تحفر القبور فى أقرب مكان  
من الموقع الذى رقدت فيه الأجسام (٩) .



## الفصل السابع عشر

عن السفن المستخدمة في هرمز - وعن  
الفصل الذي تثر فيه الفواكه -  
وعن طرق عيش السكان وتقاليدهم .

ان السفن التي تبني في هرمز من أردأ الأنواع ، كما  
أنها خطيرة على الملاحة ، حيث تعرض التجار وغيرهم ممن  
يستخدمونها لأخطار جسيمة . وترجع عيوبها الى عدم  
استخدام المسامير في بنائها ، وشدة صلابة الخشب وتعرضه  
للانشقاق والتصدع كالقحار سواء بسواء . وعندما يحاول  
النجار دق مسمار اذا هو يرتد ثانية وكثيرا ما ينكسر . ومن  
ثم فان الألواح تثقب ، بكل عناية ممكنة ، بمثقاب حديدي  
قرب حوافها وتدق فيها دبابيس أو أوتاد خشبية ، وبهذه  
الطريقة تثبت الألواح . ( في مقدم السفينة ومؤخرها ) .  
وبعد هذا تربط الألواح ما ، أو بمعنى أدق تخاط معا ،  
بنوع من الحبل المفتول يؤخذ من ليف جوز الهند ، وهي أشجار  
ضخمة الحجم وتكسوها مادة ليفية تشبه شعر الخيل . وينقع  
الليف في الماء حتى تتعفن أجزاؤه اللينة ، وتظل الخيوط أو  
الفتل نظيفة ، ومن هذه يصنعون الحبل المفتول اللازم  
لخيطة الألواح وهو يدوم طويلا تحت الماء . ( ١ ) . ولا يستخدم  
الزفت . ( القار ) للمحافظة على قيعان السفن ، ولكنها تطلي  
بزيت مصنوع من شحم السمك ثم تسد بالمشاقة . وليس  
للسفينة أكثر من سارية واحدة ، ودفة واحدة ، وسطح  
واحد ( ٢ ) . حتى اذا حملت حمولتها غطيت بالأدم : ( الجلود  
الخام ) ، وعلى هذه الأدم يضعون الخيول التي يحملونها الى

بلاد الهند . وليس لديهم مراس حديدية ، ولكنهم يستخدمون بدلا منها نوعا آخر من أجهزة الرباط الأرضية (٣) وهو امر نتيجته أنه كثيرا ما يحدث أثناء الأحوال الجوية السيئة - ( وهذه البحار شديدة العواصف ) ، أن تدفع هذه السفن الى الشاطئ وتدمر .

وسكان ذلك المكان ذوو بشرة قاتمة ، وديانتهم الاسلام . وهم يزرعون قمحهم وارضهم وغيرهما من الحبوب شى شهر نوفمبر ويحصدون محصولهم فى مارس (٤) . وهم يجمعون الفاكهة ايضا فى ذلك الشهر ، باستثناء البلح وحده لانه يجمع فى مايو ومن البلح مع عناصر أخرى ، يصنعون نوعا جيدا من الخمر (٥) . ومع هذا ، فمتى شربه من لم يتعودوا عليه أحدث لديهم على الفور اسهالا ، حتى اذا شفوا من آثاره الأولى عاد عليهم بالمنفعة ، وأدى الى زيادة وزنهم . ويختلف طعام الأهالى عن طعامنا ، فانهم لو أكلوا خبز القمح ولحم الحيوان لأضر ذلك بصحتهم . وهم يعيشون بصفة رئيسية على التمر والسّمك المملح ، مثل سمك التونة ، والسيبول (Ceplatania) وغير ذلك من أنواع أسماك يعرفون بالتجربة انها صحية . وفيما عدا مناطق المستنقعات ، فان أرض هذا الاقليم ليست مغطاة بالعشب وذلك نتيجة للحرارة الشديدة التى تحرق كل شىء .

وعند وفاة ذوى المكانة من الرجال، تنوح عليهم نساؤهم معولات بصوت مرتفع ، مرة واحدة كل يوم ، أثناء أربعة أسابيع متعاقبة ، كما أن هناك أيضا أناسا يوجدون هنا يتخذون من ذلك الندب حرفة ، ويؤجرون على النطق به فوق جثث أشخاص لا يمتنون اليهم بصلة (٦) .

## الفصل الثامن عشر

عن الاقليم الذى يعبر عند مغادرة  
هرمز ، والعودة الى كرمان بطريق  
آخر ، وعن مرارة فى الخبز بسبب  
نوع الماء .

الآن وقد تحدثت عن هرمز ، فانى سأرجى الحديث عن  
الهند فى الوقت الحاضر ، منتويا افراد كتاب منفصل  
لموضوعها ، على أن أعود الآن الى كرمان فى اتجاه شمالى .  
فانت حين تغادر اذ ذاك هرمز ، وتسلك طريقا مختلفا الى  
ذلك المكان ، تدخل سهلا جميلا ، ينتج بوفرة كل مادة من  
مواد الطعام ، وتكثر به الطيور ، وبخاصة طير المحجل . على  
أن الخبز المصنوع من القمح بتلك المنطقة ، يعافه من لم  
يعودوا لهواتهم عليه ، اذ أن له طعما مريرا يرجع الى نوع  
المياه ، وهى بأجمعها مرة ومالحة . وانك لتشهد فى كل  
جانب منها جداول دافئة وشفافية ، تعالج بها الأمراض  
الجلدية شكايات بدنية أخرى غيرها . ويكثر بها البلح وغيره  
من الفواكه بوفرة كبيرة .



## الفصل التاسع عشر

عن المنطقة الصحراوية بين كرمان  
وكوبيام ، وعن مرارة طعم الماء .

عند مغادرة كرمان والسفر ثلاثة أيام ، تصل الى حدود  
صحراء تمتد الى مسافة رحلة سبعة أيام، تصل في نهايتها الى  
كوبيام (١) . ولا يلتقى المسافر فى أثناء الأيام الثلاثة  
الأولى ( من هذه الأيام السبعة ) الا بالقليل من الماء ، وذلك  
القليل مشبع بالملح ، وهو أخضر بلون العشب ، ويسورث  
الغثيان حتى ليحجم أى انسان عن استخدامه للشرب . فلو أنه  
ابتلع منه حتى قطرة واحدة لترتب على ذلك اضطرابه لقضاء  
الحاجة الطبيعية عدة مرات ، كما يحدث نفس الأثر لو تناول  
المرء حبة من الملح المستخرج من ذلك الماء (٢) . ونتيجة لهذا  
يضطر الأشخاص الذين يسافرون فى تلك الصحراء أن  
يحملوا معهم ما يلزمهم من الماء . أما الماشية فيضطرها  
العطش أن تشرب من الماء ما تجد ، فتصاب على الفور  
بالاسهال .

وفى أثناء هذه الأيام الثلاثة لا يشاهد مسكن واحد .  
فالمنطقة كلها قفر قاحل . ولا توجد بها ماشية اذ ليس بها  
ما يقيم أودها من طعام (٣) ثم تبلغ فى اليوم الرابع نهرا  
عذب المياه ، ولكن مجراه يسرى فى معظم أجزائه تحت

الأرض • على أنه توجد في بعض الأجزاء فتحات مفاجئة.  
تسببها قوة التيار ، ويبدو فيها النهر ظاهرا للعيان مسافة  
قصيرة ، وهنا يمكن الحصول على الماء بوفرة • فهنا يتوقف  
المسافر المتعب لينعش نفسه وماشيته بعد ما مسه من متاعب  
الرحلة السابقة (٤) وتماثل ظروف الأيام الثلاثة التالية.  
ظروف الثلاثة الأولى وتبلغه في النهاية مدينة كوبيام •

## الفصل العشرون

### عن مدينة كوبيام وصناعاتها

ان كوبيام مدينة كبيرة ، يتبع أهلها ملة محمد • ولديهم قدر موفور من الحديد والاكاروم (accarum) والاندانيديوم (andanicum) ، وهم يصنعون هنا مرايا من الصلب الشديد الصقال ، ذات حجم كبير وجمال بالغ • ويوجد بالبلاد كثير من الآثمد (الانتيموني) والزنك ، كما أنهم يحصلون على التوتياء (أكسيد الزنك) التي تصنع منها قطرة ممتازة للعيون ، فضلا عن الاسبوديوم ، بالطريقة التالية : فانهم يأخذون الخام الففل من عرق معدني معروف بأنه يعطى ما يتناسب والغرض المنشود ، ويضعونه في فرن محمي • ويضعون فوق الفرن سفودا من الحديد يتكون من قضبان صغيرة مرصوفة رصا متقاربا • فيتعلق الدخان أو البخار المتصاعد من الخام بالقضبان أثناء احتراقه ، فاذا هو برد أصبح صلبا • فتلك هي التوتياء ، وذلك بينما الجزء الغليظ والثقيل ، الذي لا يتصاعد ، بل يبقى رمادا في الفرن ، يصبح هو الأسبوديوم (١) •



## الفصل الحادى والعشرون

عن الرحلة من كوبيسام الى ولاية  
تيموشاين على التخوم الشمالية لبلاد  
فارس - وعن نوع خاص من الشجر .

اذا أنت غادرت كوبيسام تقدمت فوق صحراء ذرعها  
مسيرة ثمانية أيام معرضة لجذب شديد ، فلن يلتقى المرء فيها  
بفاكهة ولا بأى نوع من أنواع الشجر ، وما لعله يوجد بها  
من ماء مر المذاق . ومن ثم يضطر المسافرون أن يحملوا  
معهم من الماء ما يكفى لحفظ أودهم ، ولكن يكره العطش  
ماشيتهم على تجرع ما تجده فى تلك الصحراء من ماء ، يحاول  
أصحابها اساغته لها باضافة الدقيق اليه ، وبعد انقضاء  
ثمانية أيام تصل الى ولاية تيموشان ، التى تقع صوب  
الشمال على تخوم فارس ، ويوجد بها مدن عديدة ومعاقل  
حصينة كثيرة ( ١ ) ويوجد هنا سهل فسيح امتاز بانتاج نوع  
من الشجر يسمى شجرة الشمس ، ويسميه المسيحيون بالشجرة  
الجافة ( Arbor Secco ) ، أى الشجرة الناشفة أو عديمة الثمر .  
واليكم بيانا بطبيعتها وصفاتها : فهى شجرة باسقة ، ذات  
جزع ضخمة ، وأوراقها خضراء فى سطحها الأعلى ، ولكنها  
بيضاء بزرقة فى السطح السفلى . وهى تنتج قشورا أو  
كبسولات كالتى يوجد القسطل داخلها ، ولكنها علب لا تحمل  
ثمرا وخشبها متين وقوى وذو لون أصفر يماثل لون خشب  
البقس ( ١ ) .

وليس هناك نوع آخر من الشجر غير هذه الى مسافة  
مائة ميل ، اللهم الا فى ناحية واحدة توجد فيها الأشجار على  
بعد يقارب عشرة أميال .

ويقول أهالى تلك المنطقة ان معركة دارت رحاها هنا  
بين الاسكندر ملك مقدونيا وبين دارا (٢) . والمدن مزودة  
أجود تزويد لكل ضرورة من ضرورات الحياة ووسائل  
الراحة ، اذ المناخ هنا معتدل لا يتعرض لمتطرفات القر  
والحر (٣) . ويدين الناس فيها بالاسلام . وهم على الجملة  
شعب وسيم ، وبخاصة النساء منهم ، اللائى هن فى رأى  
أجمل من فى الأرض من النساء .

## الفصل الثانى والعشرون

عن شيخ الجبل - وعن قصره  
وبساتينه - وعن أسره ومصرعه .

الآن وقد تحدثنا عن هذا الاقليم ، فسنذكر بعد شيئاً عن شيخ الجبل (١) . وأطلق على الناحية التى يقع فيها مقر حكمه باسم منطقة الملاحدة ، ومعناها بلغة العرب المسلمين مكان الهراطقة ، كما كان قومه يسمون بالملحدين (٢) أى المؤمنين بالشعائر المتهرطقة ، وذلك كما نطلق مصطلح الباثارين على بعض الزنادقة من المسيحيين (٣) .

ويشهد ماركو بولو بأنه سمع المعلومات التالية عن هذا الرئيس من أشخاص متفرقين : كان يسمى علو الدين (٤) ، وهو على دين محمد . وهناك فى واد مونتق محصور بين جبلين شامخين ، أنشأ بستاناً فاخراً ، جمع فيه أشهى الثمرات وأعطر النباتات التى استطاع إليها وصولاً .

وشيدت قصور متنوعة الأحجام والأشكال بمختلف أرجاء المنطقة ، زينت بزخارف من ذهب ، وملئت حجراتها بالصور الزاهية وبالأثاث المكسو بأفخم الدمقس والاستبرق واستخدمت أنابيب صغيرة صممت فى هذه المباني ، وبوساطتها كانت أنهار من الخمر ولبن وعسل وماء فرات تشاهد وهى تفيض فى كل اتجاه . وكانت تسكن هذه القصور حوريات رشيقات جميلات دربن حتى أتقن جميع فنون الغناء ، واللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية ، والرقص ، كما أتقن بوجه خاص أفانين الغزل والاغراء والدلال . وكن يشاهدن دوماً



وفد ارتدين اتمن التياب وهن يتلاعبن ويسدين انفسهن في  
الحديقة وما حوت من جواسق وسرادقات ، اد كان خراسهن  
من النساء يبعين داخل المباني ولا يسمح لهن ابدا بالظهور .

وكان الهدف الذي رمى اليه الشيخ من انشاء هذه  
الحديقة الفاتنة هو التالي : ان النبي محمدا وقد عد من  
يتبعون ملته ويطيعون ارادته بالحظوة بجنات الفردوس ،  
التي يوجد بها كل نوع من الاشباع الحسى ، فى رفقة حوريات  
فاتنات ، فانه ( آى الأمير ) رغب فى أن يفهم اتباعه عنه انه  
هو أيضا نبي وأنه نذ لمحمد ، ولديه القدرة فى أن يدخل الى  
الفردوس كل من شاء أن يسعده .

ولكى يحول دون أن يجد أحد سبيله بغير اذن منه الى  
ذلك الوادى الممتع ، أمر بانشاء حصن قوى منيع عند مدخله ،  
كان الدخول من خلاله الى الوادى عن طريق سرداب سرى .  
وكان ذلك الأمير يجمع فى بلاطه كذلك عددا من الشبان  
تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين ، يختارهم من  
بين سكان الجبال المجاورة ممن يبدوون ميلا الى المرونة والدرية  
العسكرية وتتجلى فيهم صفة الشجاعة المقدامة .

وجرت عاداته بالتحدث اليهم يوميا فى موضوع الجنة  
التي بشر بها النبي ، وعن قدرته هو على الانعام بالدخول  
اليها على المقربين ، كما كان يأمر فى بعض الأحيان باعطاء  
الأفيون لعشرة أو دستجة ( اثنى عشر ) من هؤلاء الشبان .  
فاذا صرعهم النوم فأصبحوا نصف موتى ، أمر بحملهم الى  
الأجنحة العديدة للقصور المتناثرة فى البستان ، فاذا  
استيقظوا من حالة التخدير ، صعبت حواسهم جميع الأشياء  
البهجة التي سلف وصفها ، ووجد كل منهم نفسه محوطا  
بأوانس فاتنات يغنين له ويلعبن بالآلات ويستهوين لبه  
وحواسه بأفتن أنواع المداعبة والعناق ، ويقدمن اليه أيضا  
أشهى اللحوم وأفخر الخمر ، ولا يزلن به حتى يسكر بما

هو فيه من فرط المتعة وما حوله بالفعل من أنهار ومن لبن وخمر ، حتى يعتقد تماما أنه في الفردوس ، ويحس بعزوف عن التخلي عن مباهجها ، فاذا انقضت بهم على تلك الحال أربعة أيام أو خمسة دفعوا بهم ثانية الى حالة من النعاس وحملوا الى خارج البستان . وعندما يدخلون الى حضرته فيسألهم أين كانوا كان جوابهم :

« في الفردوس بفضل عطف سموكم » ثم يعمدون ، بحضرة البلاط كله الذي يصغى رجاله اليهم بفضول وذهول وتلهف ، الى تقديم بيان تفصيلي عن المشاهد التي شهدوها رأى العين .

وعندئذ يقول الرئيس مخاطبا لهم : « لقد وعدنا رسول الله وكان وعده حقا ، بأن الجنة يرثها عباد الله الصالحون الذين يدافعون عن مولاهم ، واذا أظهرتم اخلاصا في طاعة أوامري ، فان ذلك المصير السعيد يفتخركم » . حتى اذا سرت فيهم الحماسة بأقوال من هذا النوع ، كان كل فرد فيهم يعد نفسه سعيدا حين يتلقى أوامر سيده ويبدى توقه الى لقاء الموت في خدمته ( ٥ ) .

وكانت نتيجة هذا النظام ، أنه متى جرؤ أى أمير مجاور أو بعيد على إثارة استياء هذا الرئيس ، كان جزاؤه الموت على يد هؤلاء السفاكين المدربين . ولم يكن أحد منهم يحس أدنى رهبة عند مخاطرته بفقد حياته ، التي لم يكن لها عندهم وزن كبير ، ما تمكنوا من تنفيذ ارادة مولاهم .

وبناء على هذا أصبح طغيانه موضع الرهبة في جميع الأقطار المجاورة ، وقد اتخذ لنفسه أيضا وكيلين أو ممثلين ، كان مقر أحدهما بالقرب من دمشق ، ومقر الآخر في بلاد الكرد ( ٦ ) ، واتبع هذان الوكيلان نفس الخطة التي ابتدعها الشيخ ، لتدريب أتباعهما الفتيان .

وهكذا لم يكن هناك شخص ، مهما بلغت قوته ،  
بمستطيع وقد استنفر عداوة شيخ الجبل ، أن يفلت من  
الاغتيال . ولما كانت ولايته تقع داخل ممتلكات أولاءو  
( هولاكو ) شقيق الخان الأعظم (مانكو) ، وترامت الى مسامع  
ذلك الأمير أنباء الفظائع التي كان يرتكبها على الوجه المبين  
آنفا ، فضلا عن استخدامه بعض الناس لنهب المسافرين أثناء  
مرورهم داخل ولايته ، فانه في عام ١٢٦٢ جرد أحد جيوشه  
لمحاصرة ذلك الرئيس في قلعته . على أنها أظهرت قدرة قوية  
على الدفاع ، بحيث انقضت ثلاث سنوات دون أن يلم بها أدنى  
تأثير ، حتى اضطر في النهاية الى التسليم بسبب النقص في  
الأطعمة ، وبعد أن أخذ أسيرا أمر به فأعدم . ودمرت قلعته  
وخربت جنة فردوسه (٧) . ومنذ تلك اللحظة لم يعد هناك  
شيخ للجبل .



## الفصل الثالث والعشرون

عن سهل خصيب ذرعه مسيرة ستة  
أيام ، تعقبه صحراء ثمانية أيام ، لا بد  
من اختراقهما في الطريق الى مدينة  
سابورجان - وعن القاوون الممتاز  
الذي ينبت هناك - وعن مدينة بلخ .

بعد هذه القلعة ، يؤدي الطريق الى سهل فسيح ثم يمر  
بعد ذلك من خلال اقليم منوع السطح بين تل وواد ، به  
العشب والمرعى ، فضلا عن الفواكه بوفرة عظيمة ، استطاع  
بفضلها جيش أولاءو أن يظل بتلك الديار تلك المدة  
الطويلة . وتمتد هذه المنطقة الى مسافة مسيرة ستة أيام  
كاملة . وهي تحوى كثيرا من المدن والأماكن المحصنة (١)  
كما أن سكانها من المسلمين . وعند هذا تبدأ صحراء ، تمتد  
أربعين أو خمسين ميلا (٢) ، لا يوجد بها أثر للماء ، ومن  
الضرورى للمسافر أن يتزود بما يلزمه من الماء عند بدء  
رحلته . ونظرا لأن الماشية لا تجد شرايا حتى يتم اجتياز  
هذه المفازة ، وجب اتخاذ أعظم الاحتياط حتى تصل الى مكان  
فيه ماء يروى ظمأها . ثم يصل المسافر عند انتهاء رحلة  
اليوم السادس (٣) ، الى مدينة تسمى : سابورجان (٤) ،  
مزودة بوفرة بكل نوع من أنواع المئونة ، كما أنها تشتهر  
بوجه خاص بانبات أجود ما فى العالم من القاوون . ويتم  
الاحتفاظ بهذا القاوون بالطريقة التالية : فانه يقطع لولبيا  
الى رقائق رفيعة ، كما يقطع القرع عندنا وبعد تجفيفه فى  
الشمس ، يرسل بمقادير كبيرة الى الأقطار المجاورة ، لكى

يباع بها ، لأنها تلتمسه بشغف ، وذلك أنه شديد الحلاوة  
كمسل النحل (٥) . والصيد وفير هناك أيضا بين حيوان وصير .  
واذ نترك هذا المكان فاننا سنتحدث الآن عن اخر اسمه  
بلخ : وهي مدينة كبيرة وفاخرة (٦) على أنها كانت فيما سلف  
أعظم كثيرا ، ولكن أصابها التتار بأضرار جسيمة ، وقد  
هدموا شطرا من مبانيها أثناء غاراتهم المتكررة . وكانت بها  
قصور كثيرة مبنية من الرخام ، وميادين فسيحة لا تزال  
موجودة ، وان أصبحت في حالة متهدمة (٧) . وطبقا لما  
يزويه السكان فان هذه المدينة هي التي اتخذ فيها الاسكندر  
ابنة الملك دارا زوجا له (٨) . وتنتشر الديانة الاسلامية هنا  
أيضا (٩) ويمتد سلطان أمير التتار الشرقيين حتى هذا  
المكان ، واليه تمتد حدود الامبراطورية الفارسية في اتجاه  
شمال بشرق (١٠) وعند مفادرتك بلخ ومواصلتك نفس  
الطريق أمد يومين ، فانك تجتاز اقليما تعوزه كل دلالات  
السكنى ، حيث لاذ جميع الناس بمواطن منيعة في الجبال ،  
التماسا للأمان من هجمات قطاع الطرق الخارجين على القانون  
الذين يجوسون خلال تلك النواحي . فهنا تغزر المياه وتكثر  
القنائص بشتى أنواعها . كما توجد الأسود أيضا بتلك  
الأرجاء (١١) ، وهي كبيرة الجثة وفيرة العدد . ومع ذلك  
فان المؤن نادرة في منطقة التلال التي يتم اجتيازها أثناء  
هذين اليومين ، وينبغي للمسافر أن يحمل معه طعاما يكفي  
هو وماشيته .

## الفصل الرابع والعشرون

عن القلعة المسماة ثايكان - وعن  
عادات السكان وعن تلال الملح .

عند نهاية رحلة هذين اليومين تصل الى قلعة تسمى :  
ثايكان ، تقوم بها سوق عظيمة للحبوب ، لانها تقع فى قطر  
جميل كثير التمرات . والتلال التى تقع فى جنوبها ضخمة  
ومرتفعة (١) . وكلها تتكون من ملح أبيض مفرط الصلابة ،  
يأتى الناس فى الدائرة المحيطة به على مسيرة ثلاثين يوما  
للتزود منه ، اذ يقدر أنه أنقى ما فى العالم من ملح ، ولكنه  
فى الوقت نفسه من الصلابة بحيث لا يستطيع فصله الا بالآلات  
حديدية (٢) . يبلغ من عظم مقاديره ، أن جميع أقاليم  
الأرض يمكن أن تتزود به من هناك .

وثمة تلال أخرى تنتج اللوز والفسق (٣) ، وهما  
سلعتان يتخذ منهما السكان تجارة عظيمة . فاذا أنت غادرت  
ثايكان وسافرت ثلاثة أيام ، فى اتجاه شمالى بشرق ، فانك  
تمر من خلال اقليم أهل بالسكان ، جميل المنظر وتكثر فيه  
الفاكهة والحبوب والكروم . والناس هناك مسلمون كما أنهم  
متعطشون للدماء ويتصفون بالغدر والخيانة . وهم شديدا  
الولع بالفسوق والافراط فى الشراب ، الأمر الذى يشجعهم  
عليه امتياز نبيذهم الحلو (٤) وهم لا يلبسون على رؤوسهم  
شيئا الا حبلا (عقالا) ، طوله سبعة أشبار تقريبا ، يلفونه  
حول الرأس . وهم رياضيون ممتازون ، ويصيدون كثيرا من  
الضواري دون أن يتخذوا أى ثياب ، عدا جلود ما يصيدون  
من وحش ، ومنها أيضا يصنعون أحذيتهم . وهم يتعلمون  
جميعا كيف يجهزون الجلود .



## الفصل الخامس والعشرون

عن مدينة سكاسم ، وعن حيوان  
الشيهم الموجود بها .

فى أثناء رحلة تمتد ثلاثة أيام ، توجد مدن وقلاع  
كثيرة ، وعند تلك المسافة تصل الى مدينة تسمى سكاسم (١) ،  
يحكمها رئيس يعادل لقبه لقب البارون أو الكونت عندنا ،  
كما أنه يحكم بين الجبال مدنا أخرى ومواقع منيعة . ويمر  
فى وسط هذه المدينة نهر اتساعه لا بأس به . وهنا توجد  
الشياهم التى تكور نفسها عندما يطلق الصائدون عليها  
كلابهم وتبرز بهياج شديد الأشواك التى تغطى جلودها ،  
فتجرح الرجال والكلاب على السواء . ولسكان ذلك القطر  
لغتهم الخاصة ، ويقيم الرعاة الذين يرعون الماشية بين  
التلال فى مغارات يصنعونها بأنفسهم . وليست هذه  
بالعملية العسيرة على كل حال ، وذلك لأن التلال لا تتكون من  
الصخر بل من الطين . وعند مغادرتك هذا المكان تبدأ رحلة  
طولها ثلاثة أيام دون أن ترى أى نوع من أنواع المباني ، أو  
تلتقى بالضروريات التى يحتاج اليها المسافر ، وذلك  
فىما عدا الماء ، على أنه يوجد للخيل مرعى كاف . وأنت  
مضطرب تبعاً لذلك أن تحمل معك كل ما تحتاج اليه من  
أشياء على الطريق . وفى نهاية اليوم الثالث تصل الى ولاية  
بالأشان (٢) .

## الفصل السادس والعشرون

عن ولاية بالاشان - وعن الأحجار  
النفيسة التي عشر عليها هناك والتي  
تصبح ملكا للملك - وعن خيول  
الأقليم وبزاته - وعن الجو الصحي  
للجبال - وعن الذي تزين به النساء  
اشخاصهن \*

يدين الناس بولاية بالاشان بالاسلام ، ولهم لغة خاصة  
يتحدثون بها \* والولاية مملكة مترامية الأطراف ، يبلغ  
طولها مسيرة اثني عشر يوما كاملة ، ويحكمها أمراء  
يتعاقبون عليها بالوراثة ، وكلهم ينحدر من الاسكندر ، عن  
طريق ابنة دارا ، ملك الفرس \* وحمل هؤلاء لقب ذي القرنين  
الوارد في اللسان العربي ، كمعادل للاسكندر (١) \*

وتوجد بالاقليم الأحجار الكريمة المسماة بيواقيت البالاس  
(Balass rubies) ، وهي من صنف ممتاز وذات قيمة عظيمة  
وتسمى كذلك نسبة الى اسم الولاية (٢) وهي مدفونة في  
الجبال العالية ، على أن القوم لا يبحثون عنها الا في جبل  
واحد يسمى جبل سيكينان (٣) \* ففي هذا الجبل يأمر الملك  
بتشغيل المناجم ، بنفس الطريقة المتبعة فيما يتعلق بالذهب  
أو الفضة ، وعن هذه الوسيلة وحدها يحصل عليها ،  
فلا يجروا انسان والا عرض نفسه للقتل ، أن يقوم بحفر  
لذلك الغرض ما لم يحصل على رخصة من الملك كأنعام خاص  
عليه من جلالته \*

وقد يحدث بين فينة وفينة أن يهبها الملك هدايا للأجانب الذين يمرون من خلال ممتلكاته ، وذلك لأنه لا يمكن الحصول عليها بالشراء من غيره من الناس ، كما لا يمكن تصديرها بغير إذن منه . وغرضه من هذه القيود هو أن يواقيت بلاده التي يعتقد أن مكانته مرتبطة بها ، ينبغي أن تحتفظ بقيمتها وتحافظ على أثمانها العالية ، وذلك أنه لو أمكن استخراجها جزافا بغير تمييز ، واستطاع كل انسان شراءها وأخراجها من المملكة ، وهى ما هى من شدة الوفرة ، فإنها سريعا ما تفقد قيمتها . ومنها ما يرسله الملك هدايا لتحية غيره من الملوك والأمراء ، ومنها ما يسلمه جزية ( لمولاه الأعلى ) ، ومنها كذلك ما يبادل عليه بالذهب والفضة وهذه اليواقيت هى التى يسمح بتصديرها .

وهناك جبال يعثر فيها بالمثل على عروق من معدن اللازورد Lapis Lazuli ، وهو الحجر الذى يعطى اللون الأزرق اللازوردى المسمى بالأزرق الشرقى (Vitra marine) (٤) ، وهو هنا أبداع نوع فى العالم .

ومناجم الفضة والنحاس والرصاص عظيمة الانتاج أيضا ، والاقليم يعد من البلاد الباردة . والخيول التى تربى به ذات سلالة ممتازة وتتصف بسرعتها الفائقة . وسنابكها من الصلابة بحيث لا تحتاج الى حدود (٥) .

وجرت عادة الأهالى بالرمح بها على المنحدرات التى لا تستطيع ماشية أخرى أن تجرؤ على العدو عليها أو تأبى ذلك . وأكدوا أنه منذ زمن غير بعيد كانت لا تزال توجد فى تلك الولاية ، خيول من سلالة خيل الاسكندر الشهيرة المسماة بوكيفالوس (Bucephalus) ، وكلها كانت تولد بغرة مميزة فى جبينها .

وكانت السلالة بأجمعها ملكا لأحد أعمام الملك ، ولما أبى ذلك العم تسليمها لابن أخيه كان الاعدام جزاءه ،



وأعمى الحنق على مصرعه أرملته فأمرت بالخیل كلها فأعدمت ،  
وبذلك ضاعت هذه السلالة على العالم • وتوجد فى الجبال  
بزاة من النوع المسمى بالصقر (Falco Sacer) وهى طيور ممتاز  
شديدة فى طيرانها ، فضلا عن نوع يسمى (Falco Lanarius)  
وهناك أيضا بزاة من نوع ممتاز (Falco astur, or Paumbarius)  
وبواشق (Falco nisus) .

وأهالى ذلك القطر قناصة خبراء يجيدون طرد كل من  
البهائم والطيور • وينبت القمح الجيد هناك وكذا نوع من  
الشعير ليس له القشرة (٦) الخشنة • وهم لا يستخرجون  
الزيت من الزيتون ، بل يعتصرونه من أنواع معينة من الجوز  
ومن الحب المسمى بالسسم (٧) ، الذى يشبه بذر الكتان  
لولا أنه فاتح اللون ، والزيت الذى يخرج منه هذا السسم  
أفضل ، وأطيب نكهة من أى زيت آخر ، ويستخدمه التتار  
وغيرهم من سكان تلك الأرجاء •

وبهذه المملكة كثير من الشعاب الضيقة ، والمواقع  
الحصينة التى تقلل من الخوف من أية قوة أجنبية تدخلها  
بقصد عدائى • والرجال فيها رماة نبيل مهرة ورياضيون  
ممتازون ، يكتسبون عادة بجلود الحيوانات الضارية ، وذلك  
لندرة غيرها من المواد اللازمة للكساء • وتوفر الجبال المرعى  
اللازم لعدد لا حصر له من الأغنام التى تتجول فى قطعان  
عدتها أربعمئة أو خمسمئة أو ستمئة وكلها برية ، ومع أن  
العديد منها يؤخذ ويذبح فإنه لا يبدو أنها يعترىها أى  
نقص (٨) •

وهذه الجبال مفرطة الارتفاع ، الى حد أن صعود رجل  
عليها حتى قممتها يستغرق منه يوما كاملا من الصباح الى  
المساء • وتقع بينها سهول فسيحة تكسوها الحشائش  
والأشجار ، وجداول كبيرة من أنقى الماء وأعذب تهوى بين  
شقوق الصخور • وتعيش بهذه الجداول أسماك النقط  
( السلمون الأرقط ) وكثير غيرها من أنواع السمك الشهية •

والهواء فوق قمم الجبال بالغ الصحية ، بحيث انه متى وجد من يسكنون المدن والسهول والوديان فى أسفل ، أنفسهم مصابين بالحمى أو غيرها من أمراض الالتهابات ، فانهم ينتقلون على الفور الى هناك ، ويقيمون ثلاثة أو أربعة أيام فى ذلك الموقع ، فيستردون بذلك صحتهم .

ويؤكد ماركو بولو أنه جرب فى شخصه آثاره الرائعة ، وذلك لأنه بعد أن ألزمه المرض الفراش بذلك الاقليم زهاء سنة (٩) نصحه الناس بتغيير الهواء بالصعود الى أعلى التلال ، فبدأ من فوره دور النقاهاة . وينتشر بين نساء الطبقة العليا زى خاص ، فهن يرتدين فى أسفل خصورهن ، على مثال السراويل ، ضربا من الرداء ، يستخدمن فى صنعه ، حسب مواردهن المالية مائة أو ثمانين أو ستين ذراعا من قماش القطن الرفيع ، الذى يجمعه ، أو يثنيه طيات لكى يضخم الحجم الظاهرى لأردافهن ، اذ تعد صاحبة أضخم عجيزة أجمل النساء جميعا (١٠) .

## الفصل السابع والعشرون

عن ولاية باسكيا التي تقع جنوب  
الولاية السابقة - وعن الحل الذهبية  
التي يلبسها السكان في آذانهم -  
وعن عاداتهم \*

أنت اذا غادرت بالاشان وسافرت في اتجاه جنوبي مدة  
عشرة أيام تبلغ ولاية باسكيا (١) ، التي لسكانها لغة خاصة \*  
وهم يعبدون أصناما ، ولون بشرتهم قاتم وميولهم شريرة ،  
ويتقنون فن السحر وتعازيم الشياطين ، وهي دراسة يكبون  
عليها باستمرار \* وهم يلبسون في آذانهم حلقات مدلاة من  
الذهب والفضة ، ومرصعة بالآلئ والأحجار النفيسة (٢) \*  
ومناخ الولاية مفرط الحرارة في بعض أجزائها (٣) \*  
وطعام السكان هو اللحم والأرز (٤) \*



## الفصل الثامن والعشرون

عن ولاية كزمور الواقعة في اتجاه  
الجنوب الشرقي . وعن سكانها المهرة  
في السحر - وعن مواصلتهم مع  
البحر الهندي - وعن طائفة من  
النسك ، وطريقة عيشهم ، وتقشفهم  
غير العادي .

ان كزمور ولاية على مسيرة سبعة أيام من باسكيا (١) .  
ولسكانها لغتهم الخاصة أيضا (٢) . وهم على مهارة تتجاوز  
كل من عداهم في فتون السحر ، حتى يمكنهم اجبار أوثانهم  
على الكلام ، وان كانت بطبيعتها بكماء صماء . ويمكنهم  
بالمثل أن يغطشوا ( يعتموا ) النهار ويقوموا بمعجزات أخرى  
كثيرة . ولهم مكانة بارزة بين الأمم الوثنية ، ومن عندهم  
تصدر الأصنام التي تعبد بمناطق أخرى (٣) . وتمتد من  
هذا القطر مواصلة مائية الى البحر الهندي (٤) وبشرة  
الأهالي سمراء قاتمة ولكنهم ليسوا سودا بأية حال ، ومع أن  
النساء سمراوات فانهن وسيمات جدا . واللحم طعامهم (٥) ،  
ومعه الأرز وغيره من الحبوب ، ولكنهم على الجملة أميل الى  
الاقتصاد . والمناخ حار باعتدال (٦) . ويوجد في هذه  
الولاية - فضلا عن العاصمة - مدن ومعاقل أخرى كثيرة .  
وبها كذلك غابات ومناطق صحراوية وممرات وعرة في  
الجبال ، تمنح السكان الأمن من الغزو (٧) . وليس ملكهم  
تابعاً لأية دولة . وفيهم طبقة خاصة من الأتقياء ، الذين  
يعيشون في مجتمعات ، ويراعون تقشفا دقيقا في طعامهم

وشرابهم وعلاقتهم الجنسية ، ويمتنعون عن كل متعة حسية ،  
حتى لا يكدرُوا ما يعبدون من صنم • ويعيس هؤلاء  
الأشخاص حتى يبلغوا سنا عالية • ولهم أديرة كثيرة يمارس  
فيها بعض الرؤساء أعمال رؤساء الأديرة عندنا ، كما أن  
جمهرة الشعب الفقيرة توقرهم أعظم توقير (٨) • وأهالي هذا  
القطر لا يزهقون حياة أى كائن حي ، ولا هم يسفكون دماء ،  
وإذا هم جنحوا الى أكل اللحم ، فلا بد أن يقوم المسلمون الذين  
يسكنون بين ظهرانيهم بذبح الحيوانات (٩) • وتباع مادة  
المرجان التي تنقل الى هناك من أوربا بسعر أعلى منه فى أى  
قطر من أقطار العالم •

وإذا أنا مضيت فى نفس الاتجاه ، قادتني قدمي الى  
بلاد الهند ، على أنى رأيت الاحتفاظ بوصف ذلك القطر  
لكتاب ثالث ، ومن ثم فاني سأعود الى بالاشان ، منتويا أن  
أسلك من هناك الطريق المستقيم المؤدى الى كاثاي ، وأن  
أصف ، كما حدث منذ بداية الكتاب ، لا فقط الأقطار التي  
يخترقها الطريق مباشرة ، بل أيضا الأقطار التي تقع الى  
جواره عن اليمين واليسار (١٠) •

## الفصل التاسع والعشرون

عن ولاية فوخان - وعن صعود  
مدته ثلاثة أيام يفضى الى قمة جبل  
عال - وعن سلالة خاصة من الغنم  
توجد هناك - وعن أثر الارتفاع  
العظيم على النيران - وعن حياة الاهالى  
المتوحشة \*

متى غادرت ولاية بالاشان ، وسرت فى اتجاه وسط بين  
الشمال الشرقى والشرق ، تمر على كثير من القلاع والمساكن  
تقوم على ضفتى النهر ، وتتبع شقيق ملك ذلك المكان وبعد  
مسيرة ثلاثة أيام ، تصل الى ولاية تسمى فوخان ، تمتد هى  
نفسها طولا وعرضا بمقدار مسيرة ثلاثة أيام ( ١ ) ، والناس  
بها مسلمون ، يتحدثون لغتهم الخاصة \* وهم متحضرون فى  
عاداتهم ، ويعدون من ذوى الاقدام والجسارة فى الحرب \*  
وكبيرهم يحكم بلاده كاقطاعة تابعة لبالاشان \* وهم يمارسون  
طرقا عديدة فى اقتناص الحيوانات البرية \* فاذا أنت غادرت  
هذا القطر ، وتقدمت مسيرة ثلاثة أيام أخرى سالكاً طريقاً  
شرقياً شمالياً بشرق ، متوقلاً جبلاً بعد جبل ، وصلت فى  
النهاية الى نقطة فى الطريق ، يخيل اليك فيها بأن القمم  
المحيطة بك أعلى ما فى العالم من أراضٍ وهنا تشهد بين  
سلسلتين جبليتين ، بحيرة ينساب منها نهر جميل ، يواصل  
مسيره فى وسط سهل رحيب منبسط ، تغطيه أنضر الخضرة \*  
والحق انه من جودة الكلاً بحيث ان أشد الماشية هزالاً لو  
حولت اليه لأصبحت سمينة فى مدى عشرة أيام \* وتوجد



فى هذا السهل حيوانات برية فى أعداد كبيرة ، وبخاصة ضرب من الشياه ذات حجم ضخم ، ولها قرون ، طولها تلاه واربعه واحياتا ستة اشبار . ومن هذه القرون يصنع الرعاة مغارف واوعية يحفظون فيها اطعمتهم ، وبنمس المواد ينشئون السياجات لحصر ماشيتهم وحمايتها من الذئاب ، التى يقولون انها تزعج الاقليم كله بهجماتھا والتى تمضى بالمثل على كثير من هذه الأغنام أو الأعناز البريه (١) . ونظرا لوجود قرونها وعظامها بمقادير كبيرة ، تجعل منها أكواما على جانبى الطريق بقصد ارشاد المسافرين أثناءالموسم الذى يتغطى فيه بالثلوج ، ويمتد الطريق اثنى عشر يوما على امتداد هذا المنبسط المرتفع ، الذى يسمى البامير (٢) ، ولما كنت فى أثناء ذلك الوقت كله لا تلتقى بأية مناطق سكنية ، فمن الضرورى والحالة هذه أن تتزود بالمؤن منذ البداية . ويبلغ من شدة ارتفاع الجبال ، ألا ترى طيور قرب قممها ، وهناك شيء تأكد ، رغم أنه قد يبدو غريبا وغير عادى ، وهو أنه نظرا لشدة برودة الهواء ، لا تعطى النيران متى أشعلت نفس درجة الحرارة المعتادة فى المواقع المنخفضة ، ولا هى تنتج نفس الأثر فى طهى الأطعمة .

وبعد قيامك برحلة الاثنى عشر يوما هذه يتبقى أمامك أربعون يوما ترحل فيها فى الاتجاه نفسه ، فوق جبال وعبر وديان ، تجىء فى تعاقب مستمر ، مع عبور أنهار كثيرة ومناطق صحراوية دون رؤية أية مساكن أو ظهور أية خضرة ، وتبعاً لذلك لابد لك أن تحمل معك كل نوع من أنواع المواد الغذائية . ويسمى هذا الاقليم باسم بيلورو (٣) . ويسكن حتى بين أعلى الجبال ، قبيلة من قوم متوحشين شرسين يعبدون الأوثان ، ويعيشون على ما يقتلون من حيوان ، ويكتسون بجلودها .

## الفصل الثلاثون

عن مدينة كاشكار ( قشغر ) وعن  
تجارة سكانها .

وأخيرا تصل الى مكان يسمى كاشكار ( قشغر ) ، يقال انه كان فيما سلف مملكة مستقلة ، ولكنها الآن خاضعة لسلطان الخان الأعظم ( ١ ) . ويدين سكانها بالاسلام . والولاية فسيحة الأرجاء ضخمة وتحتوى مدنا وقلاعا كثيرة ، أكبرها وأهمها ( قشغر ) ( ٢ ) . ولغة الأهالى خاصة بهم . وهم يعيشون من التجارة والصناعة وبخاصة مصانع القطن . ولديهم حدائق مونة وبساتين وكروم ذات بهجة . وتتبع بلادهم مقادير موفرة من القطن ، فضلا عن الكتان والقنب . ويسافر تجار من هذا القطر الى أقطار العالم طرا ، ولكنهم فى الحقيقة جنس جشع دنىء ( ٣ ) ، يأكلون الردىء من الطعام ويشربون الأردأ . وفضلا عن المسلمين فان بين السكان كثيرا من المسيحيين النساطرة ، الذين يسمح لهم العيش فى ظل شرائعهم الخاصة والاحتفاظ بكنائسهم . وامتداد الولاية رحلة خمسة أيام .

## الفصل الحادى والثلاثون

عن مدينة سمركان ، وعن العمود  
المعزى بكنيسة القديس يوحنا  
المعدان \*

ان سمركان ( سمرقند ) مدينة فاخرة ، تزينها الحدائق  
الجميلة ويحيط بها سهل ينتج به جميع ما يشتهي الانسان  
من الفواكه ( ١ ) . والسكان الذين يعتنق بعضهم الاسلام  
وبعضهم الآخر المسيحية ، هم رعايا ابن أخ للخان الأعظم ،  
ومع هذا فليس بينهما ود ، وانما هما على العكس فى نزاع  
مستمر وحروب كثيرة ( ٢ ) وتقع هذه المدينة فى الاتجاه  
الشمالى الغربى . ويقال ان معجزة حدثت هناك فى ظل  
الظروف التالية : حدث منذ أمد غير بعيد أن اعتنق المسيحية  
أمير يسمى زاجاتاي ، ( جاغتاي ) كان أخا شقيقا للخان  
الأعظم ( الجالس على العرش عندئذ ) . فابتهج المسيحيون  
سكان المنطقة أيما ابتهاج ، وانطلقوا بعطف الأمير ورعايته  
يشيدون كنيسة وكرسوها على اسم القديس يوحنا المعدان .  
وكان بناؤها على صورة تجعل كل ثقل السقف ( وهو قرص  
دائرى ) مرتكزا على عمود فى الوسط ، وثبتوا فى أسفل  
العمود حجرا مربعا ليكون له أساسا ، أخذوه من أحد مساجد  
المسلمين الذين لم يجرءوا على منعهم من فعل ذلك . ولكن  
عندما توفى زاجاتاي ، ولم يبد ولده الذى أعقبه على العرش  
ميلا الى اعتناق المسيحية ، فان نفوذ المسلمين عنده بلغ من القوة  
أن جعلهم يحصلون منه على أمر بأن يرد اليهم خصومهم الحجر



الذى استولوا عليه ، ومع أن المسيحيين عرضوا عليهم دفع تعويض مالى ، فانهم أبوا الاصفاء الى ذلك الاقتراح ، لعلمهم بأن ازالته ستؤدى الى انهيار الكنيسة . وفى هذه المحنة لم يسع المسيحيين المنكوبين الا أن يستغيثوا ، دامعى الأعين ذليلي الأنفس ، بعون القديس المجيد يوحنا المعمدان . فلما أن وافى اليوم الذى وجب عليهم فيه أن يردوا الحجر ، حدث بفضل شفاعة القديس ، أن رفع العمود نفسه من قاعدته بمقدار ثلاث راحات ، ( أشبار ) ليسهل عليهم ازالة الحجر ، ولا يزال مستمرا على ذلك الوضع بغير دعامة الى يومنا هذا ( ٣ ) . الآن وقد علمنا عن هذا ما فيه الكفاية ، فأننا سننتقل الى ولاية كركان .

## الفصل الثاني والثلاثون

عن ولاية كركان ، التي يصاب  
سكانها بتورم الساقين والتهاب الغدة  
الدرقية ( الجويتر ) .

عندما تغادر هذه الناحية تدخل ولاية كركان ( ١ ) ،  
التي تستمر مسافة رحلة خمسة أيام ومعظم سكانها مسلمون  
مع بعض مسيحيين نساطرة ، وكلهم رعايا للخان الأعظم .  
والمواد الغذائية وفيرة هنا ، شأن القطر أيضا . والناس  
صناع مهرة . وهم مصابون على الجملة بتورم في الساقين ،  
وأورام في الحلق ، ترجع الى نوع الماء الذي يشربون ( ٢ ) .  
وليس في هذا القطر شيء آخر جدير بالملاحظة .

## الفصل الثالث والثلاثون

عن مدينة كوتان ، المزودة بوفرة  
بجميع ضروريات الحياة •

إذا أنت اتبعت طريقا بين الشمال الشرقي والشرق ،  
وصلت بعد ذلك الى ولاية كوتان (١) وامتدادها رحلة ثمانية  
أيام • وهى تحت سيادة الخان الأعظم ، والناس فيها من  
المسلمين • وتحتوى على مدن ومعاقل كثيرة ، وإن كانت  
المدينة الرئيسية ، التى يطلق اسمها على الولاية ، هى  
كوتان • وكل شىء لازم لحياة البشر موجود هنا بأعظم  
وفرة • وهى تنتج كذلك القطن والكتان والقنب والحبوب  
والخمور وغيرها من السلع • ويزرع السكان المزارع وحقول  
الكروم ، ولديهم حدائق كثيرة (٢) • وهم يرتزقون أيضا  
بالتجارة والصناعات ، ولكنهم ليسوا جندا صالحين ،  
وسنتحدث الآن عن ولاية اسمها باين •



## الفصل الرابع والثلاثون

عن ولاية باين - وعن العقيق  
الأبيض واليشب الموجودين في  
نهرها - وعن عادة عجيبة تتعلق  
بالزواج .

ان باين ولاية امتدادها مسيرة خمسة أيام تقع في  
الاتجاه الشرقى بشمال شرق (١) . وهي تحت سلطان  
الخان الأعظم وتحتوى كثيرا من المدن والمواقع الحصينة التي  
تسمى المدينة الرئيسية فيها باسم باين أيضا . ويجرى في  
هذه الولاية نهر ، توجد في قاعه كثير من تلك الأحجار  
المسماة بالعقيق الأبيض واليشب (Chalcedonies and Jasper) .  
ويمكن الحصول على جميع انواع الأطعمة وتنتج البلاد  
القطن أيضا . ويعيش السكان على الصناعة والتجارة .  
وهم يمارسون العادة التالية وهي أنه متى سافر رجل متزوج  
الى منطقة بعيدة عن وطنه وغاب عشرين يوما ، كان  
لزوجه الحق ، ان وجدت ميلا الى ذلك ، أن تتخذ زوجا  
آخر ، كما يعتمد الرجال ، عملا بنفس المبدأ الى الزواج  
حيثما اتفق أن أقاموا . وتقع جميع الولايات سالفه الذكر  
وأعنى بها قشغر - وكوتان وباين ، الى صحراء لوب ،  
داخل حدود التركستان (٣) . ثم تعقب ذلك ولاية  
شارشان .

## الفصل الخامس والثلاثون

عن ولاية شارشان - وعن انواع  
الأحجار الموجودة بأنهارها - وعن  
حاجة السكان الدائمة ، الى الصحراء  
عند اقتراب جيوش التتار .

تعد شارشان أيضا ولاية من ولايات التركستان ، تقع  
فى اتجاه شرقى شمالى بشرق ( من باين ) كانت فيما خلا فى  
الزمان زاهرة مثمرة ، ولكن التتار خربوها وتركوها يبابا .  
والسكان هناك من المسلمين . وقصبتها الكبرى تسمى  
كذلك شارشان ( ١ ) . ويجرى فى هذه الولاية عدة أنهار  
كبيرة ، يوجد فيها العقيق الأبيض واليشب ، اللذان  
يحملان ليباعا فى كاثائى ( ٢ ) ، يبلغان من الوفرة حدا  
يجعلهما يشكلان سلعة تجارية مهمة . وأرض الاقليم الممتد  
من باين الى هذه المنطقة ، وكذا فى كل امتداده طولا  
وعرضا مكونة من رمال لا نهاية لها ( ٣ ) ، ومعظم الماء فيه  
مر لا يستساغ ، وان كان عذبا وطيبا فى أماكن معينة .  
واذا مر بهذه البلاد جيش من التتار وكان عدوا سلب أمتعة  
السكان وأموالهم ، وان كان صديقا ذبح ماشيتهم والتهمها ،  
من أجل ذلك فانهم متى علموا باقتراب أية تشكيلة من الجند ،  
يفرون بعائلاتهم وأنعامهم ، الى الصحراء الرملية ، مسيرة  
يومين ، الى أى مكان يجدون فيه مياه حلوة ويتمكنون  
بذلك من مواصلة العيش . ونتيجة لذلك الخوف نفسه  
فانهم يعمدون حين يجمعون محصولهم الى ايداع الحبوب  
فى كهوف بين الرمال ، ويأخذون من المخزون كل شهر

ما يلزم استهلاكهم ، وهنا أيضا لا يستطيع أحد عداهم معرفة الأماكن التي يلجأون إليها لذلك الغرض ، لأن الريح تمحو على الفور آثار أقدامهم . وعند مغادرة شاشان يستمر الطريق على الرمال خمسة أيام يكون فيها الماء رديئا على الجملة ولكن ليس بكل مكان . ولا يحدث بعد هذا شيء آخر يستحق الملاحظة . وبعد هذه الأيام الخمسة تصل الى مدينة لوب ، على تخوم الصحراء الكبيرة .



## الفصل السادس والثلاثون

عن مدينة لوب - وعن الصحراء  
المجاورة لها - وعن الأصوات الغريبة  
التي يسمعها من يعبرها .

تقع مدينة لوب ناحية الشمال الشرقي ، قرب بداية  
الصحراء الكبيرة ، التي تسمى صحراء لوب ( ١ ) . وهي  
تابعة لممتلكات الخان الأعظم ، وديانة أهلها الاسلام .  
والرحالة الذين ينوون عبور الصحراء ، يتوقفون في العادة  
مدة طويلة عند هذا المكان ، ابتغاء الراحة من متاعبهم ،  
فضلا عن اعداد العدة اللازمة لاستئناف رحلتهم : ومن أجل  
تلك الغاية يحملون عددا من الحمير والجمال القوية بالمؤن  
وبما معهم من بضاعة . فان استهلكت المؤن قبل اتمام  
الرحلة ، ذبحوا الأنعام التي معهم بنوعيتها وأكلوها ، ولكن  
العادة جرت باستخدام الجمال هنا وتفضيلها على الحمير ،  
لأنها تحمل أحمالا ثقيلة ولا تحصل من طعام الا على قدر  
صغير من العلف .

وينبغي أن يخزن مخزون المؤن الكافي لمدة شهر ، وهو  
الزمن اللازم لعبور الصحراء في أضيق أجزاءها . إذ أن  
قطعها في اتجاه طولها محاولة فاشلة لا جدوى منها ، وذلك  
لأن تلك المحاولة تستغرق ما يقل عن سنة بقليل . ولا شك  
أن حمل مؤن لمثل تلك المدة سيتضح انه شيء غير معقول ( ٢ ) .

وفى هذه الأيام الثلاثين تمضى الرحلة بصورة لا اختلاف فيها ما فوق منبسطات من السهول الرملية ، أو مرتفعات من الجبال القاحلة ، ولكنك تتوقف عند نهاية مسيرة كل يوم فى مكان يمكنك الحصول منه على الماء ، أجل ان ذلك الماء لا يوجد بمقدار كاف لأعداد ضخمة من الرجال ، ولكن فيه الكفاية لتزويد مئة رجل ومعهم دواب حملهم \* والماء مالح ومر عند ثلاث أو أربع من هذه المحطات ولكنه عذب وطيب عند المحطات الأخرى التى تصل الى ما يقارب العشرين \* ولن تلتقى فى هذه الشقة المترامية بحيوان ولا طير ، اذ ليس هناك طعام لها (٣) \*

ومما يؤكد على أنه حقيقة معلومة جيد العلم أن هذه الصحراء مأوى لكثير من الأرواح الشريرة ، التى تستدرج المسافرين الى حتفهم بكل أنواع الايهام الخارقة للمألوف \*

فان حدث أثناء النهار ، أن تخلف أى أفراد فى الطريق ، اما لأن النوم أعاقهم أو عطشهم أى داع من دواعى الطبيعة ، حتى تمر القافلة أمام تل وتختفى عن الأنظار ، فانهم يسمعون عن غير انتظار من يناديهم بأسمائهم ، وبصوت ونبرة قد ألفوهما ، فيظنون أن النداء صادر من زملائهم ، فيضللهم ذلك عن الطريق المباشر ، حتى اذا أصبحوا لا يدرون الى أى اتجاه يتقدمون ، يتركون حتى يلاقوا الهلاك \* فأما فى الليل فانهم يحملون على الاقتناع بأنهم يسمعون صوت مسير جمهرة ضخمة من الفرسان فى هذا الجانب أو ذاك من الطريق ، واذا يستنتجون ان الضجة انما هى مواقع أقدام فريقهم ، فانهم يوجهون أقدامهم الى الجهة التى يخیل إليهم أن الأصوات تصدر منها ، ولكنهم يتعرضون فيه للأخطار \*

ويحدث أحيانا بالمثل أثناء النهار أن تتخذ هذه الأرواح مظهر رفاقهم فى السفر ، فيخاطبونهم بأسمائهم

ويحاولون اخراجهم عن الطريق السوى . ويقال أيضا ان بعض الأشخاص يرون ، أثناء مسراهم عبر الصحراء ، ما خيل اليهم انه تشكيلة من رجال مسلحين يتقدمون نحوهم ، فيخافون من أن تهاجمهم تلك التشكيلة وتنهب ما معهم ، فيلوذون بأذيال الفرار . واذ يضيع منهم بذلك الطريق الصحيح ، واذ أنهم يجهلون الاتجاه الذى ينبغى لهم اتخاذه ليعودوا الى سواء الطريق ، فانهم يهلكون جوعا على أسوأ حال . فيالها من حكايات مذهلة ومتجاوزة لكل آفاق التصديق ! . تلك التى تروى عن هذه الأرواح الهائمة فى الصحراء التى يقال انها فى بعض الحين تملأ الهواء بأصوات جميع أنواع الآلات الموسيقية وكذلك بقرع الطبول واصطكاك الأسلحة ، والتى تجبر المسافرين على ضم صفوفهم وتضييق خط سيرهم وعلى المضى فى طريقهم بنظام أشد ترابطا وترابعا (٤) .

وهم يجدون أن من الضرورى أيضا اتخاذ الحيطة قبل هجوعهم للنوم ليلا ، بأن يثبتوا عن بعد علامة متقدمة تشير الى الطريق الذى سيسلكونه فيما بعد ، وأن يعلقوا جرسا بكل بهيمة من دواب الحمل حتى يسهل عليهم منعها من الشرود . تلك هى أشد المتاعب والأخطار التى لا محيص لهم من الالتقاء بها أثناء عبورهم تلك الصحراء .



## الفصل السابع والثلاثون

عن ولاية تانجوٲ - وعن مدينة  
ساتشيون - وعن العادة المتبعة هناك  
عند ولادة طفل ذكر - وعن منسك  
احراق جثث الموتى \*

متى أتممت رحلة ثلاثين يوما عبر الصحراء ، بلغت  
مدينة تسمى ساتشيون، (١) تابعة للخان الأعظم . وتسمى  
الولاية تانجوٲ (٢) . والناس هنا عباد أصنام (٣) .

ومنهم بعض التركمان مع قليل من النساطرة المسيحيين  
ومن المسلمين . وللوٲنيين منهم لغة تختلف عن لغة  
الآخرين (٤) . وتقع هذه المدينة في اتجاه الشرق الشمالى  
الشرقى . وشعبها ليس شعبا تجاريا ، إنما هو زراعى ،  
لديه الكثير من القمح . ويوجد بذلك القطر عدد من الأديرة  
والأبداد ( بيوت الأصنام ) التى تزخر بأوٲان مختلفة  
الأنواع والأوصاف (٥) . وإلى هذه الأوٲان التى ينظرون  
إليها بأقصى غاية التوقير ، يقدمون القرابين أيضا ، وإذا  
ولد لهم ابن وكلوه إلى رعاية أحد أوٲانهم . ويربى الأب  
تكريما لذلك الرب شاة فى بيته حتى إذا انقضى حول ، وحل  
يوم العيد الخاص بذلك ( الصنم ) اقتادوا الابن ومعه الشاة  
إلى حضرة الصنم حيث يقرب الحيوان قربانا له . فيسلقون  
اللحم ثم يحملونه ويضعونه أمام الصنم ، ويقفون بين يديه  
حتى يفرغوا من صلاة طويلة ، مدارها الابتهاال إلى الصنم  
أن يحفظ صحة طفلهم (٦) ، وهم يعتقدون أنه فى أثناء  
هذه الفترة يكون الصنم امتص جميع عصارات اللحم

اللزينة • فأما ما يتبقى من الشاة فانهم يحملونه الى البيت،  
ويجمعون كل أقاربهم وأصدقائهم فيتناولونه جميعا في  
احتفال بالغ التبتل والتقوى • ثم يجمعون العظام ويحفظونها  
في جرار أنيقة •

وينال كهنة الصنم نصيبهم وهو الرأس والأرجل  
والأحشاء والجلد ومعها بعض أجزاء من اللحم • ولعبدة  
الأوثان هؤلاء فيما يتعلق بالموتى مراسم احتفالية خاصة •

فعند وفاة أحد ذوى المكانة من الناس ، ممن تتجه النية  
الى احراق جثته ، (٧) يدعو الأقارب المنجمين ليجتمعوا ،  
ويعلمونهم بالسنة واليوم والساعة التى ولد فيها ، وعند ذلك  
يعتمد هؤلاء الى استطلاع خريطة البروج ، حتى اذا تحققوا  
من البرج ( الاقتران النجمى ) أو العلامة والكوكب المتحكم  
هناك ، حددوا اليوم الذى سيقام فيه الاحتفال بالجنائز •

فاذا تصادف أن لم يكن نفس الكوكب عندئذ فى الطالع،  
أمروا بالاحتفاظ بالجثمان أسبوعا آخر أو أكثر ، بل حتى  
الى مدة ستة أشهر أحيانا قبل السماح باقامة مراسم الحفل •

وأما فى الحصول على ظاهرة مرضية ، وخوفا من  
التعرض لآثار مؤثرات معاكسة ، لا يجرؤ الأقارب على حرق  
الجثة حتى يحدد المنجمون الزمن المناسب (٨) واذا أصبح من  
الضرورى بناء على هذا الاعتبار أن يظل الجثمان طويلا  
بالمنزل ، ورغبة فى التجنن من عواقب التعفن الرمى ،  
يجهزون تعشا مصنوعا من ألواح الخشب التى سمكها شبر ،  
والتي تحبك بعضها فى بعض حبكا جيدا وتطلى بالطلاء ،  
فيضعون فيها الجثة ، ومعها مقدار من الصمغ العطرية  
والكافور وغيره من العقاقير ، فاما مواضع الأوصال وخطوط  
الالتئام فانهم يطلونها بخليط من القار والجير ثم يغطى  
الكل بعد ذلك بالحريز •

وفى أثناء تلك المدة تفرش المائدة كل يوم بالخبز والخمر وغيرهما من المؤن ، وكلها تظل قائمة الزمن الكافى ليتناول وجبة ملائمة واللازم كذلك لروح المتوفى التى يزعمون أنها حاضرة تلك المناسبة - لأشباع نفسها من روائح الأطعمة .

وفى بعض الأحيان يشير المنجمون على أقارب المتوفى بألا يحمل جثمانه من المنزل من الباب الرئيسى ، وذلك تبعاً لاكتشافهم من هيئة البروج ، أو بأية طريقة أخرى أن اتباع مثل ذلك الطريق يجلب النحس ، ومن ثم ينبغى حمله من جانب آخر من المنزل (٩) بل الحق انهم يجبرونهم فى بغض الحالات على فتح ثغرة فى الحائط الذى يصادف وجوده قبالة النجم الخير ذى الطالع الموائم ، وحمل الجثة من تلك الفتحة ، باقناعهم بأنهم ان أبوا فعل ذلك ، فان روح المتوفى سيثار سخطها على العائلة وتنزل بهم بعض الأذى .

ومن ثم ، فاذا حلت أية نائية بأحد البيوت ، وأصيب أى شخص ينتسب اليه بحادثة أو خسارة ، أو ألم به موت مبكر ، لم يفت المنجمين نسبة ذلك الحادث الى جنازة لم تتم أثناء صعود الكوكب الذى ولد تحته القريب المتوفى ، بل تمت على العكس عندما كانت الجنازة معرضة لتأثير طالع سيئ ، أو لأنها لم تخرج من الباب الصحيح .

ولما كان الاحتفال بحرق الجسد ينبغى أن يتم خارج المدينة ، فانهم يبتنون بين مسافة وأخرى على الطريق الذى تمر منه الجنازة مباني خشبية صغيرة لها سقائف يغطونها بالحريز ، وكلما وصلوا الى واحدة منها وضعوا الجسد تحتها . ويضعون أمامه أنواع اللحم والشراب ، ولا يزالون يكررون ذلك حتى يصلوا الى النقطة المحددة ، معتقدين ، فى كل ما يعملون ، أن الروح تنتعش وتكتسب القوة والطاقة على مجابهة الحرق الجنائزى .



وتم مرسوم احتفالي آخر يمارس في هذه المناسبات .  
فانهم يحضرون عددا من قصاصات الورق ، مصنوعا من لحاء  
نوع معين من الشجر ، وقد رسمت عليها بالألوان أشكال  
الرجال والنساء ، والخييل ، والجمال ، وقطع العملة ،  
والثياب ، فيحرقونها مع الجثة جميعا ، وهم على اقتناع بأنه  
في العالم الآخر سيستمتع الراحل بخدمات ومتافع الخدم  
والأنعام وجميع الأشياء المصورة على الورق ( ١٠ ) .

وفي أثناء هذه الاجراءات أجمع ، تتردد أصوات جميع  
الآلات الموسيقية التابعة للمكان وتملأ الأسماع بطنين  
لا ينقطع ( ١١ ) . والآن وقد تحدثنا عن هذه المدينة ، فانا  
سنذكر بعد ذلك مدنا أخرى ، تقع الى الشمال الشرقي ، قرب  
رأس الصحراء .

## الفصل الثامن والثلاثون

عن منطقة كامول ، وعن بعض  
العادات الغريبة المتعلقة بضيافة  
الغرباء .

ان كامول منطقة تقع داخل الولاية الكبرى المسماة  
تانبوت ، الخاضعة للخان الأعظم ، كما أنها تحوى كثيرا من  
المدن والقلاع ، تسمى الرئيسية منها باسم كامول ايضا (١) .  
وتقع هذه المنطقة فى المسافة التى تتوسط صحراوين ، واعنى  
بذلك الصحراء الكبيرة سالفة الوصف ، وأخرى أقل اتساعا ،  
يقارب قطرها مسيرة ثلاثة أيام (٢) .

والسكان هناك وثنئون يعبدون الأصنام ، ولهم لغتهم  
الخاصة (٣) . وهم يعيشون على ثمار من الأرض ، يملكونها  
بوفرة ، كما يتمكنون من تزويد المسافرين بحاجتهم (٤) .

والرجال منغمسون فى الملذات ، ولا يهتمون بشئ غدا  
اللعب على آلات الموسيقى والغناء والرقص والقراءة والكتابة  
حسبما جرت به عادة الاقليم ، وبعبارة موجزة التجرى وراء  
كل نوع من أنواع التسلية (٥) . وعندما يصل الغرباء  
ويرغبون فى الحصول على السكن والراحة والاستقرار فى  
بيوتهم ، فإنهم يحصلون هنا على درجات الاشباع . اذ أنهم يعطون  
زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم وغيرهن من أقاربهم من النساء  
أوامر ايجابية بامتناع ضيوفهم بكل رغبة يرغبونها ، على حين  
يفادر الرجال بيوتهم وينسحبون الى المدينة فيعيش الغريب  
فى الدار مع الاناث كأنما هن زوجاته ، ويرسل الرجال كل

ما يلزم الدار من الضروريات ، وهو شيء ينبغي أن تفهم أنهم يتوقعون في مقابله مالا ، كما أنهم لا يعودون الى بيوتهم مادام الغرباء مقيمين فيها .

ويعد هؤلاء القوم تنازلهم هذا عن نساء عائلتهم لضيوف عارضين ، يتخذون نفس حقوق الزوج ويلقون نفس الاستمتاع كأنما هي زوجات لهم ، تشريفا وتكريما ورفعاً لسمعتهم ، وذلك باعتبار أن حسن وفادة الضيوف ، الذين أصبحوا ( بعدما لقوه في رحلتهم من مخاطر ومتاعب ) بحاجة الى الراحة والاستجمام ، عمل مستوجب لمرضاة آلهتهم ومحسوب فيه استئصال البركات في عدد أفراد عائلاتهم ، وأن يزيد ما لديهم من مواد وخز ، وأن يعود عليهم بالسلامة من جميع الأخطار ، كما يورثهم عاقبة موفقة في كل ما يعلمون . ونسأؤهم بلغن الغاية في الجمال حقا ، والغاية في الشهوة الحسية ، والغاية في الاستعداد للتوافق في هذه الناحية مع ما يوصيهن به أزواجهن .

وقد حدث في وقت أقام فيه مانجو ( ما نكو ) خان بلاطه في هذه الولاية ، وقد بلغت مسامحه هذه العادة الفاضحة ، أنه أصدر مرسوما يأمر أهل كاسول أمرا جازما بضرورة الاقلاع عن عرف يجللهم بالعار البالغ ، ويحرم على الأفراد تزويد الغرباء بالمسكن ، فيضطر هؤلاء الغرباء أن ينزلوا يدان ايواء عامة أي مسافر خانه (aravanserai) وأطاع السكان بحزن وأسى أمر مولاهم مدة ثلاث سنوات ، ولكنهم اذ وجدوا في نهاية الأمر أن الأرض كفت عن أن تؤتي ثمارها المعهودة وأن كثيرا من الحوادث المحزنة حدثت لعائلاتهم ، صمموا أن يبعثوا الى الخان الأعظم وفدا مفوضا بأسمائهم لكي يرجوه أن يتفضل بالاذن لهم بمعاودة عادة توارثوها بكل اكبار عن آبائهم وأواليتهم في أقدم العصور ، وخاصة أنهم حينما توقضوا عن ممارسة أعمال الاكرام واشباع الغرباء بالمتعة ، حل بمصلحة عائلاتهم دمار دائم



مطرد . فلما أن استمع الخان الأعظم لهذا الملتبس أجاب  
بالتالى : « لما يظهر عليكم من بالغ اللهفة على الاستمرار فى  
شئناكم وخزيكم ، عليكم الأمر كما تريدون . فاذهبوا  
وعيشوا حسب عاداتكم وأعرافكم الدنيئة ، واسمحوا  
لزوجاتكم بأن يواصلن تقبل الأجور الحقيمة عن بفائهن » .

وبهذا الجواب عاد المندوبون الى بلادهم ، فبثوا فى قلوب  
الناس جميعا أعظم البهجة ، وهم لا يزالون حتى يومنا هذا ،  
يراعون عاداتهم القديمة (٦) .

## الفصل التاسع والثلاثون

### عن مدينة تشنتشيتالاس

بعد منطقة كامول تجيء منطقة تشنتشيتالاس ، التي تتاخم الصحراء في ناحيتها الشمالية وطولها مسيرة ستة عشر يوما (١) . وهي تابعة للخان الأعظم ، وتشمل مدنا وحصونا عديدة .

ويتألف سكانها من طوائف دينية ثلاث : فتؤمن قلة منهم بالمسيح ، على المذهب النسطوري ، وآخرون يتبعون ملة محمد ، ثم فئة ثالثة تعبد الأوثان . ويوجد في هذه الناحية جبل ، تنتج مناجمه الفولاذ وكذلك الزنك أو الأثمد (٣) . وتوجد بالمثل مادة لها طبيعة عظاءة ( سحلية ) السمندر ، الخرافية وذلك لأنها متى نسجت قماشاً وألقيت في النار ، ظلت غير قابلة للاحتراق (٤) .

وقد علمت الطريقة التالية لتجهيز تلك المادة من أحد رفاق السفر ، واسمه كورفيكار ، وهو توركماني ذكي جدا تولى ادارة عمليات التعدين بالولاية لمدة ثلاث سنوات . وتألف المادة الخام المحترقة المأخوذة من الجبل من ألياف غير بعيدة الشبه من خيوط الصوف . حتى اذا عرضت تلك الألياف للشمس لتجف ، تدق في هاون من نحاس ، ثم تغسل بعد ذلك حتى تنفصل عنها كل المواد الترابية . فاذا تم بذلك تنظيف الألياف وفصلها بعضها عن بعض ، غزلت خيوطا ونسجت قماشاً . ولتبييض النسيج ، يضعونه في النار ،

ويتركونه فيها زهاء الساعة ، حيث يخرجونه غير مضار بالنار وأبيض كالثلج • ثم انهم ينظفونه بعد ذلك بنفس العملية ، كلما تصادف أن ألت به بقع ، اذ لا ينظفه محلول منظف عدا النار الحارقة (٥) • فأما عن السمندر في صورة ثعبان ، ويظن أنه يقيم في النار ، فاني لم أتمكن من اكتشاف أى أثر له في الأقاليم الشرقية • ويقال انهم يحتفظون في روما بفوطه منسوجة من هذه المادة ، لف فيها Sudarium محرمة للرب ، وقد أرسلت هدية من أحد أمراء التتار الى الحبر الأعظم في روما •



## الفصل الأربعون

عن منطقة سكوير ، التي ينتج بها  
الراوند ، ومنها ينقل الى جميع أقطار  
العالم .

عند مغادرة المنطقة المذكورة أخيرا ، والتقدم مدة عشرة  
أيام في اتجاه الشرق الشمالى الشرقى ، من خلال اقليم به  
قليل من المساكن ، والقليل مما يستحق الذكر من أى شيء ،  
تصل الى منطقة تسمى سكوير ، تقوم بها مدن وقلاع كثيرة ،  
تسمى الرئيسية منها سكوير (١) . والسكان عبدة أصناع  
على وجه الجملة ، يخالطهم بعض المسيحيين (٢) . وهم  
خاضعون لسلطان الخان الأعظم . والولاية المترامية التي  
تضم هذه المناطق والمنطقتين اللتين سيرد ذكرهما بعد ، تسمى  
تانبوت ، وينتج بكل أرجائها الجبلية أفخر أنواع الراوند  
بمقادير كبيرة ، والتجار الذين يحصلون على أحمال ضخمة  
منه يحملونه من موقعه الى جميع أرجاء العالم (٣) . ومن  
الحقائق الدارجة أنهم عندما يتخذون ذلك الطريق ،  
لا يستطيعون المخاطرة فى الجبال بأية دواب حمل عدا تلك  
التي تعودت على الاقليم ، وذلك بسبب النباتات السام الذى  
ينمو هناك ، والذى لو تناولته البهائم جعل حوافرها تسقط ،  
ولكن بهائم المنطقة لدرايتها بخطر ذلك النبات تحرص على  
تجنبه . ويعتمد أهل سكوير فى معاشهم على ما تنبته الأرض  
من ثمار وعلى لحوم ماشيتهم ، كما أنهم لا يشتغلون بالتجارة .  
والمنطقة صحية الى أكمل حد ، وبشرة السكان سمراء بنية .

## الفصل الحادى والأربعون

عن مدينة كامبيون ، المدينة  
الرئيسية لولاية تانجوث - وعن  
طبيعة أصنامهم وعن طريقة عيش  
أولئك الذين يختصون بين الوثنيين  
بخدمة الدين - وعن التقويم الذى  
يستخدمونه - وعن عادات بقية  
السكان الآخرين بصدد الزواج .

ان مدينة كمبيون ، كبرى مدن تانجوث (١) ، ضخمة  
وفخمة وسلطانها ينبسط على الولاية بأكملها (٢) . وغالبية  
السكان تعبد الأصنام ، ولكن فيهم من يتبعون ملة محمد  
وبعض المسيحيين . وللمسيحيين ثلاث كنائس ضخمة وجفيلة  
بالمدينة (٣) . فأما الوثنيون فلهم بيوت دينية كثيرة ، أى  
أديرة وأبداد ( بيوت الأصنام ) قد بنيت على نسق عمارة  
البلاد ، وفيها يقوم جمع غفير من الأوثان ، منها ما هو من  
الخشب ، ومنها ما هو من الحجر وما هو من الطين ، وكلها  
مغطاة بالذهب . وهى منحوتة بأسلوب رائع ، وبعضها شديد  
الضخامة ، كما أن بعضها الآخر صغير الحجم (٤) . ويبلغ طول  
الأول منها عشر خطوات كاملة كما انها ترقد فى وضع  
مضطجع ، والتماثيل الصغيرة تقف خلفها وعليها سيماء  
التلاميذ (أى الحواريين) وهى تؤدى تحية عامرة بالتوقير (٥) .  
والضخم منها والصغير يلقي أجلا لا مفرطا . والأشخاص  
المختصون بخدمة الدين بين هؤلاء الوثنيين يعيشون ، حسب  
أفكارهم على الأخلاقيات والفضائل ، عيشة أقوم من الطبقات

الأخرى ، اذ يمتنعون عن استمرار الشهوات الجسدية والحسية (٦) ومما يجمال ذكره أن الاتصال الجنسي غير المشروع ، لا يعد عند هؤلاء الناس على الجملة جريمة خطيرة كما ان المبدأ السارى بينهم هو أنه متى كانت الأنثى هي البادئة بالعرض فلا اثم ولا جريمة فى المباشرة ، ولكن الاتصال يعد اثماً ان تقدم بطلبه الرجل . وهم يستخدمون تقويماً يماثل تقويمنا فى كثير من الأوجه ، يلتزمون بمقتضى قواعده ، أن يمتنعوا أثناء خمسة أو أربعة أو ثلاثة أيام من الشهر عن سفك الدم ، وعن أكل اللحم والطيور ، وذلك مثل عاداتنا فيما يتعلق بيومى الجمعة ، والسبت والسهر للعبادة عشية أعياد القديسين (٧) .

ويتخذ سواد الناس من العلمانيين لأنفسهم عددا من الزوجات يصل الى الثلاثين ، ومنهم من يزيد عن ذلك ومنهم من ينقص ، حسب قدرتهم على اعالتهن ، وذلك لأنهم لا يتلقون أية بائنة منهن ، بل على العكس يعرضون لزوجاتهم بائنة من ماشية وعبيد ومال (٨) والزوجة الأولى تحتفظ على الدوام بالمنزلة العليا فى العائلة ، ولكن اذا لاحظ الزوج أن واحدة منهن لا تحسن معاملة غيرها من الزوجات ، أو اذا هى أصبحت من ناحية أخرى منفرة له ، أمكنه طردها . وهم يأخذون الى فراشهم أقربهن منهم قرابة دم ، بل حتى يتزوجون حمواتهم . وهناك خطايا مميتة أخرى كثيرة ينظر اليها عندهم بغير اكتراث وهم يعيشون فى هذا الصدد كالسائمة فى الحقول . وفى هذه المدينة أقام ماركو بولو مع أبيه وعمه ، مدة تقارب العام ، وهو أمر حتمته عليهم ظروف مشاغلهم (٩) .



## الفصل الثانى والأربعون

عن مدينة ايزينا - وعن انواع  
الماشية والطيور الموجودة بها - وعن  
صحراء ذرعها مسيرة أربعين يوما نحو  
الشمال \*

فاذا أنت خرجت من مدينة كامبيون هذه ، ورحلت اثنى  
عشر يوما فى الاتجاه الشمالى بلغت مدينة تسمى ايزينا (١) ،  
تقع عند بداية الصحراء الرملية ، وداخل ولاية تانجوث \*  
والسكان هنا وثنىون \* ولديهم الجمال والكثير من الماشية  
بمختلف أنواعها \* وهنا تجد صقور الحر (Lanner-falcons)  
وكثيرا من الصقور الممتازة وتسد ثمار الأرض ولحوم الماشية  
حاجات الأهالى ، كما انهم لا يشتغلون بالتجارة \* والمسافرون  
الذين يمرون من هذه المدينة يختزنون لأنفسهم مؤنا تكفيهم  
أربعين يوما ، وذلك لأنهم عندما يغادرونها للتقدم شمالا ،  
يستغرقون تلك المدة الزمنية فى عبورهم صحراء ، لا يبدو  
فيها أثر لدار ولا ديار اللهم الا قلة فى فصل الصيف تعيش  
بين الجبال وفى بعض الوديان \* وفى هذه المراكز ، التى  
ترتادها حمر الوحش وغيرها من الحيوان الوحشى أيضا (٢) ،  
يجدون الماء وغابات من أشجار الصنوبر \* حتى اذا عبرت  
هذه البيداء ، وصلت الى مدينة تقع على جانبها الشمالى ،  
تسمى كراكوران \* وتتبع جميع المناطق والمدن سالفه الذكر  
وأعنى بها ساكيون وكامول وتشنتشيتالاس وسكوير  
وكيمبيون وايزينا - ولاية تانجوث الكبيرة \*

## الفصل الثالث والأربعون

عن مدينة كاراكوران ، أولى المدن  
التي ثبت فيها التتار مقر حكمهم .

يقارب محيط مدينة كاراكوران ( ١ ) ثلاثة الأميال ،  
وهي أول مكان أسس فيه التتار مقر حكمهم في الأزمنة  
السحيقة . ويحيط بها استحكام حصين من الثرى ، نظرا لقلة  
وجود الحجر بتلك المنطقة . وإلى خارج ذلك الاستحكام ،  
وعن كثر منه ، تقف قلعة ضخمة ، فيها قصر جميل يشغله  
حاكم المكان .

## الفصل الرابع والأربعون

عن أصل مملكة التتار - وعن  
الاقليم الذى منه جاءوا - وعن  
خضوعهم السابق لأون خان ، وهو  
أمير من الشمال ، يسمى أيضا  
بريستر جون ( القس يوحنا ) .

سنقص على مسامعك الآن الظروف التى بدأ منها هؤلاء  
التتار ممارسة السيادة والحكم . كانوا يسكنون فى اقليمى  
جورزا وبارجو الشماليين ( ١ ) ، دون أن تكون لهم مساكن  
ثابتة ، أى دون مدن ولا أماكن محصنة ، وهناك كانت تمتد  
سهول مترامية ، ومرعى طيب وأنهار كبيرة وماء غدق :  
( كثير ) . ولم يكن لهم ملك خاص بهم . بل كانوا تابعين  
لأمير قوى ، كان يسمى بلغتهم الأصلية - فيما بلغنى -  
أون خان ( ٢ ) ، وهو اسم يظن بعضهم أنه يراد به بريسترجون  
عندنا ( ٣ ) . واليه كان هؤلاء التتار يقدمون عشر ماشيتهم  
( وهى الزيادة فيها ) . وبمضى الوقت زادت القبيلة زيادة  
مفرطة الى حد أن أون خان - أى القس يوحنا - وقد خاف  
قوتهم ، دبر خطة لتفريق شملهم شيئا فحتم عليهم أن  
يتخذوا مناطق محددة من الأرض سكنا لهم . وتمشيا مع هذا  
الرأى أيضا فانه كلما سنحت فرصة ، كشبوب عصيان فى أية  
ولاية من الولايات الخاضعة له ، كان ينتقى بطريق القرعة  
ثلاثة أو أربعة فى المائة من هؤلاء القوم ، ليعملوا على القضاء  
عليه ، وبذلك أخذت قوتهم تضمحل تدريجيا . وكان يعتمد



بالمثل أيضا الى ارسالهم فى حملات أخرى ، ويرسل بينهم  
بعض كبار ضباطه ليتحققوا من أن مقاصده نفذت فعلا .  
وأخيرا أدرك التتار ربيعة العبودية التى كان يحاول أن  
يوقعهم فيها ، فصمموا على إقامة اتحاد صلب بينهم . ولما  
رأوا أنه لا يدبر لهم الا تدميرهم النهائى ، دبروا خطة الانتقال  
من الأماكن التى كانوا يسكنونها آنذاك ويمموا صوب الشمال  
عبر بيداء مترامية . حتى اطمأنوا تماما أن المسافة التى  
تفرق بينه وبينهم تضمن سلامتهم اذا ما رفضوا بعد ذلك أن  
يؤدوا الى أون خان الجزية المعتادة (٤) .

## الفصل الخامس والأربعون

عن تشنجيس خان ، أول أباطرة  
التتار ، وحربه مع أون خان ، وخلمه  
اياه ، واستيلائه على مملكته  
لنفسه .

بعد انقضاء ربح من الزمان على هجرة التتار الى هذا  
المكان ، وقرب عام ١١٦٢ للميلاد (١) ، قاموا باختيار  
رجل اسمه تشنجيس خان ملكا عليهم ، وهو رجل  
أوتى استقامة مستحسنة ، وحكمة عظيمة وفصاحة مؤثرة ،  
وقد برز بينهم بشجاعته . فبدأ حكمه برفع ميزان العدالة  
والاعتدال فى المعاملة حتى أحبه الناس ووقروه ربا معبودا  
أكثر منه عاهلا حاكما ، ودعا اشتهاره بعظيم السجايا ومكارم  
الصفات فى ذلك الجزء من العالم ، جميع التتار ، على تفرق  
شمهم ، الى وضع أنفسهم تحت امرته .

فلما أن وجد نفسه هكذا على رأس العدد الوفير من  
الكماة الشجعان ، امتلأ طموحا فى الخروج من الصحارى  
والبرارى التى تكتنفه من كل جانب ، وأصدر اليهم الأوامر  
بالتسلح بالقسى وغيرها من أسلحة أتقنوا استخدامها فيما  
ألفوه من عادات أثناء حياة الرعى . وعند ذلك انتقل الى بسط  
سيادته على المدن والولايات ، وكان من أثر اتصافه بالعدل  
وغیره من الفضائل ، أنه حيثما ذهب ، ألفى الناس على  
استعداد للخضوع له واعتبار أنفسهم من السعداء لو أدخلوا  
فى حمايته وعطفه .

وعلى هذا النحو تملك ناصية تسع ولايات تقريبا .  
وليس فى نجاحه أى عجب ، اذا ما تأملنا أنه فى تلك الفترة  
كانت كل مدينة ومنطقة اما محكومة بشعبها نفسه أو بملك  
صغير أو أمير ، ولما لم يكن قائما بينهم اتحاد عام ، كان من  
المحال عليهم فرادى مقاومة قوة عاتية كقوته .

وكان عند اخضاعه تلك الأماكن يعين عليها الحكام ،  
الذين كانوا مثالين فى سلوكهم بحيث لم يكابد السكان شيئا  
من العناء ، لا فى أشخاصهم ولا ممتلكاتهم ، كما أنه تبنى  
بالمثل سياسة أخذ كبراء الناس معه الى ولايات أخرى مع  
منحه اياهم الجعول والعطايا (٢) . فلما أن شاهد كيف كانت  
مغامراته تكلل ببالغ النجاح ، صمم على أن يحاول القيام  
بأشياء أعظم وأعظم .

وبناء على هذه الفكرة بعث بالسفراء الى بريسترجون  
محملين برسالة مخادعة ، عرف مقدما أن ذلك الأمير لن  
يستجيب لها ، طالبا يد ابنته (٣) . وعندما تلقى العاهل  
الطلب صاح غاضبا : « من أين نشأت هذه القحة عند  
تشنجيس خان ، الذى يتجراً - مع علمه بأنه خادمى - بطلب  
يد ابنتى ؟ » ، وقال : « ارحلوا على الفور ، وأعلموه عنى بأنه  
ان عاد ثانية الى هذا الطلب أنزلت به قتلة مهينة » .

وثارت ثائرة تشنجيس خان لهذا الجواب ، فجمع جيشا  
عظيما ، دخل على رأسه أراضى بريسترجون . وخيم بعسكره  
فى سهل عظيم يسمى سهل التندوك ، وأرسل الى الملك رسالة  
يطالبه فيها بالدفاع عن نفسه . وتقدم الأخير بالمثل الى  
السهل بجيش عرمرم ، واتخذ موقعه على مسافة تقارب عشرة  
أميال من جيش عدوه (٤) . وأمر تشنجيس خان وهو فى  
هذه الضائقة منجميه وسحرته أن يعلنوا من سيكون الفائز  
من الجيشين فى القتال المقبل . وعند ذلك تناولوا قصبه  
خضراء ، وقد شقوها بالطول الى قسمين ، كتبوا على أحدهما  
اسم مولاها وكتبوا على الآخر اسم أون خان . ثم وضعوهما



على الأرض وبينهما مسافة قريبة ، وأعلموا الملك انه  
اثناء نطقهم تعازيمهم ، ستتقدم قطعنا القصب مقتريبتين  
احدهما من الأخرى وسيكون النصر نصيب الملك الذى  
سترى قطمته وهى تعلو فوق الأخرى - واجتمع الجيش  
كله ليكون شهيدا على هذا الحقل ، وبينما كان المنجمون -  
منشغلين بتلاوة كتبهم فى السحر ، شاهد الجمع القطعتين  
تشرعان فى التحرك والاقتراب وبعد فترة زمنية وجيزة ،  
شوهدت التى تحمل اسم تشنجيس خان تعلو فوق قمة  
غريمتها . (٥) .

وعندما شهد الملك وعصبته من التتار ذلك ، زحفوا  
مبتهجين لمهاجمة جيش أون خان ، فاخترقوا صفوفه وشتتوا  
شملة تشتيتا - ولقى أون خان مصرعه ، وأصبحت مملكته  
غنيمة للفاتح ، وتزوج تشنجيس خان ابنته - وبعد هذه  
المعركة استمر ست سنوات فى فتح ممالك ومدن جديدة  
وضمها تحت لوائه ، حتى أصابه أخيرا ، أثناء حصاره قلعة  
تسمى ثايجن (٦) ، سهم فى ركبته ، فمات متأثرا بجرحه  
ودفن فى جبل الطاي .

## الفصل السادس والأربعون

عن ستة أباطرة متعاقبين  
للتتار ، وعن الاحتفالات التي تقام  
عند حملهم ليدفنوا بجبل آلتاي .

خلف تشنجيس خان في العرش ، سيهين خان ، وكان  
الخان الثالث هو بائين خان ، فأما الرابع فهو ايسوخان ،  
والخامس مونجو خان والسادس قبلاي خان (١) الذي صار  
أعظم وأقوى من كل من عداه منهم ، وذلك لأنه ورث  
ما ملكه أسلافه ثم عاد بعد ذلك في مدى حكم دام ستين  
عاما (٢) ، فاجتاز ، فيما قد يقال ، سائر ما تبقى من العالم  
ولقب « خان » أو « كان » هو المعادل لامبراطور في لغتنا .  
وجرت العادة على الدوام ، وبلا أدنى اختلاف ، أن يحمل  
جميع الخانات العظام والرؤساء من جنس تشنجيس خان  
ليدفنوا في جبل ما مرتفع يسمى جبل آلتاي ، ومهما يكن  
المكان الذي يتصادف موتهم فيه ، ولو كان على مسيرة مائة  
يوم ، فانهم رغم ذلك يحملون الى هناك .

وجرت العادة بالمثل أيضا ، أثناء موكب سير جنازة  
هؤلاء الأمراء ، أن يقوم من عليه من حراس وركب بذبح أى  
أشخاص يتصادف أن يلتقوا بهم على الطريق قائلين لهم :  
« ارحلوا الى العالم الآخر وهناك كونوا في خدمة مولاكم  
المتوفى » ، وذلك لاعتقادهم الراسخ بأن جميع من يقتلونهم

على هذا النحو يصبحون بالفعل خدما له في العالم الآخر .  
وهم يفعلون نفس الفعل بالخيال ، حيث يقتلون أنجبها عترة  
حتى يتمكن من استخدامها هناك . ولما أن حملت جثة مونجو  
( مانكو ) الى هذا الجبل ، قتل الخيالة الذين رافقوه ، وقد  
آمنوا بهذه الفكرة العمياء الرهيبة ، ما يقارب عشرين ألف  
شخص ، تصادف وقوعهم في طريقهم ( ٣ ) .



## الفصل السابع والأربعون

عن حياة التجوال التي يعيشها  
التتار - وعن عاداتهم المنزلية  
وطعامهم وما تتصف به نساؤهم من  
فضيلة وصفات نافعة .

والآن وقد بدأت الحديث عن التتار ، فاني سأزيدكم  
بيانا عنهم . لا يقيم التتار بأرض واحدة أبدا ، ولكن متى  
اقترب الشتاء انتقلوا الى سهول منطقة أدفا ، لكي يجدوا  
مراعى كافية لماشيتهم ، كما أنهم في الصيف ينتجعون المواقع  
الباردة في الجبال، التي يتوافر فيها الماء والخضرة ، وتتخلص  
فيها ماشيتهم من مضايقة ذباب الخيل وغيره من الحشرات  
العضاضة .

ولا يزالون أثناء شهرين أو ثلاثة يصعدون باطراد  
أرضا أعلى فأعلى ، وينتجعون مراعى جديدة ، وذلك لأن  
العشب لا يكون كافيا في محل واحد بعينه لاطعام الجموع  
الغفيرة التي تتألف منها قطعانهم (١) . وأكواخهم  
أو خيامهم مصنوعة من قضبان مغطاة باللباد ، ونظرا لأنها  
مستديرة تماما وتوضع مع بعضها البعض على صورة لطيفة ،  
فانهم يستطيعون جمعها في حزمة واحدة ويحولونها ربطات ،  
يحملونها معهم أثناء هجراتهم ، على ضرب من العربية له أربع  
عجلات (٢) . ومتى آن أوان اقامتها مرة ثانية جعلوا واجهة  
المدخل متجهة الى الجنوب (٣) .

وفضلا عن هذه العربات، فلهيهم نوع ممتاز من المركبات ذات العجلتين ، وهي مغطاة كذلك باللباد الأسود وبطريقة فعالة جدا ، بحيث انها تحمى من يستقلونها من البلل أثناء يوم كامل من المطر . وهذه كلها تجرها الثيران والجمال ، وتستخدم فى حمل زوجاتهم وأطفالهم وجميع ما لديهم من مواعين وما يلزمهم من مؤن (٤) . والنساء هن اللائى يتولين شئونهم التجارية ، فهن اللائى يشتريين ويبيعن ، ويزودن أزواجهن وخدمهن بكل ما يلزمهم من الضروريات (٥) وذلك لأن وقت الرجال موجه بأكمله للصيد والتصقير وكل ما يتعلق بالحرب وحياتها من أمور . ولديهم خير ما فى العالم من صقور وكذلك خير الكلاب .

وهم يقتصرون تماما فى طعامهم على اللحم واللبن ، مع تناول ما تصل اليه أيديهم من حصيلة الصيد ، وحيوان معين صغير ، وقريب الشبه من الأرنب ، ويسمى فأر فرعون ، يوجد بوفرة عظيمة فى فصل الصيف فى منطقة السهول (٦) . ولكنهم يأكلون أيضا اللحم بكل أصنافه وأوصافه : الخيل والجمال ، بل حتى الكلاب ، شريطة أن تكون سمينة . وهم يشربون لبن الأفراس ، الذى يعالجونه بطريقة تجعل فيه صفات النبيذ الأبيض ونكهته . وهم يسمونه فى لغتهم «كيمورس» (٧) . ولا يبرز نساءهم فى العالم أحد من النساء بما ركب فيهن من عفة واحتشام فى الخلق ، ولا من حب لأزواجهن وأداء واجباتهن نحوهم .

والخيانة لفراش الزوجية لا تعد بينهن فحسب رذيلة تعاب وتمس الشرف ، ولكنها أيضا تعد فضيحة شنعاء (٨) ، وذلك بينما يأخذك الإعجاب من ناحية أخرى اذ تلحظ وفاء الأزواج لزوجاتهم ، اللائى وان ربما بلغن فى العدد عشرة أو عشرين ، فانه يسود بينهن درجة من الوئام والاتحاد جديرة بأعظم الثناء . فلن نخدش مسامعك لفظة جارحة ، اذ أن تجارتهن تشغل اهتمامهن كله ( كما أسلفنا اليك )

فضلاً عن مشغولياتهن المنزلية ، كامداد العائلة بالطعام  
الضرورى ، والاشراف على الخدم ، والعناية بالأطفال ، التى  
هى مشغلة مشتركة بينهن جميعاً . وفصائل الحشمة والعفة  
فى زوجاتهم انما هى أجدر بالثناء ، نظراً لأنه يباح للرجال  
اتخاذ أى عدد يرغبون فيه من النساء (٩) .

ونفقتهن على الزوج ليست بالكبيرة ، كما أن المنفعة  
التى يحصل عليها من اشتغالهن بالتجارة ، ومن الأعمال التى  
لا يبرحن يشتغلن فيها على الدوام ، تعد ضخمة فى واقع  
الأمر ، وبناء على ذلك فانه عندما يستقبل شابة كزوجة له ،  
يدفع لوالديها مهراً (١٠) على أن للزوجة الأولى امتيازاً هو  
الحصول على الاهتمام الأعلى ، كما أنها تعد أكثرهن شرعية ،  
وهو أمر يشمل أيضاً الأطفال المولودين منها . ونتيجة لهذا  
العدد غير المحدود من الزوجات ، فان الذرية أكثر وفرة منها  
بين أى شعب آخر . وعند وفاة الأب ، يستطيع الابن أن يتخذ  
لنفسه الزوجات اللائى يخلفهن أبوه ، باستثناء أمه وحدها .  
وهم لا يستطيعون أن يتخذوا من أخواتهم زوجات ، ولكنهم  
يستطيعون عند وفاة اخوتهم التزوج من زوجة الأخ (١١) .  
ويحتفل بكل زواج بأبهة جليلة ومراسم عظيمة .



## الفصل الثامن والأربعون

عن آلهة التتار السماوية  
والأرضية ، وعن طرائق تعبدهم -  
وعن ملبسهم ، وأسلحتهم ،  
وشجاعتهم في القتال ، وصبرهم  
على صنوف الحرمان ، وطاعتهم  
لقادتهم .

اليكم الآن مذهب التتار وعقيدتهم : فهم يؤمنون بآله  
له طبيعة رفيعة وسماوية . وهم يحرقون له البخور في  
المباخر ، ويرفعون إليه الصلوات ابتغاء الاستمتاع بصحة  
العقل والبدن (١) . ويعبدون آخر بالمثل يسمى «ناتيجاي» ،  
ويحتفظ كل فرد من أفراد الشعب في منزله بتمثال له مغطى  
باللباد أو غيره من قماش . وهم يضمنون إلى هذا الإله زوجة  
وأطفالا ، واضعين الزوجة عن يساره والأطفال أمامه ، وهم  
في وضع من التحية المترعة بالتوقير .

وهو الذي يعدونه الرب الذي يتولى شئونهم الدنيوية ،  
ويحمي أطفالهم ، ويحرس ماشيتهم وحبوبهم (٢) وهم يقدمون  
إليه احتراماً كبيراً ، ولا يفوتهم في كل وجبة أن يقتطعوا  
قطعة سمينة من اللحم يمسحون بدهنها فم الإله ، وكذلك فم  
زوجته وأطفاله . ثم يقذفون خارج الباب بقليل من الشراب  
الذي هييء فيه اللحم ، كتقدمه للأرواح الأخرى (٣) .

فاذا تم ذلك ، اعتبروا أن ربهم وأسرته حصلوا على  
نصيبهم الواجب ومضوا في طعامهم وشرابهم بغير مراسم

أخرى • ويرتدى الغنى بين هؤلاء الناس ثياب القصب  
والحرائر مع جلود السمور الأسود والسمور الأبيض (القاتم)  
وغيرها من حيوان •

وأسلحتهم هي القسي والقضبان ( الدبابيس )  
الحديدية والحرايب في بعض الحالات ، ولكن القوس  
هو السلاح الذى هم فيه خبراء يجيدون استخدامه  
الى اقصى حد ، وذلك لتعودهم ، منذ نعومة أظفارهم  
أطفالا ، على استخدامه فى رياضاتهم (٤) • وهم يرتدون  
ذروعا دفاعية مصنوعة من جلود الجاموس الغليظة وغيرها من  
البهائم ، بعد تجفيفها بالنار لتصبح بذلك مفرطة الصلابة  
والقوة • وهم شجعان فى إمارك الى درجة الاستبئاس الأهوج ،  
اذ لا يقيمون وزنا كبيرا لحياتهم ، ويعرضون أنفسهم بغير  
تردد لكل أنواع الخطر • وهم قساة القلوب •

كما أنهم قادرون على احتمال كل أنواع الحرمان ، واذا  
اقتضت الضرورة أمكنهم العيش شهرا كاملا على لبن أفراسهم  
وعلى ما يتصادف لهم صيده من حيوان وحشى • وتطعم  
خيولهم الكأ وحده ولا تحتاج الى الشعير أو غيره من الحبوب •

والرجال معتادون على البقاء على سهوات الخيل يومين  
وليلتين بغير ترجل ، وينامون على هذا الوضع وخيولهم ترعى  
الكأ • ولا يفوقهم شعب على ظهر البسيطة فى الجلد على  
الشدائد ، ولا هو يبدى صبرا أكثر منهم على الحرمان بجميع  
أنواعه • وهم يطيعون رؤسائهم طاعة مطلقة ، ونفقات  
اعالتهم قليلة •

وبهذه السجايا ، وهى البالغة الجهرية فى تكوين  
الجند ، تهيأت لهم اللياقة لاختضاع العالم ، كما حدث فى  
الواقع فى شطر ضخمة منه •

## الكتاب التاسع والاربعون

عن جيوش التتار ، والطريقة الى  
تشكل بها ٠٠ وعن نظام زحفهم وعن  
مؤنهم - وعن طريقتهم في مهاجمة  
العدو .

عندما يزحف أحد كبراء الرؤساء من التتار في حملة  
عسكرية ، يجعل نفسه على رأس جيش مؤلف من مائة ألف  
راكب ، ينظمهم بالطريقة التالية : فيعين ضابطا على كل  
عشرة رجال وآخرين لقيادة كل مائة وكل ألف وكل عشرة  
آلاف على التعاقب .

وهكذا يحدث أن عشرة من الضباط الذين يقودون عشرة  
رجال يتلقون أوامره ممن هو على امرة مائة ، وكل عشرة  
من هؤلاء يتلقون الأوامر ممن يقود ألفا ، وكل عشرة من  
هؤلاء الآخرين ممن يقود عشرة آلاف .

وبهذا الترتيب لا يتجتم على كل ضابط الا أن يرعى  
تدبير أمور عشرة رجال أو عشرة مجموعات من الرجال ،  
وعندما تحين أمام قائد هذه المائة ألف مناسبة لتجهيز فصيلة  
لأية خدمة معينة ، يصدر أوامره الى قادة عشرات الآلاف ،  
ليزوده كل منهم بألف رجل ، ويصدر هؤلاء أوامره بالمثل  
الى قادة الألف ، الذين يوجهون أوامره الى من يقودون مائة ،  
حتى يصل الأمر الى الذين يقودون عشرة ، فيوجهون فورا  
العدد المطلوب الى رؤسائهم من الضباط الأعلى .



وبهذه الطريقة يسلم مائة رجل لكل ضابط يأمر ألفا ،  
وألف رجل لكل ضابط يأمر ( يقود ) عشرة آلاف ( ١ ) • وكل  
مجموعة من مائة رجل تسمى توك Tuc وكل عشرة من هؤلاء  
يكونون تومان Tomai ، ( ٢ ) • وعندما يتقدم الجيش لاداء  
خدمة ، يرسلون أمامه كوكبة من الرجال تتقدمه مسيرة  
يومين ، وتوضع فصائل في جناحيه ومؤخرته رغبة في  
الحيلولة دون مهاجمته على حين غرة •

فاذا كانت المهمة بعيدة ، لم يحملوا معهم الا الشيء  
القليل ، وذلك يكون بوجه خاص ما يلزمهم من وسائل  
التخييم ، وأدوات الطبخ • اذ هم يعيشون في معظم شأنهم  
على اللبن كما أوضحنا ، ولكل رجل في المعدل ثمانية عشر  
حصانا وفرسا ، واذا تعب الحصان الذي يركبونه بدلوا به  
آخر • وهم مزودون بخيام صغيرة مصنوعة من اللباد ،  
يتقنون بها المطر • واذا حزبتهم الظروف ، في أثناء تنفيذهم  
مهمة تحتاج الى السرعة ، فان في استطاعتهم الزحف عشرة  
أيام طباقا بغير تجهيز أطعمة ، ويعيشون في أثناء تلك المدة  
على دم خيولهم ، اذ يشق كل رجل عرقا ويشرب من دم  
ماشيته ( ٣ ) • وهم يختزنون اللبن أيضا ويتخذونه مئونة  
بعد أن يغلظوه ويجففوه حتى يصبح في حالة عجينة يابسة  
( أو خثارة ) تجهز بالطريقة التالية : فانهم يغلون اللبن  
وبعد أن ينزعوا منه الجزء الدسم أو القشدة عندما  
تصعد الى السطح ، يضعونها في وعاء منفصل كزبدة ، وذلك  
لأنه مادام الزبد في اللبن فانه لن يصلب أبدا • ثم يعرض  
اللبن للشمس حتى يجف •

وعند خروجهم للخدمة العسكرية يحملون معهم ما يقارب  
عشرة أرطال لكل رجل ، ويوضع من هذه المادة المجففة في  
كل صباح مقدار نصف رطل في زق من جلد ( أو قرية صغيرة  
صغيرة ) مع القدر اللازم من الماء • وبفضل حركتهم وهم  
ركوب تهتز محتويات القرية اهتزازا عنيفا ويتكون منها  
ما يشبه العصيدة الخفيفة فيتناولونها وجبة غداء ( ٤ ) •

وعندما يتقدم هؤلاء التتار للاشتباك في القتال فانهم لا يطبقون على الاعداء ابدا ، وانما يظلون يحومون حولهم ، ويطلقون عليهم سهامهم من هذا الجانب أولا ثم من ذاك بعد ذلك ، متظاهرين أحيانا بالفرار . وهم يطلقون السهام الى الخلف أثناء فرارهم على متعقبهم ، فيقتلون الرجال والخيول ، كأنما يقاتلونهم وجها لوجه .

وفي مثل هذا الضرب من القتال يتصور الحصم انه احرز نصرا ، بينما هو قد خسر المعركة في الواقع ، ودبت لان التتار حين يلحظون الضر الذي انزلوه به ، يستديرون اليه ثم اذ يجددون القتال يتغلبون على ما بقي له من جند ، فيأخذونهم أسرى رغم الجهود المضنية التي يبذلون . ودربت خيولهم أحسن تدريب على التغيرات السريعة في الحركة ، حتى انها لتبادر بالدوران على الفور في كل اتجاه لدن صدور الإشارة اليها ، وبفضل هذه المداورات : ( المناورات ) السريعة تمت لهم انتصارات كثيرة .

وكل ما روى هنا يدور حديثه حول العادات الأصلية لرؤساء التتار ، ولكنهم في الزمن الحاضر داخلهم الشيء الكثير من الفساد (٥) . فمن يقيمون منهم في أوكاكا قد تبنوا - وقد نسوا شرائعهم الخاصة - عادات القوم الذين يعبدون الأوثان ، كما اتخذ من يسكنون الولايات الشرقية عادات العرب المسلمين (٦) .

## الفصل الخمسون

عن قواعد العدالة التي يرضاها  
هذا الشعب - وعن نوع خيالي من  
الزواج يعقد بين الأطفال الموتى من  
مختلف العائلات .

تقام شئون العدالة بينهم بالطريقة التالية : فمتى اتهم  
شخص بسرقة لا تستحق انزال عقوبة الموت به ، حكم عليه  
بعدد معين من الضربات بالعصا - سبعة أو سبعة عشر أو  
سبعة وعشرون أو سبعة وثلاثون أو سبعة وأربعون أو  
ما يرتفع الى مائة وسبعة ، حسب قيمة السلعة المسروقة  
وظروف السرقة ، وكثير منهم يموتون تحت هذه العقوبة (١) .  
ومتى كانت العقوبة على سرقة حصان أو أى شيء آخر ، الأمر  
الذى يضع مرتكبها تحت طائلة عقوبة الاعدام ، حكم عليه  
بالموت ، وينفذ الحكم بشطر جسمه بالسيف شطرين (٢) .  
ولكن متى كانت لدى اللص الموارد الكافية لسداد تسعة أمثال  
قيمة السلعة المسروقة ، نجا من كل عقوبة أخرى بعد ذلك .  
ومن الأمور المألوفة أن كل رئيس قبيلة أو غيره من الناس  
ممن يملكون قطعانا كبيرة من الماشية ، كالخيل أو الأفراس  
أو الجمال أو الثيران أو الأبقار ، يميز أنعامه بوسمها بميسمه  
الخاص ، ثم يتركها ترعى حرة طليقة فى أية ناحية من نواحي  
السهول أو الجبال ، دون تكليف رعاية برعايتها ، وإذا تصادف  
أن واحدة منها اختلطت مع ماشية الملاك الآخرين ، ردت الى  
الشخص الذى عليها ميسمه . وعلى العكس من ذلك فان  
للأغنام والأعناز أشخاصا يقومون عليها . وجميع ما لديهم



من انواع الماشية ضخمة الحجم وسمينة ومفرطة الجمال (٣) .  
واذا كان لرجل فى الماضى ابن وكان لرجل آخر ابنة ، وان  
ربما كانا ميّتين منذ بضعة اعوام ، فان لديهم عادة عقد  
زواج بين طفليهما المتوفيين ومنح البنت للشباب . ثم  
يرسمون فى الوقت نفسه على قطع من الورق أشكالا بشرية ،  
لتمثل الخدم مع الخيل وغيرها من حيوان ، والثياب من جميع  
الأنواع والنقود وكل قطعة من قطع الأثاث ، ثم يلقون شى  
الذهب بكل هذه الأوراق ، ومعها عقد الزواج ، الذى يحرر  
بالطريقة النظامية المقررة ، حتى يمكن نقل هذه الاشياء عن  
طريق الدخان المتصاعد ( فيما يعتقدون ) الى أطفالهم فى  
العالم الآخر ، وحتى يمكن أن يصبحا زوجا وزوجة بالشكل  
المطابق للمعرف . وبعد هذا الحفل يعتبر الوالدان والوالدتان  
أنفسهم أصهارا ، كأنما قامت رابطة حقيقية بين أطفالهم  
الأحياء (٤) . الآن وقد أدلينا اليك ببيان عن عادات وأعراف  
التتار ، وان لم نتعرض بعد للأعمال الباهرة والمغامرات  
المقدامة التى قام بها خانهم الأعظم ، الذى هو سيد التتار  
جميعا ، فاننا سنعود الآن الى موضوعنا الأول ، أعنى الى  
السهل المتراعى الذى كنا نعبه عندما توقفنا لنقص تاريخ  
هذا الشعب .

## الفصل الحادى والخمسون

عن سهل بارجو قرب كراكوران-  
وعن عادات سكانه - وعن المحيط  
الواقع على مسيرة أربعين يوما منه -  
وعن الصقور التى تنتج فى الأراضى  
الواقعة على حدوده وعن اتجاهات  
المجموعة النجمية الشمالية كما  
تبدو لمشاهد بتلك الأصقاع .

إذا أنت غادرت كراكوران وجبال آلطاي ، التى بها  
كما أسلفنا اليك ، مقابر الأسرة الامبراطورية التترية ،  
تتقدم باتجاه شمالى من خلال اقليم يسمى سهل بارجو ، يمتد  
مسافة تقارب مسيرة أربعين يوما ( ١ ) . والشعب الذى يفطن  
تلك المنطقة يسمى المكريتى (Mekriti) ( ٢ ) ، وهو قبيلة  
غليظة الفؤاد ، تعيش على لحوم الحيوان ، الذى يعد أكبره  
حجما مقارنا للأيل (Stag) فى طبيعته ، وهم يستخدمونه  
أيضا فى أغراض السفر ( ٣ ) . وهم يقتاتون كذلك بالطيور  
التى ترتاد بحيراتهم ومستنقعاتهم الكثيرة ، كما يقتاتون  
بالأسماك أيضا . وتلتمس الطيور هذه المياه فى موسم ذوبان  
الثلوج أى أثناء الصيف . ولأنها تكون آنذاك بسبب خفة  
( نقص ) ريشها ، عاجزة عن الطيران فان الأهالى يقبضون  
عليها بلا صعوبة .

ويطل هذا السهل على المحيط فى طرفه الشمالى .

وتشابه عادات الناس وأعرافهم مثيلاتها التى سبق  
صفها عند التتار ، كما أنهم من رعايا الخان الأعظم . وليس

لديهم قمح ولا خمور ، ومع انهم يحصلون على قوتهم في الصيف من الصيد ، الا أن البرد في الشتاء من فرط الشدة بحيث لا يستطيع طير ولا بهيمة أنعام المكث فيه هناك (٤) . وبعد رحيل اربعين يوما ، فيما يقال ، تصل الى المحيط (الشمالي) (٥) .

بالقرب من هذا السهل جبل ، تجعل فيه وفي السهل المجاور ، النسور والبزاة الجواله (Peregrine falcons) عشوشها . وليس هناك انسان ولا أنعام ، فأما الطيور فليس منها الا نوع يسمى Bargelak ، والصقور التي تتخذ منه طعاما . والطير الأول يقارب الحجل في حجمه ، وله ذيل كذيل الخطاف (Swallow) ، وبرائن تشبه برائن نوع الببغاء ، وهو سريع الطيران .

وعندما يرغب الخان الأعظم في الحصول على مجموعة من البزاة الجواله (وهي نوع ممتاز من الصقور) يرسل في طلبها من هذا المكان ، وهناك جزيرة تقع قرب الشاطئ ، توجد بها السناquir بأعداد يمكن معها تزويد جلالته بأية كمية يريدونها (٦) .

وينبغي ألا يظن أن السناquir (Gerfalcons) التي ترس من أوربا ، ليستخدمها التتار تحمل الى بلاط الخان الأعظم . إذ أنها لا تذهب الا الى بعض رؤساء التتار أو غيرهم من الرؤساء ببلاد المشرق ، المتاخمة لأقاليم الأرمن والكومان .

وتقع هذه الجزيرة بعيدا في الشمال بعدا يجعل مجموعة النجوم القطبية تبدو خلفك وكأنما لها ، بشكل جزئي ، اتجاه جنوبي (٧) .

والآن وقد تحدثنا على ما ترى ، عن المناطق الواقعة الى جوار المحيط الشمالي ، فاننا سنصف الولايات الواقعة أقرب الى مقر حكم الخان الأعظم ، ثم سنعود الى ولاية كاميون ، التي ورد ذكرها من قبل .



## الفصل الثانى والخمسون

عن مملكة أرجينول ، المجاورة  
لمملكة كامبيون، وعن مدينة سنجوى -  
وعن فصيلة من الثيران مكسوة  
بشعر مفرط النعومة - وعن شكل  
الحيوان الذى ينتج المسك ، وطريقة  
الحصول عليه - وعن عادات سكان  
ذلك الاقليم - وجمال نسائهم .

عند مفادرة المسافرين كامبيون ، والتقدم مسيرة خمسة  
أيام نحو الشرق ، كثيرا ما يصابون فى أثنائها بالرعب لما  
يسمعون أثناء الليل من أصوات الأرواح ، يصلون الى مملكة  
تسمى : أرجينول ( ١ ) ، خاضعة للخان الأعظم ، وداخلة فى  
ولاية تانجوت . وتقع داخل حدود هذه المملكة امارات  
عديدة ، سكانها على الجملة من الوثنيين مع قلة من  
النساطرة المسيحيين ومن عباد محمد . ( كذا . . . ؟ ) .

والمدينة الرئيسية بين مدن كثيرة وأماكن حصينة هي  
أرجينول . ويمضى بك الطريق من هنا فى اتجاه جنوبى  
غربى فيحملك الى كاثاى ، وفى هذا الطريق تجد مدينة  
تسمى سنجوى ( ٢ ) تقوم فى منطقة بذلك الاسم نفسه ،  
توجد بها مدن وقلاع كثيرة ، تابعة بالمثل لتانجوت ، وخاضعة  
لسلطان الخان الأعظم ويتألف سكان هذا الاقليم على نحو  
رئيسى من الوثنيين ، على أن هناك أيضا بعض المسلمين  
والمسيحيين .

وهنا يوجد كثير من الماشية البرية التى يمدن بسببها .  
من حيث الحجم ، بالاصيال \* ولونها خليط من بياض وسواد ،  
كما انها بالغة الجمال للناظرين \* ويتدلى الشعر على كل جزء  
من أجزاء جسمها أملس ناعما ، فيما عدا الكتف ، حيث  
ينتصب مرتفعا ما يقارب ثلاثة أشبار \* وهذا الشعر أو اقل  
الصوف أبيض كما أنه أنعم وأرق من الحرير (٤) .

وحمل ماركو بولو بعض ذلك الشعر الى الهندية ،  
بوصفه تحفة عجيبة ، وعلى ذلك الاعتبار سسه قدره جميع  
من راوه \* وأخذ كثير من تلك البهائم فى حالة وحشية نم  
انس ، وجاءت السلالة المنتجة بينها وبين البقرة العادية ،  
حيوانات ممتازة ، وأقدر على تحمل التعب من أى نوع آخر .  
وهى متعودة على حمل أحمال أثقل وعلى القيام فى الزراعة  
بضعف المجهود الذى يستطيع عمله النوع العادى من التيران ،  
وذلك لأنها تجمع بين النشاط والقوة (٥) وفى هذا القطر  
يتم الحصول على أنقى وأثمن أنواع المسك (٦) .

والحيوان الذى ينتجه لا يزيد عن العنزة حجما ، ولكنه  
يمائل الظبى فى شكله \* وهو يسمى بلفة التتار جودرى  
Gudderi (وهى لفظة قريبة الشبه من كلمة جوذر العربية) ،  
وغلافه يماثل غلاف الصنف الأكبر حجما من الغزلان \* فأما  
أقدامه وذيله فهى نفسها ما للظباء ، ولكنه أجم ليست له  
قرونها \* وهو مزود بأربع أسنان بارزة أو أنياب ، طولها  
ثلاث بوصات ، اثنتان منها فى الفك الأعلى وتتجهان الى  
أسفل ، واثنان فى الفك الأسفل وتتجهان الى أعلى ، وهى  
تعد صغيرة بالنسبة لطولها ، كما أنها بيضاء كالعاج \* وهو  
على الجملة حيوان جميل .

ويتم الحصول على المسك بالطريقة التالية : فعندما يكتمل  
القمر بدرا ، يتكون كيس أو تورم فيحى من الدم المتجلط  
حول منطقة السرة ، وعندئذ يعمد الذين يشتغلون فى صيد  
الحيوان للاستفادة من ضوء القمر لهذا الغرض ، فيقطعون

الغشاء . ثم يجففونه بعد ذلك ، هو ومحتوياته في الشمس (٧)  
وعند ذلك يتجلى أبداع نوع معروف من المسك . وتصاد  
منه أعداد غفيرة ، ويستمرىء الناس أكل لحمه (٨) .

وأحضر ماركو بولو معه الى البندقية رأس وارجل حيوان  
منها مجففة . ويشغل سكان هذا الاقليم بالتجارة والصناعة .  
ولديهم الحبوب بوفرة . وامتداد الولاية مسيرة خمسة  
وعشرين يوما (٩) . ويوجد بها نوع من التدرج : ( الفزان  
Pheasant ) حجمه ضعف حجم ما عندنا ، ولكنه أصغر  
شيئا ما من الطاووس . وطول ريش الذيل سبعة أشبار أو  
ثمانية (١٠) .

وهناك أيضا تدارج أخرى ، تعادل تدارجنا حجما  
ومنظرا ، فضلا عن أضرب جمّة من الطيور الأخرى ، التي  
يمتاز بعضها بالريش الجميل . والسكان وثنئون (١١) .  
والناس هناك ميالون الى البدانة ، كما أن أنوفهم صغيرة .  
وشعرهم أسود ، ولا تكاد تنبت لهم لحية أو قد تنبت لهم بضع  
شعرات متناثرة على الذقن (١٢) . ونساء الطبقة العليا  
مجردات بالمثل من شعر الجسم ، وبشرتهن شقراء ، كما أن  
جسومهن جميلة القد ، ولكنهن خليعات منحلات . والرجال  
كثيرو الولع بمجالس النساء . كما أنهم طبقا لشرائعهم  
وتقاليدهم يستطيعون أن يتزوجوا من النساء ما طاب لهم  
من عدد ، شريطة أن يستطيعوا اعالتهن .

واذا كانت إحدى الشابات جميلة ، ولو فقيرة ، أغرى  
الأغنياء باتخاذها زوجة لهم ، وللحصول عليها ، يقدمون  
الهدايا النفيسة لوالديها وأقاربها ، إذ أن الجمال هو الصفة  
الوحيدة التي يقدرها الجميع . والآن سنغادر هذه المنطقة  
ونتحول الى الحديث عن أخرى ، تقع الى الشرق أكثر .



## الفصل الثالث والخمسون

عن ولاية أجريجيا . وعن مدينة  
كالاتشا - وعن عادات أهلها - وعن  
أنسجة الحملة المصنوعة هناك .

متى رحلت عن أرجينول ، وتقدمت شرقا مدة ثمانية أيام، وصلت الى اقليم يسمى أجريجيا ( لايزال تابعا لولاية تانجوت الكبرى، وخاضعا للخان الأعظم،) وهو يحوى كثيرا من المدن والقلاع ، تسمى الرئيسية منها كالاتشا (١) . والسكان على وجه الجملة وثنيون، على أن هناك ثلاث كنائس للنساطرة المسيحيين . وهم يصنعون بهذه المدينة أنسجة خملة جميلة ، هى أجمل ما عرف منها فى العالم ، يصنعونها من وبر الجمل ، كما يصنعونها كذلك من الصوف الأبيض (٢) وهى ذات لون أبيض جميل . ويشترى التجار منها مقادير ضخمة، ويحملونها الى أقطار أخرى كثيرة ، وبخاصة الى كاثاى . والآن اذ نفادر هذه الولاية فسنتحدث عن أخرى ، تقع فى ( الشمال ) الشرقى ، وتسمى تندرک ، وبذا ندخل فى الاقليم التابع لبريسترجون .

## الفصل الرابع والخمسون

عن ولاية تندوك ، التي يحكمها  
أمراء من عترة بريسترجون ، ومعظم  
سكانها من المسيحيين - وعن  
رسامة قسوسهم - وعن قبيلة من  
شعب يدعى الأرجون ، هو أشد أهالي  
هذه الأقاليم وسامة وأكثرهم علما .

فأما تندوك ( ١ ) ، وهي تابعة لأملاك البريسترجون ( ٢ ) ،  
فهى ولاية شرقية ، يقوم بها كثير من المدن والقلاع - تخضع  
لسلطان الخان الأعظم . وظل جميع أمراء تلك الأسرة  
خاضعين منذ أن أخضع البلاد شنجيس الامبراطور الأول .  
وتسمى العاصمة تندوك أيضا . والملك الذى يجلس على  
العرش الآن من سلالة بريسترجون ، ولا يزال محتفظا بلقب  
بريستر جون ، واسمه جورج . وهو مسيحي وقسيس فى  
آن واحد . وكذلك غالبية السكان فانهم أيضا من المسيحيين .  
ويتولى هذا الملك جورج حكم بلاده اقطاعا من الخان الأعظم ،  
وهى ليست فى الواقع الممتلكات الأصلية لبريسترجون  
بكاملها ، ولكنها جزء معين منها ، والخان ينعم عليه دواما ،  
وكذلك على جميع أمراء بيته وبناته وغيرهن من اناث الأسرة  
الملكية زوجات لهم . وفى هذه الولاية يتوافر بكثرة الحجر  
الذى يصنع منه اللون اللازوردى ، كما أنه من أجود الأنواع .

وهنا أيضا يصنعون منسوجات من وبر الجمل . ويكسب  
الناس معاشهم بها من الزراعة والتجارة والاشتغال بالأعمال  
الآلية . ومع أنهم يخضعون لسلطان الخان الأعظم ، فانه

نظرا لأن الملك ، كما قلنا ، مسيحي ، توجد حكومة البلاد في أيدي المسيحيين . على أنه يوجد بين السكان مع ذلك جماعات من عبدة الأوثان وأتباع دين محمد (٣) وهناك بالمثل طبقة من الناس عرفت باسم الأرجون (٤) ، لأنهم يولدون عن اختلاط جنسين ، هما أهالي تندوك وهم عبدة أوثان ، والمسلمون .

ورجال هذا الاقليم أكثر شقرة وأملح وجوها ممن في الأقاليم الأخرى التي كنا نتحدث عنها ، كما أنهم كذلك أحسن تعليما وتجار أحسن خبرة وأكثر مهارة .



## الفصل الخامس والخمسون

عن مقرر حكم الأمراء من أسرة  
بريسترجون ، وقوم ياجوج  
وماجوج - وعن عاداتهم - وعن  
نسبهم الحرير - وعن مناجم الفضة  
التي تشغل هناك .

كان يوجد بولاية تندوك هذه ، المركز الرئيسى لحكم  
الملوك الملقيين بريسترجون ، عندما حكموا تثار هذه الولاية  
وما يجاورها من أقاليم ، وهى التى يحتلها خلفاؤهم حتى  
هذه الساعة . وجورج سالف الذكر ، هو الرابع فى الانحدار  
من بريسترجون ، الذى يعد رأسا لأسرته . وهناك منطقتان  
يمارسون فيهما سلطانهن . وهما يسميان فى قسمنا هذا من  
العالم ( يعنى أوربا ) ياجوج وماجوج ، ولكن الأهالى هناك  
يسمونهما أونج ومونجول ، وفى كل منهما جنس من الناس  
يتميز عن الآخر . فهم فى أونج ياجوج وفى المونجول  
تثار ( ١ ) . وأنت حين تسافر مسيرة سبعة أيام مخترقا هذه  
الولاية فى اتجاه شرقى ، الى كاثاى ، تمر على مدن كثيرة  
يسكنها وثنئون ، فضلا عن المسلمين والنصارى النساطرة ( ٢ ) .  
وهم يكسبون معاشهم عن طريق التجارة والصناعات ،  
والنسيج ، وأنسجة خيوط الذهب المرصعة بالآلئ والمسماة  
نشتشى Nascici ، فضلا عن أنواع الحرائر المختلفة  
القوام والألوان ، والتى لا تختلف عما يصنع فى أوربا ، الى  
جانب أضرب جمّة من الأقمشة الصوفية . وكل هؤلاء الناس  
رعايا الخان الأعظم . وهناك مدينة تسمى سنديتشن تشتهر

بصناعة جميع أنواع الأسلحة وكل مادة وسلعة ضرورية  
لتجهيز الجيوش . ويوجد بالمنطقة الجبلية من الولاية مكان  
يسمى ايديفا ، به منجم غنى بالفضة ، تستخرج منه مقادير  
كبيرة من ذلك المعدن (٣) . وهناك أيضا كثير من الطير  
والبهائم .

## الفصل السادس والخمسون

عن مدينة تشانجانور - وعن أنواع  
مختلفة من الكركى - وعن الحجل  
والسماني التي تربى بتلك المنطقة  
بأمر الخان الأعظم .

تصل عند مغادرتك المدينة والولاية سالفه الذكر ،  
وسفر ك ثلاثة أيام ، الى مدينة تسمى تشانجانور ، ومعناها  
( البحيرة البيضاء ) ( ١ ) . وللخان الأعظم بهذا المكان قصر  
فخم أولع بزيارته لأنه محاط بمساحات من الماء وجداول جارية ،  
تتخذها كثير من البجع مشوى ، كما أن هناك سهلا يانعا يوجد  
به الكركى والتدرج والحجل وغيرها من الطيور بأعداد  
غفيرة . وهو يستمد أعلى درجة من التسلية من التصقير  
بالسناكير والبزاة ، وذلك نظرا لوجود الصيد هنا بوفرة  
عظيمة . وهم يعدون في صنف الكركى (Cranes) وحده خمسة  
أنواع ( ٢ ) :

النوع الأول أسود تماما مثل الفحم وله أجنحة طويلة .  
والصنف الثانى له أجنحة أطول من أجنحة الأول ولكنها  
بيضاء ، كما أن ريش الأجنحة ممتلئ بنكت مستديرة كنكت  
الطاووس ، ولكنها ذهبية اللون شديدة اللمعان ، والرأس  
حمراء وسوداء وجميلة الشكل ، والعنق أسود وأبيض ،  
والمنظر العام للطائر مفرط الجمال .

والصنف الثالث فى حجم الكركى الذى يوجد عندنا  
( بايطاليا ) .



أما الرابع فهو كراكي صغيرة ، ريشها مخطط تخطيطا  
جميلا باللونين الأحمر واللازوردى .

والخامس ذو لون رمادى ورأسه أحمر وأسود ، كما انه  
طائر كبير الحجم (٣) .

وبالقرب من هذه المدينة واد ينتابه عدد ضخم من  
الحجل والسباني ، التى من أجل اطعامها يأمر الخان الأعظم  
بأن يزرع الدخن والجاورس : (Millet and Panicums) وغيره من  
الحبوب الملائمة لاطعام هذه الطيور على جانبى الوادى فى كل  
موسم ، ويصدر الأوامر المشددة ألا يقدم اى فرد على جنى  
الحبوب ، حتى لا تفتقد الطيور التغذية . وينتشر هناك  
أيضا كثير من الحراس لوقاية الصيد، حتى لا يأخذه أو يدمره  
أحد ، فضلا عن توليهم القاء الدخن للطيور أثناء الشتاء .  
وبلغ من اعتياد الطيور تناول طعامها على هذا المنوال ، أنها  
تتجمع على الفور من كل جذب وصوب عند نثر الحبوب وصغير  
الرجل لها .

ويعطى الخان الأعظم توجيهاته كذلك ببناء عدد من المباني  
الصغيرة لتأوى الطيور اليها أثناء الليل ، ونتيجة لهذه الرعاية  
والاهتمام يجد على الدوام وفرة موفورة من الصيد عندما  
يزور هذا الاقليم ، بسبب شدة البرد ، يأمر بأن ترسل اليه  
أحمال جمال من تلك الطيور ، حيثما تصادف أن كان بلاطه  
فى تلك اللحظة (٤) . واذ تغادر هذا المكان فاننا سنوجه الآن  
طريقنا مسيرة ثلاثة أيام نحو الشمال الشرقى .

## الفصل السابع والخمسون

عن سراى الخان الأعظم الجميلة  
بمدينة شانلو - وعن مجموعته من  
أفراس الاستيلاد البيضاء ، التي  
يقرب بلبنها قربانا سنويا - وعن  
العمليات المجيبة التي يؤديها  
المنجمون فى حالة رداءة الجو - وعن  
المراسم التي يؤدونها فى قاعة السراى  
الملكية - وعن وضعين للسائلين  
( المتسولين ) الدينيين مع ذكر طرائق  
عيشهم \*

عند مغادرة المدينة أنفة الذكر ، والتقدم مسيرة ثلاثة  
أيام فى اتجاه شمالى شرقى تبلغ مدينة تسمى شانلو ، بناها  
الخان الأعظم قبلاى الذى له الولاية الآن ( ١ ) وأصدر أمره  
فبنى له فيها قصر من الرخام وغيره من الأحجار الجميلة :  
قصر ، يجمع بين اثاره الاعجاب لرشاقة تصميمه وبالمهارة  
التي تجلت فى تنفيذه \* وجميع قاعاته وغرفه مموهة  
بالذهب فائقة الجمال \*

وللسراى واجهة تتجه نحو داخل المدينة ، وتتجه الواجهة  
الأخرى نحو السور ، ويمتد من كل طرف من أطراف المبنى  
سور آخر يمتد ، بحيث يضم ستة عشر ميلا تشغل دائرة من  
السهل المجاور ، لا يمكن الوصول اليها الا من خلل القصر ( ٢ ) \*  
وتوجد داخل حدود هذا البستان الملكى مروج ثرية  
بنضرتها وجمالها ، تسقيها نهيرات كثيرة ، ترعى فيها أضرب

كثيرة من الحيوان ما بين ابل وأعناز ، لتكون طعاما تغتذى به الصقور وغيرها من الطيور المستخدمة فى الطراد ، وتقوم بيوتها أيضا بنفس الأراضى .

ويقارب عدد هذه الطيور المائتين ، كما أن الخان الأعظم يذهب الى هناك بشخصه مرة كل أسبوع على الأقل ليتفقدوها . وكثيرا ما يحدث أثناء تجواله على صهوة جواده فى أرجاء هذه الغابة المسورة ، أن يكون معه فهد صغير أو أكثر، محمولة على ظهر جواد خلف حراسها (٣) ، وعندما يروق له اصدار التوجيهات بانزالها ، فانها تصيد على الفور وعلا أو عنزا ، أو أيلأ أسمر ، يلقيه لصقوره ، وبهذه الطريقة يبهج نفسه .

وبنى الامبراطور جوسقا ملكيا وسط هذه الأراضى ، حيث تنبت أجمة جميلة من الشجر ، يقوم على بهو معمد ذى أساطير جميلة مموهة بالذهب والورنيقى : ( الورنيش ) . وحول كل عمود يلف تنين ، مذهب هو الآخر ، ذيله ، بينما تدعم رأسه بروز السقف . وقد امتدت برائنه أو مغالبه يمنة ويسرة على امتداد السقف المعمد (٤) .

والسقف من عصى البامبو ( الخيزران ) ، وهو أيضا مموه بالذهب ، كما أنه من مدهون بطلاء خاص بحيث لا يصيبه البلل بأى ضرر . ان محيط ( البامبو ) أعواد الخيزران المستخدمة فى هذه الأغراض هو ثلاثة أشبار كما أن طولها عشر قامات ، وبعد قطعها عند المفاصل تشق الى قسمين متعادلين ، بحيث تشكل برابخ أى ميازيب ، وبهذه ( اذ توضع خلف خلاف مقعرة ومحدبة ) يغطى الجوسق ، ولكن لتأمين السقف من فعل الرياح ، تربط كل خيزرانة عند نهايتها بالاطار (٥) . ويطنب البناء من كل جانب من جوانبه ( كما تطنب الخيمة ) بأكثر من مائتى خيط حريرى شديد المتانة ، والا فانه نتيجة خفة المواد يكون عرضة للانقلاب تحت ضغط قوة الرياح الشديدة .



وهذا الجوسق بأجمعه يشاد ببراعة فى التحايل بالفة ،  
بحيث يمكن تفكيك الأجزاء أجمع ، ورفعها ، ثم اقامتها  
ثانية حسبما يهوى جلالته .

وقد اختار هذه البقعة للمسلاة والترويح عن النفس ،  
بسبب الجو المعتدل والهواء الصحى ، فهو من ثم يتخذ منها  
مقاما على مدى ثلاثة أشهر من السنة هى يونية ويولية  
وأغسطس ، كما أنه دأب كل عام فى اليوم الثامن والعشرين  
للقمر ، وفى آخر هذه الشهور أن يرحل من هناك ، ويتوجه  
الى مكان معين ، لكى يقدم بعض قرابين معينة على الطريقة  
التالية :

ينبغى ألا يغرب عن فهمنا أن جلالته يحتفظ برعائل  
من الخيل والأفراس تقارب عدتها عشرة آلاف ، وكلها فى  
بياض الثلج الناصع (٦) . فأما لبن هذه الأفراس فلا يجرو  
أحد على شربه ما لم يمت بالقربى الى الأسرة المنحدرة من  
جنكيزخان ، وذلك باستثناء أسرة واحدة أخرى فقط تسمى  
البوريات ، وهى أسرة منحها ذلك العاهل هذا الامتياز  
الشرىف ، مكافأة لها على أعمال باسلة مجيدة أتتها فى ميدان  
القتال بين يديه (٧) والحق أنه بلغ من شدة الاحترام  
ألا يجرو أمرو على وضع نفسه أمامها أى بمعنى آخر على  
اعتراض حركتها حتى وهى ترعى فى المروج أو الغابات  
الملكية .

وذلك لأن المنجمين ، الذين يستضيفهم فى خدمته ،  
والذين يجيدون بتعمق الفن الشيطانى للسحر ، قد أعلنوا  
أن من واجبه أن يقوم فى اليوم الثامن والعشرين للقمر فى  
أغسطس من كل عام بنثر اللبن المأخوذ من هذه الأفراس فى  
الهواء ، على سبيل التكريم لجميع الأرواح والأصنام التى  
يعبدون ، التماسا لاسترضائها وضمان حمايتها للشعب ،  
اناثا وذكرانا وللماشية والدواجن والحبوب وغيرها من  
ثمرات الأرض ، من أجل ذلك يستمسك جلالته بالقاعدة التى

مر ذكرها ، ويتقدم فى ذلك اليوم المعهود الى البقعة التى يقدم فيها بيديه قربان اللبن ، وفى هذه المناسبات يروح هؤلاء المنجمون ، أو السحرة كما قد يمكن تسميتهم، يعرضون فى بعض الأحيان مهارتهم بطريقة مدهشة ، وذلك انه لو تصادف أن تلبدت السماء بالغيوم وبدأت نذر سقوط المطر ، يصعدون الى سطح السراى التى يسكنها الخان الأعظم آنذاك ، وبفضل قوة تعزيماتهم يمنعون سقوط المطر ويوقفون العاصفة ، بحيث انه بينما تمر فى المنطقة المحيطة عواصف من مطر ورياح ورعد ، فان السراى نفسها تظل غير متأثرة بعناصر الطبيعة (٨) . والذين يقومون بمعجزات من هذا القبيل أفراد من بلاد التبت والكزмир ، وهم طبقتان من الوثنيين أعمق براعة فى فن السحر من سكان أى قطر آخر . وقد أقنعوا العوام أن تلك الأعمال انما تتم بفضل ما عليه حياتهم من قداسة وما فى تعذيبهم لذواتهم من مزايا ، واذ يستغلون السمعة التى أحرزوها على هذا النحو ، فانهم يظهرون أمام الناس بحالة قدرة وغير محتشمة ، غاضين النظر عما ينبغى لهم من الالتزام نحو أخلاقهم وكذا عن الاحترام الواجب لمن يظهرون فى حضرته . فهم يتركون وجوههم قدرة على الدوام بغير غسل ويظل شعرهم أشعث غير ممشط ، ويعيشون فى قذارة تامة (٩) . وفوق هذا فانهم مغرمون بهذه الممارسة البهيمية والمرعية وهى أنه متى حكم على أى مجرم بالاعدام ، حملوا جثته وشووها على النار ، ثم التهموها التهاما ، فأما الأشخاص الذين يموتون ميتة طبيعية فانهم لا يأكلون أجسامهم . (١٠) .

وفضلا عن التسميات آنفة الذكر التى يتميز بها بعضهم عن بعض ، فانهم يسمون أيضا باسم الباكسى ' Baksi ' الذى يطلق على طائفتهم أو هيئتهم الدينية، على نحو قولنا الرهبان، والوعاظ وصفار القسس (١١) . وهم من بالغ الخبرة

بفئهم البهمنى ، بهىث ىمكن أن ىقال عنهم أنهم ىفعلون كل ما ىرىدون ، والىك مثالا لذلك ، وان ظن أنه ىتجاوز حدود التصدىق فانه متى جلس الخان الأعظم لتناول الطعام ، بقاعته الرسمىة ( وهو الأمر الذى سىوصف بتفصىل أكثر فى الكتاب التالى ) ، فان المائدة التى توضع فى الوسط تجعل على ارتفاع نحو ثمانية أذرع ، وىقوم على مسافة فىها مقصف ( بوفىه ) ضخم ، قد رصت علىه جمىع أوعىة الشراب • والآن ، فان هؤلاء الرجال سىستطىعون بفضل فئهم الخارق للطبىعة أن ىجعلوا قنانى الخمر أو اللبن أو أى شراب آخر تملأ الكؤوس تلقائىا بغير أن تمسها أىدى الأتباع ، كما ىجعلون الكؤوس تتحرك فى الهواء عشر خطوات حتى تصل الى ىد الخان الأعظم • فاذا أفرغها عادت الى أماكنها من هىث أتت •

وىتم هذا بهضرة من دعاهم جلالته لشهود العملية ( ١٢ ) فاذا اقتربت أىام أعیاد أوئانهم ، ىذهب هؤلاء الباكسى الى قصر الخان الأعظم ، وىخاطبونه على النحو التالى : « مولانا ، لىكن معلوما لجلالتكم ، انه اذا لم تقدم الى أربابنا قرابىن فانها فى غضبها ستنكبننا بالمواسم العجاف ، فتصىب حبوبنا بالآفات ، وماشىتنا بالأوبئة ، و غيرها من الأرزاء • وعلى هذا نلتمس الى جلالتكمن منحننا عددا معىنا من الأغنام لها رءوس سوداء ( ١٣ ) ، مع كئىر من أرطال البخور ومن نىبات الصبر ، حتى نتممكن من أداء المناسك المعتادة بكل ما ىجب نحوها من جلال » • على أن كلماتهم لا توجه الى مسامع الخان الأعظم مباشرة ، بل الى بعض كبار الموظفىن الذىن ىنقلون الرسالة الىه • فأما هو فلا ىفوته على الاطلاق حىن ىتلقاها أن ىوافق على ملتمسهم بأكمله ، وطبقا لذلك فمتى حل الموعد قربوا الشاه ، حتى اذا صبوا السائل الذى سلق فىه اللحم • أمام أوئانهم ىتم قىامهم بمراسم العبادة • وتوجد بهذا القطر أدىرة عظىمة ، وهى والحق ىقال من الرحابة والاتساع بهىث ىمكن اعتبارها مدنا صغىرة ، ومنها ما ىصل عدد



رهبانه الى الفين ، كلهم مخلص فى خدمة آلهتهم . طبق  
لعادات الشعب الدينية المقررة .

ويرتدى هؤلاء الرهبان ثيابا أفضل زيا مما يرتديه  
سائر السكان ، وهم حليقو الرؤوس واللحية (١٤) ويحتفلون  
بأعياد أوثانهم بأقصى ما يمكن من جلال ، ومعهم جوقات من  
الموسيقى الصوتية والشموع المتقدة .

ويباح لبعض أفراد هذه الطبقة اتخاذ زوجات . على أن  
هناك كذلك هيئة دينية أخرى ، يسمى أعضاؤها بالسنسيم ،  
يحافظون على امتناعات دقيقة ويعيشون عيش تقشف بالغ ،  
اذ لا يتناولون الا نوعا من النخالة الناعمة طعاما ، والتي  
ينقعونها فى الماء الدافئ حتى ينفصل الجزء الدقيقى تماما  
من النخالة ، ثم يأكلونها وهى على تلك الحال . وتعبد هذه  
الطائفة النار ، وتعدّها بقية الطوائف منشقة ، لأنها لا تعبد  
الأصنام كما يعبدون (١٥) .

وهناك فارق كبير بينهما فيما يتصل بالقواعد المرعية  
فى هيئتيهما ، وهؤلاء الوارد وصفهم أخيرا لا يتزوجون بأية  
حال . وهم يحلقون رؤوسهم ولحاهم كالأخرين ، ويلبسون  
ثيابا من الخيش ذات لون أسود أو كاب ، ولكن حتى لو كانت  
خامة ثيابهم من الحرير ، فان اللون لا يتغير (١٦) وهم  
ينامون على حصر خشنة ، ويقاسون من شطف العيش أكثر  
مما يقاسيه أى شعب فى العالم (١٧) . والآن سنترك هذا  
الموضوع ونمضى فى سبيلنا متحدثين عن الأعمال العظيمة  
والعجيبة للمولى والامبراطور الأسمى قبلاى خان .



## الهوامش

### • هوامش الفصل الأول

#### ـ التمهيد :

- (١) ان هذا التمهيد الذى حذفه مارسدن ، مترجم هنا عن النص اللاتينى الذى نشرته الجمعية الجغرافية الفرنسية ، وهو موجود فى الترجمة الفرنسية الاولى التى نشرتها تلك الجمعية عينها ، وفى بعض المخطوطات الايطالية على انه ادرج بشكل مختصر فى نص بونى الايطالى .
- (٢) تذكر الترجمة الفرنسية المبكرة تأريخا بأنه عام ١٢٩٨ وهو امر يبدو أن التمهيدات الايطالية تتفق معه .

#### ـ الفصل

- (١) بالدوين الثانى كونت فلاندره وابن عم لويس التاسع ملك فرنسا ، الذى حكم من ١٢٣٧ الى ١٢٦١ ، كان آخر أباطرة اللاتين بالقسطنطينية .

#### (٢) ان الفترة التى نصها فى نسخة راموسيو

«dove all horo soleva star eun podestà di Venitia, per nome de messer Lo Dose.

والتي كتبت عنها مقالا خاصا ، يقابلها شيء فى الترجمات اللاتينية ولا الفرنسية ولا فى النص الايطالى الذى أصدره بونى . وقد فتحت مدينة القسطنطينية الولايات اليونانية فى ١٢٠٤ ، على يد جيوش الفرنسيين والبنادقة المتعاونة - وكان الآخرون تحت قيادة دوجهم ذائع الصيت هنرى داندولو شخصيا . وعند تقسيم البلاد والغنائم المهائلة التى وقعت فى حوزتهم - خص الجمهورية نصيب ( ضم تمثال الخيول البرنزىة الشهير لليسيبيوس ) أعظم مما خص الامبراطور الذى انتخب فى تلك المناسبة ، أما الدوج العجوز الذى أبى قبول اللقب الامبراطورى ، وان قبل لقب أمير رومانيا ، فقد احتفظ بدائرة اختصاص مستقلة تضم ثلاثة من أجزاء المدينة الثمانية مع استقلاله بمحكمة منفصلة ، وختم أيامه وهو على رأس جيش كان يحاصر مدينة أدرنة . وليس هناك ما يؤيد أن أى واحد من خلفائه فى المنصب الرفيع لرئيس



الجمهورية اتخذ من المدينة الامبراطورية مقاما . ان يقول جييون :  
« قلما سمح للدوج ، وهو بمثابة عميد للدولة ، بترك دفعة الأعمال في  
الجمهورية . ولكن كان يقوم بعمله الكفيل أو نائب الملك . الذي كان  
يمارس السيادة العليا على جالية البنادقة - وذلك هو البودستا والذي  
يسمى أحيانا بالكفيل (Bailo) وأحيانا بالآمر الذي يدور الحديث  
هنا عن حكمه المعاصر ، والذي كانت أهميته السياسية في الامبراطورية  
المنحلة آنذاك . لا تقل الا قليلا عن أهمية بالدوين . وذلك بينما كانت  
تلك الأهمية في نظر أسرة بولو ، بوصفهم مواطنين بنادقة - أعظم  
كثيرا في الراجح . وكان اسم الشخص الذي يتولى أعباء الكفالة في  
وقت وصولهما فيما ترويه مخطوطة سورنزو المسير بونت ده فينيكسيا  
- وفي ١٢٦١ التي استردت فيها الامبراطورية أو بمعنى أخص المدينة ،  
من قبضة اللاتين - كان البودستا هو ماركو جرادنيجو .

(٣) يقول مارسدن : « ان هناك أسسا قوية تدعو الى الاعتقاد  
بأن هذا التاريخ ١٢٥٠ غير صحيح وان ورد بجميع الاصدارات وفي  
المخطوطة التي توجد منها نسخ في المتحف البريطاني ومكتبات برلين -  
يحدد بدء الرحلة بعام ١٢٥٢ ، كما أن بعض الأحداث الواردة في السياق  
تجعل من الواضح أن رحيل رحالتينا على الأقل ، من القسطنطينية ،  
لا بد أنه جرى بعد منتصف القرن ببضع سنوات ولعل ذلك لم يكن أبكر  
من ١٢٥٥ ولم يرد شيء عن عدد السنين التي تعطلت أثناءها بتلك  
المدينة ، ولكن عند أي احتساب لمدة وصولهما أو رحيلهما ، سيأخذنا  
الدهش لأن جريناوس ، الذي أصدر طبعة بال وباريس في ١٥٣٢ ومن  
بعده العلامة مولروبيرجيرون ، يدخلان بغض النظر عن الخلط والتناقض  
التاريخي في نسختيهما تاريخ ١٢٦٩ الذي يجيء بعد ثمانى سنوات من  
طرد الامبراطور بالدوين ، وكان في الحقيقة هو العام الذي عاد فيه الى  
مسورية من رحلتها التنائية الاولى .

(٤) نظرا لأن رخاء دولة البندقية وثراءها وأهميتها السياسية  
نشأت كلها عن تعاملها التجاري ، ( فان مهنة التاجر كانت توضع في  
أعلى درجة من التقدير ، كما أن اشرافها كانوا من أشد مغامريها اقدا  
ما في التجارة الخارجية وربما جاز أن يطلق على هذه الدولة الرفيعة ذلك  
النعته الفاخر الذي جاء على لسان أشعياء عن صور القدومة التي  
يصفها بأنها : صور المتوجة ( بكسر الواو ) التي تجارها رؤساء .  
متسببوها ، موقرو الأرض ( أشعياء ٢٣ : ٨ ) .

(٥) ان صولدايا هو الاسم الذي أطلق في العصور الوسطى على  
المكان الذي يسمى الآن سنوداك الميناء اليورو وهو راسكيزي عند

القدماء ) وهو يقع قرب الطرف الجنوبي لشبه جزيرة القرم أو توريك خرسونينوس وهو يوصف بهذه الكلمات « قرب منتصف الولاية المذكورة باتجاه جنوبي ، كأنما على زاوية حادة أو نقطة تقدم مدينة اسمها صولدايا قبالة سينوبوليس مباشرة . وهناك يصل جميع تجار تركيا الذين يمرون الى داخل الأقطار الشمالية ، أثناء رحلتهم الى الخارج ، وعندما يعودون نحو بلادهم من روسيا أيضا ومن الأقطار الشمالية . أنفة الذكر - الى تركيا - » انظر : برشاش المجلد ٣ ص ٢ .

(٦) يدعى هذا الأمير التترى عادة باسم برىكه (Bereké) خليفة باتو ويقال انه أخوه أيضا وباتو هو ابن توشى ، الابن الأكبر لجنكيزخان وقد ورث برىكه نصيبه فى ممتلكات جده ( وان لم يملكه مستمعا بولاية تامة عليه ) : الأقطار الغربية قابشاق أو كيشاك وآلون وروس وبلجار وتوفى سنة ١٢٥٦ ) .

(٧) ان بولجار أو بلجار أو بلغار ، التى ورد ذكرها هنا ، هى اسم لمدينة ومنطقة سترامية الأطراف فى بلاد التتار ، تقع الى الناحية الشرقية من نهر الفولجا ، ويسكنها الآن الباشكير ، وهى تميز فى بعض الأحيان عن بولجاريا الواقعة على نهر الدانوب بتسميتها بولجاريا الكبرى . فأما أسارا فهى مدينة سراى ( مع اضافة أداة التعريف فى أولها ) الواقعة على الذراع الأيمن لنهر الفولجا ، أو أشتوبا . ولم تكن استراخان التى ذكرها بالدوتشى بيجولتى واقعة فى نفس الموقع الذى تقوم فيه تلك المدينة الآن ، ولكن استراخان القديمة دمرت فى وساراي معا على يد الامبراطور تيمور فى شتاء عام ١٣٩٥ . وكانت مدينة ساراي القديمة قريبة بعض الشيء من مدينة استراخان القديمة - فورستر .

(٨) ان هؤلاء « التتار الشرقيين » ، كما يسمون بهذه التسمية ، وان لم تمتد ممتلكاتهم شرقا الى ما يتجاوز ولايات بلاد فارس وخراسان ، انما اطلق عليهم هذا الاسم رغبة فى تمييزهم عن التتار الغربيين ( أو بعبارة أصح التتار الشماليين الغربيين ) الواردة ذكرهم فى الهامشة السابقة والذين احتلوا المناطق الواقعة الى جوار نهر الفولجا ، ومنها الى تخوم - أو الى ما وراء تخوم - أوربا . وأميرهم هنا الذى اسمه الاءو أو هالاءو ، هو هولاكو ذائع الصيت ، ابن تولى أو تولوى ، كما أنه شأن باتو ومانكو وقبللى ( والأخرون هم آخرته ) هو حفيد جنكيزخان . ونظرا لاناطة أخيه الأكبر مانكو اعباء القيادة به فى الولايات الجنوبية من الامبراطورية غادر قره قورم ، قبل زيارة روبروكيس لتلك العاصمة التترية بزمان قليل ، وفى عام ١٢٥٥ عبر



نهر جيحون (Oxus) بجيش كبير . وفى السنة التالية قضى على جنس أو طائفة الاسماعيلية ، الذين يسمون أيضا بالملاحدة ، وسيقدم عنهم فيما بعد بيان خاص ، ثم وجه جيوشه على مدينة بغداد ، التى أعدل فيها الذهب فى ١٢٥٨ ، وأعدم المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين . وعند وفاة مانكو فى ١٢٥٩ أصبح هولاكو بالفعل صاحب الكلمة العليا والسيادة بالعراق الفارسية والبابلية ومعهما خراسان . ومع ذلك فإنه ظل معترفا بولاء اسمى مقتدر بالاحترام لأخيه قبلاى ، الذى اعترف به الجميع رأسا للأسرة المغولية وجعل مقر حكمه فى بلاد الصين . ووافته منيته فى ١٢٦٥ بمدينة توريس أو تبريز ، عاصمة ملكه .

(٩) ليس ثمة شك فى أن هذه هى أوكاك التى ذكرها أبو الفدا ، وهى التى يمكن أن يظن أن طريق رحالتنا امتد منها نحو مدينة جايك ، على النهر المسمى بذلك الاسم ، ثم بعد ذلك الى نهر سيحون .

(١٠) الواضح أن النهر العظيم الذى عبره رحالتنا ، والذى ربما جاز لهما ، لشدة عظمه أن يظن أنه خليق بأن يوضع فى مصاف أنهار الفردوس ، كان نهر سيحون ، الذى يسمى أيضا بنهر سر ( سرداريا ) .

(١١) الصحراء المذكورة هنا هى صحراء كاراك ، الواقعة الى جوار نهر سيحون أوسر ، والتى لا مقر للمسافرين القادمين من الشمال أن يقطعوها للوصول الى بخارى .

(١٢) لا شك أن هذه المدينة الشهيرة ، التى لا يسهل أن يقع خطأ فى اسمها ، ولم يطمس اسمها الناسخون تقوم بخدمة مادية ثابتة هى تحديد الاتجاه العام لطريقهما . وذلك لأنهما وقد تقدما شمالا من بلاد القرم ، لم يكن فى وسعهما بلوغ بخارى الا بعبور الأنهار العديدة التى تصب مياهها فى القسم الأعلى أو الشمالى من بحر قزوين .

(١٣) يبدو أن هذا هو الأمير الذى يدعو يتيه ده لأكرواه باسم براك كان ويسميه ده هيربيلوه براك خان ( براق خان ) ابن حفيد جاغتاي ( جاجاتاي ) ، الابن الثانى لجنكيز خان ، الذى ورث ما وراء النهر ، Transoxiana . أو المنطقة التى يمتلكها الآن قنار الأوزبك . ويروى ده هيربيلوه أن براك حاول اغتصاب مملكة خراسان من قبضة أباقا ابن هولاكو . ولكن لابد أن يكون ذلك القول خاطئا ، وذلك لأن وفاة براق يضعها المؤرخون عامة فى عام ١٢٦٠ ( بينما يحددها ده هيربيلوه بعام ١٢٤٠ بغير دقة مستولة ) ، ووفاة هولاكو فى ١٢٦٥ .

(١٤) عين مانكو أخاه قبلاى نائبا للملك ببلاد الصين . ومنح هولاكو حكم كل ما يستطيع ادخاله فى طاعته من ولايات آسيا الجنوبية .



حتى اذا عاد هو نفسه الى الصين في ١٢٥٨ ، مات اثناء حصار هوتشيو ، بمقاطعة سه تشوين في العام التالي . وكان قبلاى في ذلك الوقت بمقاطعة هركوانج ، وهو يواصل جهوده ليجعل من نفسه سيدا على فوتشانج فو ، عاصمتها ، حتى استدعى عنها ليخمد فتنة اثارها أخوه الأصغر أرتكيفا ، الذى تركه مانكو نائبا عنه فى قره قورم . حتى اذا قنع بارغام امبراطور الصينج ، الذى كان يحكم مانجى ، أو الصين الجنوبية ، على دفع جزية سنوية تراجع الى الشمال ، وفى ١٢٦٠ نودى به خانا أعظم بمدينة شانج تو ، التى أصبحت منذ ذلك الحين مقامه الصيفى . ويروى مع ذلك ، أنه تردد فى حمل اللقب ربحا من الزمان . ولم يعلن قبوله حتى وصل مبعوث من قبل أخيه هولاكو ( الذى يظن بعضهم أنه كان أكبر سنا ) ، يحضه على قبول منصب الامبراطورية . ويحق لنا - عقلا - أن نظن أن هذا المبعوث هو الشخص الذى وصل الى بخارى ، فى طريقه من بلاد فارس الى خاتاي ، فى نفس الوقت الذى تعطل فيه بتلك المدينة كل من نيقولو ومافيوبولو ، وبهذا يتأكد أن المدة كانت قرابة عام ١٢٥٨ .

(١٥) ينبغي أن يفهم أن هذا الاتهام فى تحديد مقر حكم الخان الأعظم ينطبق على خاتاي ، أو الصين الشمالية ، التى ندر أن غاب الامبراطور عنها أو عن المنطقة المجاورة المسماة كارتشن ، التى تقع بها شانج تو .

(١٦) المقصود من قوله : امبراطور الرومان هو الامبراطور الذى يحكم بالقسطنطينية ، يونانيا كان أم رومانيا . ويسمى أقصى المشارقة تلك الأقطار التى تشكل الآن ممتلكات الترك فى أوربا وآسيا الصغرى ، باسم مبهم عام هو بلاد « الروم » كما يسمون الواحد من سكانها باسم « رومى » .

(١٧) يحق لنا عقلا أن نشكك ( بغير أن يساورنا أى شك فى البعثة نفسها ) فى أن العبارات التى وضعت هنا على لسان الامبراطور ، سواء فيما يتعلق بعبادة التتار أو ألوهية المسيح ، قد بولغ فيهما بفعل حماسة الناسخين المسيحيين . ولا شك أن حالة قبلاى ، الذى يعرف عنه أنه صاحب عقل ناشط مستطلع ، حيث يطلب أن يزود بعدد من المرسلين ( المبشرين ) من أوربا ، ليعلموا رعاياه التتار الجهلة فى شئون الدين ، وبخاصة فى ممارسة الفنون النافعة ، لا تتجاوز كثيرا ما فعله منذ ذلك الحين فى أحيان عديدة أمراء على أمم نصف متبربرة لم ترسخ بيتها بالفعل المقدس جذور مبادئ القرآن وتعاليمه . وفيما يتعلق بالزيت المقدس فاننا نجد شاردان يذكر أهميته على الوجه

القالى : « ان ما يبيعونه ( يعنى رجال الدين الأرمنيين ) بأعلى ثمن هر الزيوت المقدسة ، التى يسميها الروم باسم « الميرون » Myrone » وتزعم غالبية المسيحيين الشرقيين أن هذا الزيت يلسم يبرىء السقام البدنية من كل أدواء النفس . والبطرك هو وحده صاحب الحق فى تقديسه . وهو يبيعه للأساقفة والقسس . ومنذ حوالى اثنى عشر عاما صمم بطريرك فارس على منع رجال الكنيسة الأرمنيين بكل أرجاء الشرق من التزود بالزيت المقدس الا من عنده ، فأما قساوسة تركيا فانهم يتزودون به منذ أمد بعيد من بيت المقدس ، من لدن البطريرك الأرمنى الذى يقيم بها والذى هو فيها الرئيس الأعلى لجميع المسيحيين الأرمنيين بالامبراطورية العثمانية » .

انظر Voy. en Perse مج ١ ص ١٧٠ ( السطر ٤ من فوق ) .

(١٨) كثيرا ما تذكر الكتابات الصينية « لوحات الشرف tchikouei التى تسلّم لكبار الموظفين أو الضباط عند تعيينهم فى مناصبهم . وترصد عليها القابهم بحروف من الذهب ، وهى تخولهم امتيازات جساما أثناء السفر واللوحه التى ورد ذكرها هنا يمكن أن تعد من نفس النوع تقريبا . وهى تسمى فى لغة كانتون الأوربية السوقية باسم النوط الامبراطورى الأعظم ، وهى كلمة يعبر بها عن معنى « الخاتم ، أو السمة أو الكفالة أو الرخصة أو جواز السفر » .

(١٩) حذف اسم المكان الذى تخلف فيه خوجاتال بكل من نسخة مارسدن ومن النص الفرنسى ومن بعض النسخ الايطالية .

(٢٠) أطلقنا هذا الاسم ( لابسوس ) نقلا عن النص اللاتينى بدلا من غزة Giazza ، التى أوردتها نسخة مارسدن ، وهو تحريف واضح . والمكان المقصود ميناء يقع على الجانب الشمالى من خليج الاسكندرونه ، أو هو اسوس ، التى تسمى فى خرائطنا وكتب الجغرافيا الحديثة عندنا باسماء مختلفة منها لاجازو وأبازو وأياسو ولاءاس ولاياسا .

(٢١) ان Acre وهى عكا بالعربية انما هى مدينة بطليماس القديمة ، وهى مدينة بحرية بفلسطين ، استولى عليها الصليبيون من المسلمين فى ١١١٠ . ولكنها وقعت فى ١١٨٧ فى يد صلاح الدين . ولكنها انتزعت منه عنوة فى ١١٩١ على يد القوات المسيحية بقيادة فيليب أوجست ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا . وفى ١٢٦٥ وأيضا فى ١٢٦٩ ( أى قرب المدة التى وصل فيها الى هناك رحالتانا ) هاجمها بيبرس سلطان مصر بغير طائل . وفى ١٢٩١

استردت نهائيا من قبضة المسيحيين ، كما دمر شطر كبير منها ، على يد سلطان مصرى آخر هو خليل من دولة المماليك البحرية . على أن عكا ارتفعت فى الأزمنة الحديثة فجأة من التأخر الذى وقعت فيه خمسة قرون ، وأصبحت ذائعة الصيت للمرة الثانية بسبب المقاومة الظافرة الصامدة العزيمة التى أبدتها حاكمها الجزار باشا فى ١٧٩٨ و ١٧٩٩ ، بمساعدة عمارة بحرية بريطانية صغيرة وبفضل الشجاعة التى أبدتها قائدها الممتاز ، ضد الجهود الشرسة والدموية التى بذلها نابليون الذى غزا مصر .

(٢٢) توفى البابا كلمنت الرابع فى التاسع والعشرين من نوفمبر من عام ١٢٦٨ . ومن هنا تكون وفاته حديثة عندما وصل رحالتنا الى عكا فى أبريل ١٢٦٩ . وربما جاز لنا أن نلاحظ أن تاريخ وصولهما يذكر مختلفا فى المخطوطات . فمنها ما يشير الى ١٢٦٠ ، بينما النص اللاتينى يذكر ١٢٧٠ كما تذكر نصوص غيره ١٢٧٢ على أن بعض المخطوطات تحدد الثلاثين من أبريل موعدا لوصولهما .

(٢٣) تثبت سجلات أخرى أن عكا كانت مقاما لندوب الكرسي البابوى حوالى تلك المدة .

(٢٤) تذكر نسخة بال وكذا الترجمة اللاتينية المبكرة ، والخلاصات الايطالية ، أن عمر ماركو ، الذى قدر له أن يكون مؤرخ العائلة ، لم يزد آنذاك على خمسة عشر عاما فقط . فان كانت هذه القراءة صحيحة ، وما اخالها الا كذلك ، فلا بد أن الوالد الذى وصل الى عكا فى ١٢٦٩ ، ويمكن أن يفترض أنه بلغ البندقية فى ١٢٧٠ ، غادر وطنه حوالى عام ١٢٥٥ . ( انظر الهامشة ٣ ص ١٣ ويبدو أن سن التاسعة عشرة انما عين لكى يستقيم مع ميعاد السفر الذى يظن أنه عام ١٢٥٠ .

(٢٥) حدث فعلا فى هذه الحالة أن شغل الكرسي البابوى مدة تقارب ثلاث سنوات ، نتيجة لما يدور فى مجمع الكرادلة من مكائد ، ثم رثى فى النهاية أن يفوض اختيار البابا الى ستة من الكرادلة ، فوقع اختيارهم على تيبالدو من بياتشيرا فى اليوم الأول من سبتمبر ١٢٧١ . ورغبة فى الحيلولة مستقبلا دون ما يسببه مثل هذا التأخير من مضايقات وفضائح ، تقرر انشاء نظام : « اجتماع الكرادلة » conclave ( على غرار مبدأ مماثل طريقة اختيار المحلفين عن طريق الجدول بانجلترا ) .

(٢٦) ونجده قد تسمى فى قائمة الأبحار Pontiffs ذوى السيادة باسم « ب » جريجوريوس العاشر بلاسنتينوس « وقد تم



انتخابه ، كما ذكرنا ، فى العاشر من سبتمبر ١٢٧١ . وكان عند ذلك يقوم بأعمال القاصد الرسول فى سوريا . ولكن نظرا لأن الخبر نمت الى علمه بسرعة ، فانه تمكن من الرحيل من هناك سريعا فى يوم ١٨ نوفمبر التالى ونزل فى برنديزى بالقرب من أوترانتو فى يناير ١٢٧٢ .

(٢٧) فى ذلك الحين كان ليون أو ليفون الثانى يحكم فى أرمينية الصغرى ، التى كانت عاصمتها هى سيس كما أن آياس أو آيازو هى ميناؤها الرئيسى . بينما لعب أبوه الذى نسميه هايتون ويسميه كتاب العرب باسم حاتم ، دورا بارزا فى المفاوضات والمصافقات الأخيرة ، بعد أن صحب هولأكو من بلاط مانكوخان الى بلاد فارس واشترك فى حروبه مع المسلمين . وكان حصل فى ١٢٧٠ على موافقة أباقا أبى هولأكو ، وهو عندئذ مولاة ذو السيادة (Liege Sovereign) على نقل تاج أرمينية الى ولده ليدن بسبب كبر سنه واصابته بالوهن والسقام ، وقد تم تسجيل أهم مآثره وأعماله على يد سمية وقريبه ومعاصره ، الذى أصبح من رجال الكنيسة بعد أن أبلى بلاء طويلا وجليلا فى الأعمال العسكرية . وقد أصدر عمله هذا جرنيايوس فى بال وباريس عام ١٥٣٢ بعنوان : « Haithonis Armeni de Tartaris Liber » ، كما أصدره ثانية أندرياس هولر فى ١٦٧١ تحت عنوان :

«Haithoni Armeni Historia Orientalis : quoe eadem et de Tartars inscribitur» .

وانظر أيضا مختصر التاريخ لأبى الفرج ص٠ ص٠ ٣٢٨ - ٣٥٧ ، ( الشهيرة بابن العبرى ) ( ١٢٢٦ - ١٢٨٦ ) وانظر : ده جينى Hist. Gén. الكتاب ١٥ ص ١٢٥ - ٢٤٩ .

(٢٨) وكما يمكن أن يفرض من أن رحالتينا بدءا رحلتها قرب الوقت الذى أفلح فيه البابا جريجورى من عكا ، فإن الموعد ثابت بحكم بيئة لا يكاد الشك يرقى اليها ، بأنه نهاية ١٢٧١ أو بداية ١٢٧٢ .

(٢٩) كان هذا السلطان هو بيبرس والملقب بالبيندقدارى - سلطان مصر المملوكى ( التى عناها المؤلف بكلمة ( بابل ) ، وقد فتح آنذاك الشطر الأكبر من بلاد الشام ، وغزا أرمينية بالفعل ( فى عام ١٢٦٦ أو ما يقارب ذلك ) وأعمل النهب فى مدينتى سيس وآيس . وفى ١٢٧٠ بسط سلطانه على أنطاكية ، وذبح أو أسر جميع السكان المسيحيين ، وهدم كنائسها ، وهى أفخم كنائس الشرق وأشهرها . ولا بد أنه حدث قرب بداية عام ١٢٧٢ ، أن رحالتينا دخلا أرمينية . ومع أنه لم يذكر بوجه خاص أن هجوما تم على يد السلطان فى تلك المدة ، فإن من الواضح أنه لم يكف عن ارهاق بلاد الشام المجاورة بغاراته المتلاحقة . وعلى

الرغم من هذا الفتح الجسيم الذى أوردنا ذكره من تونا ، فأننا نجد  
ثانية فى ١٢٧٦ يغزو ولاية الروم المتاخمة لأرمينية الصغرى مباشرة  
من ناحية الشمال . ولابد أن الهجمات المباغته كانت دائمة لا تنقطع ،  
وهى وحدها ربما كان فيها الكفاية لمنع رجلى الذين من التقدم أساعا مع  
رفيقيهما الأكثر منها مغامرة ، والذين لم يلتقيا مع ذلك بالعدو .

(٣٠) من المعلوم أن فرسان اسبتالية ( مستشفى ) القديس يوحنا  
بأورشليم ، وفرسان الهيكل ( أو الداوية ) ، هيتان ديريتان عسكريتان  
كبيرتان ، نشأتا عن التعصب الدينى للحروب الصليبية وأصبحتا أشد  
دعامة القضية المسيحية بآسيا انتظاما وفعالية . وليس بمستبعد أن  
مجموعة من فرسان الهيكل كانت تعسكر فى هذا الجزء من أرمينية  
التي ينبغي أن نسميها بالشمالية ( رغبة فى الدفاع عنها ، وأنه  
كان طبيعيا أن يلتصق الكاهنان حماية قائدها ، الذى ربما كان عميدا  
لها ، وإن كان الأرجح أنه ليس سوى فارس من تلك الهيئة .

(٣١) لابد أن مقر حكم قبلاى العادى فى تلك المدة كان مدينة ين  
كنج ( قرب الموقع الذى تقوم فيه الآن مدينة بكين ) وذلك بينما كان  
منشغلا فى وضع أساسات عاصمته الجديدة قاتو ، التى ستذكر ذكرا  
خاصا فى سياق الكلام « Sequel » ، على أن العمليات الحربية ،  
أو تنظيمات الولايات المفتوحة حديثا ، ربما استدعت مع ذلك زيارة  
مدن أخرى . وربما وجده رحالونا فى الجزء الغربى من ممتلكاته .  
يقول دوهالد : « انه أقام بلاطه فى أول الأمر ، فى تاي يوين فو عاصمة  
ولاية شان سى ، ثم نقله بعد ذلك الى بكين » . انظر مج ١ - ص ٤٩٦ .  
(Descript. de la Chine)

(٣٢) عندما زار تشولا ما التبت ( فى ١٧٧٩ - ٨٠ ) امبراطور  
الصين السابق فى بكين ، استغرقت رحلته ( وإن جاءت مما نعهده  
اقليما مجاورا فى طريق حرسه منذ ذلك التاريخ الجنود الصينية ) عشرة  
أشهر ، تعطل فى أربعة منها بأحد الأماكن بسبب الثلوج المتراكمة .

(٣٣) لعلها : المغولية ( أو المنغالية ) والايغورية والمانشووية  
والصينية . وربما جاز لنا أن نظن أن الأخيرة منها أقلها أرجحية ، ولكن  
لا يجوز أن نستنتج أية استنتاجات من هجائه للأسماء الصينية  
بالحروف الأوربية ، وبخاصة لو راعينا حالة النص المحرفة . ويقول  
النص اللاتينى ان ماركو « تعلم التتارية وأربع لغات أخرى » . وتقول  
النسخة الفرنسية « انه تعلم لغتهم وأربع طرق مختلفة للكتابة » .

(٣٤) ينبغي لنا وقد عرض علينا هنا الاسم مجردا ، دون ذكر أية  
ملابسات عدا شدة بعده من عاصمة الصين ، أن نفترض أن المقصود



به هو احدى مدن خراسان . وهو أمر لا اعتراض عليه الا فى احتمال مروره فى تلك الولاية عندما زار بلاد التتار لأول مرة ، وأنه لم يذكره هنا كمكان عرفه من قبل . وكانت تلك الولاية ( بالاضافة الى فارس ) تحت حكم الابن الثانى لهولاكو ، الذى خلف أخاه أباقا واتخذ اسم أحمد خان ، عند اعتناقه الدين الاسلامى . وربما عد من قبل الانتهاك لأصول مجاء الكلمات فى الكتاب ، أن نظن أن المقصود بالاسم هو خورزميا ، الشاه خوارزم Kharism عند الجغرافيين المحدثين .

(٣٥) ورد فى نسخة راموسيو أن المدة هى « Ventisei anni » أى ست وعشرون سنة ، ويحاول برشاس تفسير الذى ينبغى فهم هذا العدد عليه ، ولكنى أفضل فى هذه الحالة ، اعتبار القراءة الواردة فى الترجمة اللاتينية التى بها XVII annos أى سبعة عشر عاما ، أكثر تمشيا مع الواقع . ومن المحقق أن العائلة لم تبارح عكا ، فى عودتها الى الصين ، قبل نهاية ١٢٧١ . ولما كانت هناك أسباب تدعو الى الاعتقاد بأنهم لم يطفوا بلاط الإمبراطور قبل ١٢٧٣ أو ١٢٧٤ ، ولا مكثوا هناك بعد ١٢٩١ ، يترتب على ذلك أن مدة خدمة ماركو لا يمكن أن تكون تجاوزت سبعة عشر عاما الا ببضعة أشهر قليلة . فالسنوات الست والعشرون تضم جميع المدة التى انقضت منذ الزيارة الأولى التى قام بها أبوه وعمه فى ١٢٦٤ أو ١٢٦٥ .

(٣٦) مع أننا لا نجد فى المراجع التاريخية التى وصلت الى أيدينا تلك المدة ، أى ذكر لزوجات أرغون خان ، الا أن الاسم الذى كتب هنا وهو « بولجانا » « Bolgana » ، كما أنه ورد فى طبعة بال اللاتينية وكذا فى مخطوطة المتحف البريطانى « بالجانا » يرد ، مع وجود فارق طفيف فى التهجئة ، بين أسماء نساء تلك الأسرة . وكانت ابنة جاغقاي ، ابن جنكيز خان وعم هولاكو ، تدعى بولغان خاتون ، كما يتجلى ذلك من « روضة الصفاء » تأليف ميرخوند . على أن النصين اللاتينى والفرنسى والنص الايطالى فى اصدارة بولي ، تسمى الملكة بولجارا .

(٣٧) خلف أرغون خان ، ابن أباقا خان وحفيد هولاكو ايلخان ، عمه أحمد خان نيقودار على عرش فارس ، وخراسان وأقاليم أخرى مجاورة فى ١٢٨٤ . وكان أول عمل فعله ، كما ينبئنا ده جنى De Guignes (LIV. XVII, p. 265) أن أرسل الى الإمبراطور قبلاى بوصفه كبير العائلة والعاهل الذى يتلقى ولاءه ، متمسكا تقليده مقاليد الحكم فى ممتلكاته . واذن لابد أن تكون وفاة ملكته ، المتحدث عنها هنا ، حدثت - استقاء من الظروف المذكورة فى سياق الكتاب فى قريب من عام ١٢٨٧ ، كما أنه هو نفسه مات ١٢٩١ - وتنص جميع ترجمات



العمل بغير استثناء على كتابة الاسم أرغون Argon ، وهي تهجئة  
نقترب كثيراً من التهجئة الفارسية .

(٢٨) كان الخان الأعظم ، الذي قيل بأن عائلة هذه الملكة تنتمي في  
بلاطه باقليمى كاتايا ، العم الأعلى ( عم الوالد ) لأرغون زوجها ،  
ريحتمل أن الملكة نفسها كانت من نفس الأسرة المالكة المغولية وأنها من  
نفس العترة التى ينتمى إليها جنكيز خان . فكان قلقها منصباً اذن على  
ألا يفض زوجها من قدر نفسه ومن ذكراها ، بعقد زواج مع أية انسانية  
من سلالة أقل نبلاً منهم . فلو نظرنا الى الظروف اذن فى ضوءها  
الحقيقى ، سيتضح أن ما قد يظن لأول وهلة قصة رومانسية ، ملك  
الهند يرسل سفارة الى امبراطور الصين ، بقصد الحصول على زوجة ،  
انما هو ببساطة صدفقة بسيطة وطبيعية لأحد صغار أفراد أسرة عظيمة يتقدم  
الى رأس البيت يلتمس منه الاذن له بتقوية أواصره ، بالزواج بواحدة من  
بين بنات أعمامه من الدرجة الثانية فيما يرجح ، وذلك أنه يجوز لذا أن  
نزعم أنه لو لم تكن هذه الأنثى واحدة من بنات عترة قبلاى المباشرة ،  
( كأن تكون حفيدة له مثلاً ، نظراً لتقدمه فى السن آنذاك ) لما كانت  
عناك حاجة تدعو الى القيام بطلب بالغ الرسمية كهذا . أما فيما  
يتعلق بالمسافة الفاصلة بين فارس والصين ، التى قد تتخذ اعتراضاً  
على احتمالية هذه الواقعة ، فان من المعلوم جيداً أنه كانت هناك بين  
جميع فروع هذه الأسرة المغولية ، مهما ترامت مسافة البعد بين الواحد  
منها والآخر ، اتصالات مستمرة ، ظلت قائمة حتى تلك المدة ، كما أن  
أرغون نفسه تقدم الى نفس الملك وتلقى منه قرار تنصيبه . غير أنه ظهر  
فى هذه الحالة انه لم يعد فى الامكان التغلب على الصعوبات المحيطة  
برحلة العودة بطريق البر .

(٣٩) كان موقع خاتاي ، أو كاتايا ، ( أو كائاي كما كان يسميها  
عادة كتاب العصور الوسطى ) مثار مناقشات كثيرة بين العلماء .  
ولكن لا اخال من يرجعون الى من كتبوا من الشرقيين فى تقويم البلدان  
( الجغرافيا ) والتاريخ ، لا من اليونانيين ، يشكون فى أنهم يطلقون  
الاسم على الولايات الشمالية لما نسميه الآن باسم الصين . وهى الولايات  
التي فتحها جنكيز خان وأبنيه أكتاي Oktai منتزعين اياها ،  
لا من حكومة صينية ، بل من جنس من التتار الشرقيين ، يسمى باسم  
نيوتشيه وكن ، وهو جنس أخضع تلك الولايات قبل ذلك بمائة وعشرين  
سنة . وليس من السهل القطع فى هل يقصرون الاسم بدقة على تلك  
الولايات وحدها ، أو يدخلون فى كائاي بعض الأجزاء المجاورة من  
بلاد التتار ، خارج سور الصين الأعظم ، وذلك نظراً لأن بياناتهم عن

تلك المناطق أبعد ما تكون عن الدقة . على أنى أرجح أن الوضع الأول هو الواقع .

(٤٠) تختلف هذه الأسماء اختلافا بليغا فى الترجمات والاصدارات المختلفة ، حيث تظهر بأشكال يولاتاى وجولاتاى وايوسكا وأيوسكا-وييوسكا ، وأجوزا وكويلا . ولعلها شوهت جميعا تشويها كثيرا أثناء نقلها من مخطوطات غير واضحة الكتابة . والنص اللاتينى يسميهم أولاتا واليوسكا وكور . على أنه ليس لهم جميعا أية أهمية تاريخية .

(٤١) كانت إحدى زوجات هولاكور ، وهى أم أحمد خان نيقوهار ( عم أرغون ) ، تسمى كورتاى خاتون ، وهو اسم كوجاتين ( وتكتب أيضا جوجاتيم وكوجانين ) كانت تحريفا له . وكثيرا ما تلحق لفظة خاتون ومعناها « السيدة » ، بأسماء الاعلام أو تكون جزءا منها وتطلق على سيدات الطبقة العليا الفارسيات والتتريات .

(٤٢) لابد أن هذه الحروب شبت حوالى عام ١٢٨٩ ، وعلى الأرجح فى بلاد ما وراء النهر ، (Transoxiana) بين أحفاد جاجاتاي أو زاكاتاي ( أو جاغتاي أو جغتاي الموسوعة الميسرة ) وهم قوم تاريخهم غامض بوجه خاص . ولكن هناك أسبابا كثيرة تدعو الى الاعتقاد بأنهم هم أو أى أمير من أمراء المغول ، قلما عاشوا فى هدوء . وأثيرت الفتن كذلك ، قرب بلاد الصين ، على يد أخ أصغر لقبلاى ، حاول أن ينازعه عرش الامبراطورية .

(٤٣) ان ما يسمى هنا بالهند الشرقية ، ينبغى ألا يفهم على أنه قارة الهند ، بل هو بعض الجزر الواقعة فى الأرخبيل الشرقى ، وربما كانت هى جزر الفلبين ، أو لعلها ساحل تسياميا أو تشامبا ، التى يتحدث مؤلفنا ، فى جزء آخر من العمل ، بأنه زارها . والرحلة المذكورة هنا جاءت عقيب الحملة العظيمة والكارثة أيضا التى كانت عبقرية قبلاى الناشطة سببا فى دفعه الى خوضها على مملكة اليابان ، وينبغى ملاحظة أن النصوص اللاتينية والفرنسية وكذلك الايطالية التى نشرها بونى ، لم تذكر شيئا عن السفن وانما تجترىء بمجرد ذكر أنه كان عائدا من سفارة بالهند .

(٤٤) ربما بدت الإشارة الى ذلك الدافع الاقتصادى شيئا شاذا ، لولا أن التعلق بالمال كان من النقاط الضعيفة فى أخلاق قبلاى ، كما أن الطرق التى كان يستخدمها فى جمعه ، أو أغماضه العين عن عماله حين يستخدمونها ، كانت موضعا للكثير من اللوم .

(٤٥) ورد في الترجمة اللاتينية أنه عين سفراء من قبله لدن هؤلاء العواهل ليصحبوا البعثة . ولكن نظرا لأن هؤلاء الأشخاص لم ترد عنهم أية إشارة فيما بعد ، وإن وجدت مناسبة واضحة ( هي قوائم الرقيات ) ، فإن النسخة الإيطالية تعد أحق بالتفصيل .

(٤٦) عما يحدث في الأزمنة الحديثة ، في الجزء الشمالي من بلاد الصين ، وبخاصة في نهر بي هو ، من حيث تزويد السفن المعدة للاستخدام في الرحلات بالبلاد الأجنبية البعيدة ، « بأربع » ساريات ، نعتمد على « بارو » حيث يقول : « من المحال علينا ألا نعد الملحوظات التي أوردها هذا الرحالة القديم ( ماركو بولو ) عجيبة ومشوقة وقيمة . بقدر ما تتعلق بالامبراطورية الصينية ، فإنها تحمل في طياتها الدليل على صدقها جملة . فلقد أقلع من الصين بأسطول يتكون من أربع عشرة سفينة ، تحمل كل منها أربع ساريات أو ( صوار ) وقد قسمت عنابرها الى مقاصير منفصلة . . . وقد شاهدنا مئات عديدة منها أكبر حجما وأوصافا . وهي تستخدم في الرحلات الى البلاد الأجنبية ، وكلها تحمل أربع « ساريات » . انظر Travels in China ص ٤٥ . وورد في الترجمة اللاتينية : « ولكل منها أربع صوار كما أن كثيرا منها كان يقلع باثني عشر شراعا » . ومن المعلوم الآن أن المواعين ( السفن ) الصينية لا تحمل الآن أى نوع من الشراع الثانى الأعلى .

(٤٧) ربما صبح لنا أن نستنتج أن اقلاع هذه البعثة المسترعية للاعجاب من بي هو أى نهر بكين ، بناء على الظروف المذكورة في أجزاء الكتاب المختلفة ، حدث قرب بداية عام ١٢٩١ ، وكان ذلك قبل وفاة الامبراطور قبلاى بثلاث سنوات ، وقبل وصول آل بولو الى البندقية بأربعة أعوام فى ١٢٩٥ .

(٤٨) ترد بعض تفاصيل هذا الجزء من الرحلة فى الكتاب الثالث الفصل العاشر ، حيث تسمى الجزيرة المسماة هنا جاوة باسم جاوة الصغرى ، ومن الجلى أن المقصود بها هو سومطرة . . . وسيوضح أنهم كانوا ينتظرون حدوث التغير فى اتجاه الرياح الموسمية فى ميناء يقع فى شمال تلك الجزيرة ، قرب المدخل الغربى لمضيق ملقه .

(٤٩) الموضع الذى بلغته البعثة فى خاتمة المطاف ، لم يرد ذكره بصورة مباشرة فى أى جزء من العمل ، بيد أن هناك أسسا قوية للاستدلال أنها كانت ميناء هرمز ( أرمز ) الشهيرة . أما عن الأمير المدعو أرغون خان فانظر هـ ٣٧ ص ؟ .

(٥٠) لا تزيد نسبة الوفيات هذه عما يمكن توقعه فى سفن مكتظة بأناس لم يعتادوا رحلات على مثل ذلك الطول وقضوا أشهرها كثيرة



راسين فى مضيق ملقه ، ومع أن نسبة الوفيات كان يتوقع أن تصل الى ثلث عددهم بأجمعه ، فانها لم تتجاوز ما لقيه لورد أنسون وملاحون آخرون ممن عاشوا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

(٥١) توفى أرغون خان ، حسبما تروى الأسناد التى تتبعها ده جينى ، فى الشهر الثالث من السنة التسعين بعد الستمئة للهجرة ، التى تقابل شهر مارس من عام ١٢٩١ ميلاد السيد المسيح .

(٥٢) ان الشخص المدعو هنا كيا أكاتد أو كياكاتو Chiacato فى التهجئة الايطالية ، والذي يوصف بأنه حاكم البلاد باسم ابن الماك المتوفى ، كان هو قاي خاتو ، الابن الثانى لأباقاخان ، فهو من ثم أخى أرغون ، الذى قيل انه استولى على العرش عند وفاته ( وان جاز أنه لم يكن يؤدى عمله الا وصيا على صاحب العرش أو حاميا له ) مثيراً بذلك حقد ابن أخيه الذى كان قاصراً .

(٥٣) الاسم الذى يكتب هنا قاسان أو كاسان ، ويدعوه ده جينى كازان ، هو تشاران خان ، الابن الأكبر لأرغون . ولكنه لم يعقل عرش فارس الا فى نهاية عام ١٢٩٥ ، بعد وفاة والده بما يدانى الخمس سنوات . وكان أرسله للاقامة بخراسان ، تحت رعاية أتابك ( محافظ ) يسى نوروز ، وهو الذى أقنعه باعتراف الدين الاسلامى فيما بعد ، وتسمى باسم محمود . ولا يبدو أنه كان يلقى وهو فى تلك الولاية تحرشا من عمه قاي خاتو ، وتدل هذه التوصية منه ، بوجوب نقل الأميرة الى الأول بوصفه ممثلاً لأبيه ، على أن العلاقة بينهما لم تكن علاقة عداة فعلية . وفوق هذا يدل الظرف أنه عندما انتقلت مقاليد الحكم عند قتل قاي خاتو الى بايدو ( وهو حفيد لهولاكو ينتسب لفرع آخر ) ، وزحف غزان بجيش الى الرى ( Rages ) لتأكيد مدعياته فى الوراثة ، كان أول طلب تقدم به هو تسليم قتلة عمه اليه . وبعد كفاح مشكوك فى عواقبه دام ثمانية أشهر ، أدى خروج أكبر ضباط الخاصب شأننا عن طاعته الى تدميره والقضاء عليه ، واعتلى عرش فارس حوالى السنتين اللتين أعقبنا وصول الأميرة ، التى لم يرد عنها بعد ذلك أى خبر .

(٥٤) سيورد ذكر تفصيلي أكثر عن هذه الناحية ، وعن الشجرة التى يقال انها استمدت منها اسمها فى الفصل العشرين من الكتاب .

(٥٥) هذا هو الممر المهم المعروف لدى القدماء باسم المضيق القزوينى Porta Caspice ( تمييزاً له عن ممر رودبار ) ، والذي يسميه الجغرافيون الشرقيون مضيق خوار أو خور ، وهي مشتقة من

كلمة فارسية معناها واد بين جبلين ( أى خور بالعربية ) ، أو عن مدينة صغيرة . تحمل نفس الاسم قرب المدخل الشرقى - ويقول رنل : « ان هذا الشق العجيب يسمى الآن مضيق أو ممر خوار ( وهى تشورا عند القدماء ) ، أخذاً من مدينة أو ناحية فى المنطقة المجاورة . وهو يقع عند نهاية الصحراء الملحة الكبرى ، وهى الواقعة الى الشمال نصاً من أصفهان ، وعلى بعد حوالى خمسين ميلاً شرقاً من خرائب الرى دربند وكذا ممر ( Rages ) ، وقد مر فيه الاسكندر وهو على طريقه من الرى الى آريا وباكتريا ( Bactria ) ، وقد وصفه بوجه خاص دل من دلاله فالى وهربرت بين المحدثين ، وبلىنى بين القدماء . وطوله ثمانية أميال وعرضه على الجملة أربعون ياردة » . انظر :  
Geographical System of Herodotus (examined and explained)  
ص ١٧٤ ، هامش .

(٥٦) ربما دفعنا الجزء السابق من القصة الى الظن بأن مقام قاي خاتر كان يقع فى احدى المقاطعات الجنوبية ببلاد فارس . غير أننا نجد هنا على العكس ، أنه فى تطابق تام مع تواريخ ذلك الزمان - كان يقع على الطريق بين المكان الذى كان فيه غزان معسكراً على الضفة الشرقية لممر قزوين وبين قطر أرمينية ، الذى كان رحالونا يشقون طريقهم اليه . ووفقاً لذلك ينبئنا د . هربيلوه وده جنى وغيرهما ، أن قصبة أمراء تلك الأسرة المالكة كانت مدينة تبريز (Tauris) بأذربيجان ، ولكنهم كانوا كثيراً ما يسكنون ( وخاصة فى الصيف ) بهمدان فى الجبال ، ليكونوا أقرب الى الحدود السورية .  
(٥٧) يمكن أن نستنتج بناء على ما ورد فى الهامشة السابقة ، أن هذا المكان كان تبريز .

(٥٨) لما كان وزن المارك ثمانى أوقيات ، فلا بد أن اللوحات كانت عالية النفقة بغير ضرورة كما كانت ثقيلة الوزن الى حد ضجر . على أن الترجمات الأخرى للكتاب لا تحدد لها وزناً ولا حجماً ، كما أن بعضها تذكر أنها ليست سوى لوحتين اضافيتين .

(٥٩) ويدل هذا على أن سيادة رأس العائلة كانت لا تزال معترفاً بها من تلك الفروع ، وربما كانت لدى قاي خاتو أسباب خاصة دعت الى المبادرة الى تنفيذه تودداً ، اذ يقال ان غزان هو أول من نبذ هذا النوع الطفيف من التبعية الاقطاعية ، وربما لم يرسل سفيراً من قبل الى الصدين يطلب اقرار تنصيبه فى عرشه .

(٦٠) نلمس فى وصف السلوك الوارد هنا برهانا على الشك العام الذى كان يعتمل فى أنفس الناس حول حقه فى العرش ، وان كان رؤساء المغول ينظاهرون بأنهم يعدونه شيئا متوقفا على انتخابهم . ويجمع المؤرخون على التشهير بأخلاقه واتهامه بالفجور . ولما كان هؤلاء الأمراء ( الرؤساء ) يستشعرون الغضب لان الذى يحكمهم أمير على مثل هذا الفساد البالغ ، « يكرهه رعاياه بقدر ما يحتقره الأجانب » ، فانهم قرروا عزله وعرضوا التاج ، لا على غزان ، الذى ربما ظنود صغير السن جدا أو بالغ الضعف فى قوة البدن بحيث لا يتواءم وهدفهم ، بل على بايدو ، وهو حفيد لهولاكو وابن عم للملك الراحل ، وكان آنئذ حاكما على بغداد . ودارت رحى معركة ، وجد فيها قاي خاتو ، وهو شخص شجاع ثبت الفؤاد ، ان قائدا رئيسيا من رجاله خانة ، وكان يقود أحد أجنحة جيشه ، فانهمزم ثم خنق فيما بعد . عن التفاصيل الموسعة لهذه العمليات ، استنادا الى خوند أمير ، انظر La Bibliothèque Orientale تحت مادة « Baidu » ، انظر أيضا مادة جانجياتو ، « والذى نجد أنه يسمى أيضا كايكتو وكايكتو » . « يلاحظ خوند أمير أن الاسم الحقيقى لهذا الأمير هو آيكاثر أو جايكاثر » . واذن ، فينبغى لنا أن نتعلم منذ هذه اللحظة التردد قبل أن نعيب على منلقنا هجاءه ، حيث تختلف طريقة كتابته لهذا الاسم الغريب اختلافا هينا الى أدنى حد ، ان كانت تختلف اطلاقا ، عن بعض هذه المراجع الثقة ومن الظروف الجديرة بالملاحظة حقا ، أن أحد الدوافع الرئيسية المنسوب اليها تمرد أمراء المغول على هذا الأمير ، محاولته انشاء نظام عملة ورقية فى ممتلكاته يماثل المتبع ببلاد الصين - انظر De Guignes, Hist de Huns. الكتاب ١٧ ص ٢٦٧ .

(٦١) نصب قبلاى ، الذى ينطق الصينيون اسمه هوبيلى أو هوبيليه ، بينما يخلعون عليه فى « حولياتهم » التاريخية اسم « تشى تسو » ، خانا أعظم فى عام ١٢٦٠ ، وأصبح امبراطورا للصين فى ١٢٨٠ ، عند تدمير أسرة صونج ، وهى أسرة كانت تحكم فى مانجى أو الولايات الواقعة الى الجنوب من نهر كيانج العظيم ، وتوفى فى أوائل ١٢٩٤ وعمره ثمانون عاما . وليس عجيبا أن نبأ حدث بالغ الأهمية كهذا لدى جميع قبائل المغول أو التتار ، يجد سبيله الى البلاط الم فارسى ومن ثم يطرق مسامع رحالينا ، القائمين بتلك البعثة المهمة .

(٦٢) كان أشد الطرق امامهم قصرا الى تبريز مباشرة يمر من خلال بدليس ببلاد كردستان ، الى حلب ، ولكن تصادف فى هذا الوقت أن سلاطين مصر ، الذين كان ملوك فارس مشتبهين معهم بلا انقطاع



فى حروب ، كانوا يسيطرون على جميع موانئ سوريا ، وما كانوا  
ليعبروا جوازي سفـرهم أدنى احترام • على طريقهم البـرى المسار  
بجورجيا ( الكرج ) الى ترابيزون على ساحل البحر الأسود كان أقصر  
وأسلم • كما أنهم عندما يصلون الى ذلك المكان يكونون تحت حماية  
الأمير المسيحي ، الذى حكمت أسرته مملكة ترابيزون المستقلة الصغيرة  
من ١٢٠٤ الى ١٤٦٢ •

## ● هوامش الفصل الثانى

(١) يتطابق هذا التمييز بين الأرمينيتين الى الكبرى والصغرى مع ما نجده عند بطليموس وجغرافىي العصور الوسطى ، وان حدثت تقسيمات أخرى لتلك المنطقة آسيا منذ أن أخضعت للإمبراطورية العثمانية . ويحدد بوشنج أرمينية الصغرى بأنها تضم ذلك الجزء من كابادوكيا وكيايكييا ، الذى يمتد على طول الجانب الغربى من أرمينية الكبرى ، وايضا على الجانب الغربى من نهر الفرات أما عن أنها كانت تمتد جنوبى جبال طوروس فى أيام الملك هاينلون وكانت تضم كيليكييا (compestris) وهو امر لم يكن قائما فى الأزمان القديمة ، فان لدينا عن ذلك سندا لا يدحض هو ذلك المؤرخ .

(٢) تبعا لما يظهر من الفقرة المقتبسة فى الهامشة السابقة ، وكذا من مصادر أخرى من أن سيس كانت هى عاصمة أرمينية الصغرى ، اثناء حكم آل ليون وال هايتون ، نميل الى الظن بأن « سباستوز » الوارد ذكرها هنا ، وهى الاسم القديم لمدينة سيس تلك ، او لمدينة قامت فى نفس موقعها . أجل ان من الواضح من جغرافية بطليموس ، أنه كانت هناك أماكن كثيرة بآسيا الصغرى لها أسماء سباستيا ، وسباستيه وسباستوبوليس ( بالاضافة الى واحدة فى سوريا ) ، كما أنه فى تعداده لمدين كيليكييا ( قيلقيا ) ، نعث على مدينة اسمها سباستيه ، أضيف اليها نعت « أوجوستا » فى الترجمة اللاتينية التى صدرت بالبندقية فى ١٥٦٢ . وربما يكون ليون الأول - ( الذى يسمى العرب البلاد نسبة الى اسمه ، بلاد ليون أو بلاد سيس ) قد أقام المدينة الحديثة على أساسات هذه القديمة ، وربما كان الاسم اليونانى لا يزال غالبا . على أنهم ينبئوننا مع ذلك أن المدينة التى قامت قبل سيس عاصمة لأرمينية الصغرى ، كان اسمها سيس أو ماسيس ، وهى مويسسيوستيا القديمة . ريذغى لنا أن نعترف أنه اذا لم يكن المصدر والسند متناقضا والظن ، فان جرس ( بكسر الجيم وسكون الراء ) هذه الأسماء ربما ساقنا الى الظن ان الاسم الحديث ان هو الا اختصار لمسيس وأن سباستوز بنيل من مويسسيوستيه . وسيرى القارئ فى جزء ثال من الفصل أن مدينة سفاستا أو سيفاسته وهى سبيواس أو سيفاس العصرية ، يجرى الحديث

عنها في ظرف يظهر أنها تميزها تماما عن العاصمة الأرمينية . وذلك نظرا لأن المغول انتزعوها حديثا من امراء السلاجقة .

(٣) تقع لاجاسو أو آياس بمنطقة سبخة منخفضة تكونت من غرين نهري سيحان وجيحان ( بكليكييا ) ( المنجد ) وهي ( كما أوضح لي الكولونيل رنل ) تقع عند المصب الحالي للنهر الأخير . وقد انتقلت تجارتها الى الاسكندرونة في الجهة المقابلة أي الجانب السوري للخليج .

(٤) ان لفظة بلاد المشرق أو Levant هي ترجمة لكلمة الأناضول نقلا عن اللفظة اليونانية (Aratol'n) المشتقة من Ortus, Oviens التي تدل على القطر الواقع الى « نحو الشرق » من بلاد اليونان . ومن ثم فإنها بوصفها اسما لاقليم ينبغي أن تكون معادلة لغاتوليا ، بمعناها الأوسع المقبول لدى الناس . ومن البين أن مؤلفنا يستخدمها للدلالة على آسيا الصغرى . وتعد أزمير في الوقت الحاضر الميناء الرئيسي لبلاد المشرق ( اللفيانت ) ، ويبدو أن المصطلح يقصر استخدامه الآن على شاطئ البحر ، وعلى الاستخدام في الشئون التجارية وحدها .

(٥) عن أرض الميعاد أو فلسطين ، التي لا تمتد شمالا أبعد من مدينة صور ، ينبغي أن يفهم أن المقصود منها هنا هو سوريا أو على الأقل التسم المسمى Cocco-Syria التي تتأخم كيليكيا أو القسم الجنوبي من أرمينية الصغرى . ولما كانت لفظة سوريا ( أو الشام ) ، وهي التسمية الأعم تضم فلسطين ، كما أن الاسم الثاني كان إبان الحروب الصليبية مألوفا أكثر لدى الأوربيين من الاسم الأول ، فليس عجيبا أن يخلط بينهما في بعض الأحيان . والعرب (Saracens) المذكورون هنا هم رعايا سلاطين مصر المماليك ، الذين امتدوا من قبضة الدول المسيحية بالشام ، ما فقدوا امراء أسرة صلاح الدين ، الأيوبيون . على أن الاسم أطلق بأجزاء أخرى من الكتاب للدلالة بغير تمييز على المسلمين عامة .

(٦) كان تركمان كارامانيا جيلا من التتار ، واستقروا بآسيا الصغرى ، تحت حكم الأمراء السلاجقة ، الذين سنكتب عنهم في الهامشة التالية بيانا . وكانت قيصرية أو قيساريا وسيفاستيا أو سيياسته ، وهي سياستوبوليس كبادوكيا البطلمية وسيدواس أو سيفاس في العصر الحاضر ، - مدنا تتبع نفس الأسرة المالكة ، فقدتها المغول في عام ١٢٤٢ .



## ● هوامش الفصل الثالث

(١) ان المقصود بتركمانيا هو على الجملة ممتلكات الأسرة السلجوقية العظيمة في آسيا الصغرى ، التي تمتد من كيليكيا وبامفيليا ، في الجنوب ، الى شواطئ بحر اليوكسين ( الأسود ) ، ومن بيسيديا وميسيا ، في الغرب ، الى حدود أرمينية الصغرى ، بما في ذلك الشطر الأكبر من مزيجيا وكابادوكيا ، مع منطقة بنطس ( بنطش ) وبخاصة الولايات الحديثة المسماة كارامانيا وزرمية ، أو بلاد الروم . فأما عاصمة الأولى منهما فكانت أيكونيوم التي يحرفها الكتاب الشرقيون الى قونية ، كما يحرفها كتاب الصليبيين الى كويني (Kogii) أما الثانية فعاصمتها سياسته أو سباستوبوليس التي تنطق محرفة سيواس أو سيفاس . والأمير الذي استتقت منه الأسرة السلجوقية اسمها كان بالمولد تركمانيا ، من تركستان ، على الجانب الشمالي الشرقي من نهر سيحون أو Jaxartes ولكنه في خدمة أمير الخزر (Khazar) على نهر الفولجا ، التي فر منها وأخذ يلتمس حظه فيما وراء النهر ، كما فعل بعض أفراد عائلته في خراسان . حتى اذا حازوا شهرة عظيمة ، تمكنوا في النهاية ، بفضل انضمام العديد من القبائل التركمانية الى رايتهم ، من تأسيس دولة ذات سيادة ، تعد من ناحية الاتساع ، امبراطورية ، مقر حكمها الرئيسي فارس . وتمكن فرع آخر منهم ، حوالي عام ١٠٨٠ ، من اغتصاب ولايات آسيا الصغرى البديعة من قبضة الأباطرة اليونانيين وكونوا المملكة التي نتحدث عنها الآن . وكثيراً ما شق الأمراء المسيحيون طريقهم من خلال ممتلكاتها عنوة ومزارا متكررة اثناء تقدمهم الى الأراضي المقدسة ، ويقدر المؤرخون عدد من هلكوا في هذه الحروب التمهيدية بما لا يقل عن ستمائة ألف رجل . وأخيراً خضعت قوة السلاجقة للنفوذ الجارف لأسرة جنكيزخان ، حتى لقد أصبحوا في عهد مؤلفنا مجردين من كل أهمية . ولكن قامت من بين أنقاضهم امبراطورية العثمانيين ، التي كان مؤسسها تابعاً لأحد أواخر سلاطين أيكونيوم ( قونية ) .

(٢) لا يزال التتار التركمان يحافظون الى يومنا هذا ، على عاداتهم الرعوية القديمة ، حتى في آسيا الصغرى نفسها ، كما أن التمايز بين

قبائلهم لا يزال قائما ايضا . وتلقى سلالة الحصان ، التركي « التقدير بكل أرجاء الشرق لما تقصف به من ذكاء وحيوية وقوة احتمال .

(٢) يقول قاموس المتراجم (The Biographical Dictionary) لقي بليز ، أسقف سياستا ، إحدى مدن كبادوكيا في القرنين الثاني والثالث ، مصرعه في عهد الامبراطور ( دقلديانوس ، يقطع الراس ، بعد أن ضرب بالسياط ومزق لحمه بأمشاط الحديد . . ومن العسير تحديد كيف أصبح اختراع ( تمشيط الصوف ) ينسب اليه . ولكن لمعه شيء ليس له تعليل أحسن من ظرف تعذيبه بالآلات المستخدمة في تمشيط الصوف ) .

(٤) ان أسرة هولاكو والقبائل التي تبعت رايته من الشمال ، هم الذين يلقبهم مؤلفنا على الدوام باسم القطار الشرقيين ، تمييزاً لهم عن سلالة باتو ، الذين كانوا يقيمون قرب الفولجا ، على الجانب الشمالي الغربي من بحر قزوين ثم بسطوا فتوحاتهم نحو أوروبا . على حين دخل الأول فارس من الناحية الشرقية عن طريق ما وراء النهر وخراسان .

## ❦ هوامش الفصل الرابع

(١) ان أرزنجان أو كما يكتتبها العرب الذين ليس لديهم الجيم الفارسية أرزنجان ، مدينة تقع قرب حدود رومية ، ولكنها تقع داخل حدود أرمينية الكبرى مباشرة . يقول ده هربيلوه : « ان هذه المدينة تتبع على الأصح بلاد أرمينية ، واستولى عليها المغول أو التتار فى عام ٦٤٠ للهجرة ( ١٢٤٢ الميلادية ) بعد هزيمة قايقسرو بن علاء الدين السجوقى ، كما استولوا على مدينتى سياسته وقيصرية » . ويقول عنها أحد الجغرافيين العرب :

*Oppidum celeberrimum, elegand, amoenum, copiosum bonis rebus, incolisque opertinens ad*

ويتحدث جوزافات بربارو ، أحد البنادقة ، وقد سافر الى فارس فى القرن الخامس عشر ، عن مدينة اسمها أرسنجان ، قائلا انها مكان كان له من الماضى شأن عظيم ، ولكن معظمها كان آنئذ متهدما .

(٢) ان اسم ذرع من القماش الذى ترجمته هنا باسم «بمبازين» ورد فى نسخة راموسيو الايطالية *bochassinidi bambagio* كما ورد فى الترجمات اللاتينية *buchiraonus buchyramisand bucaramus* ولا توضح معاجمنا مصادره ولا تكوينه . ويعرف معجم *Cotgrave* المطبوع فى ١٦١١ البوكاسين *buccasin* بأنه نوع من البركيرام الرقيق ، كان يشبه التافتاه ( الديباج ) ويستخدم كثيرا فى تبطين الثياب ، ويشبه كذلك نسيج كاليمانكو . ولكن هذا ، كما هو واضح ، لا يمكن أن ينطبق على صناعة البومباجيو أو القطن . كما أن معجمى *Vocabolaria della cruscà, Glossary* يتحدثان عن « البوشيرام » و « البوشيرام بامباجينو » وكلاهما يشير الى أنه تنقل عن مؤلفنا استخدام هذه الكلمة . وجميع الأمثلة تحمل فكرة قماش قطنى رفيع وأبيض وناعم ، وهو عكس ما يسمى الآن بوكرام . وتحدث النسخة اللاتينية المبكرة عن البوكرام والبمباتشى بأنهما شيئان مختلفان .

(٣) توجد الحمامات الساخنة الطبيعية بأجزاء كثيرة من آسيا الصغرى ، وبخاصة قرب أنكيره ، وهى أنقره فى العصر الحديث ، ولا يزال الناس يرتادونها كثيرا . ويشار الى موقعها بكلمة *Thermae* فى خريطة رنل الموضحة « لتراجع العشرة آلاف » .



ويتحدث عنها كذلك أهالى تفليس ببلاد الكرج ( جورجيا ) على أنى لم  
أستطع أن أجد أية إشارة الى وجودها بمدينة أرزنجان فى أعمال  
الجغرافيين الشرقيين .

(٤) ان أرجيرون أو أرجوزون ، هى تحريف للفظه أرضروم . أو  
أرزوم ، أو أرض الروم ، وهو اسم مميز أطلق على مدينة تسمى أرزن ،  
بوصفها آخر مكان منيع فى ذلك الاتجاه ، يتبع امبراطورية الروم .  
يقول أبو الفداء فى كتابه : « المختصر فى تاريخ البشر » :  
« Arzerrûm est extremus finis regionum Rumacorum ab oriente. In  
ejus orientali et septentrionali latere est fons Euphratis ».

(٥) ان دارزين التى وردت فى الطبعة اللاتينية الأقدم أرزيو ،  
وفى الملخصات الايطالية أرتشيرى وأرزييرى ، هى المدينة التى تسمى  
الآن باسم أرجيس ، والتى تقع على حافة بحيرة فان ، وكانت تسمى  
قديمًا أرسسا بالوس . يقول ماكدونالد كنيار : « أرجيش مدينة تحوى  
سنة آلاف نسمة ، وتقع على الجانب الشمالى الغربى للبحيرة ، على  
مسيرة ثلاثة أيام من فان . وفى البحيرة أربع جزر ، يوجد على واحدة  
منها دير أرمنى ، وثلاثمائة قسيس » انظر

Memoir of the Persian Emp.

ص ٣٢٨ و ٣٢٩ . ولعلنا نلاحظ أن هذه الأماكن كانت تقع فى طريق  
عودة مؤلفنا من توريس ( تبريز ) الى ترابيزون .

(٦) تقع باببيرث ( وهى باببيرث فى خرائط دانفيل ورنل ) بين  
الجبال ، فى اتجاه شمالى من أرضروم ، ولما كانت كلمة بيرت Pur  
معناها فى الأرمينية قلعة ، ولما كان الجغرافيون العرب مضطرين لعدم  
وجود حرف الـ ا الفارسية فى لغتهم أن يستبدلوا به حرف الباء العربى  
فان الراجح ان النطق والهجاء الأول بالباء الفارسية هو الأصح .  
ويلحظ جوزافات باربارو هذه القلعة على نحو خاص ويقول عنها :  
Partendo d'essa (Trabisonda)

Pen ander à Thauris ... il primo luogo notabile che si trova, è  
uno castello in piano in una valle d'ognitorno circondata monti.

انظر : Viaggio in Persia ص ٤٨ طبعة ١٥٤٥ .

(٧) مع أن هذا المنجم بالذات ربما يكون استنفد ، فان من  
المعروف أن بهذا الجزء من أرمينية مناجم للفضة .

(٨) ان جبل أرمينية ( وهو المسمى أارات فى الكتاب المقدس ) ،  
والذى استوت عليه سفينة نوح فيما يعتقد مسيحيو تلك البلاد ، موجود غير  
بعيد من مدينة أريفان أو اروان . ولكن المسلمين يرون أن استواء

الفاك تم في موقع آخر . يقول ده هربيلوه : « الرأى الشائع بين الشرقيين هو أن فلك نوح استوت على جبل الجودى (Gioudi) وهو أحد قمم جبل طوروس أو جورديوس ببلاد أرمينية ، ويؤيد هذه الرواية بتلك البلاد كثير من كتب التاريخ التى تقترب كثيرا من الأسطورة . يقول ابن حوقل ان الجودى جبل قرب نصيبين . ويقال ان فلك نوح ( عايه السلام ) ، استوت على قمة هذا الجبل . ترجمة أوستلى ص ٦٠ . ويلاحظ الماچور رنل أن الجودى جزء من جبال الكردوش ، التى تقع قبالة جزيرة ابن عمر ، وأن الدراويش يحتفظون بنار مشتعلة هناك ، تكريما لنوح وفلكه .

(٩) ويلحظ موسى الخوارزمى فى كتابه « صورة الأرض » هذه الخصوبة للأرض المجاورة للجبال فيقول :  
Habet antem Araratia montes atque omnem foecunditatem .  
انظر : Geographia ص ٢٦١ .

(١٠) ان ينابيع البترول أو الزيت الأرضى ( أو الصخرى ) ، توجد بأصقاع كثيرة من العالم . والنبع أو العين التى يدور حولها الحديث هنا هى نبع باكو فى شرفان على ساحل بحر قزوين . يقول جون كارترايت ، فيما يسمى (Freacher's Travels) برحلات الواعظ : يقع بالقرب من هذا المكان ينبوع عجيب ومدهش جدا تحت الأرض ، تنبع منه وتخرج كمية مدهشة من الزيت الأسود ، تشعله جميع أجزاء فارس فى بيوتها وهم يحملونه عادة فى جميع أرجاء البلاد على ظهور البقر والحمير ، التى كثيرا ما نلتقى بها فى أسراب مجتمعة عدتها ثلاثمئة أو أربعمئة . انظر Oxford Coll. of Voyages مج ١ ( ف ٧ ) ص ٧٣١ . ويتحدث استراهلندرج عن هذا النبع على أنه نبع نפט أبيض (Naphtha) ويميز بينه وبين النوع الأسود من البيتومين ( القار ) ، على أن أحسن بيان عن كل من النفط الأبيض والأسود بتلك الناحية هو الذى يقدمه كاسميفر فى كتابه Amoenitates Exoticae ص ٢٧٤ - ٨١ .

## ● هوامش الفصل الخامس

(١) يقصد بزورزانيا مملكة الكرج أو جورجيا ، التي تتأخض أرمينية تماما وكانت عاصمتها هي تفليس ، وابدال الجيم المعطشة « زايا » من خصائص اللهجة البندقية القديمة ، وهي اللهجة التي من المفهوم أن النسخة الأصلية لعمل مؤلفنا كتبت بها ، كما أن طريقة الهجاء بقيت محتفظا بها في بعض الترجمات اللاتينية وكذا الإيطالية العامية . والذي ورد في النص اللاتيني المبكر هو جورجيا ( بالجيم المعطشة ) .

(٢) كثيرا ما يرد اسم دافيد أو دافيت ( داود ) بين قوائم الملوك الذين حكموا في جورجيا ، إذ أن ميل هؤلاء الناس الى ذلك الاسم ، يمتد في أعماق التاريخ آمادا بعيدة جدا . فليس عجيبا إذن أن يظن رحالة أن أسماء ملوك الكرج هي داود على الدوام . ويدل لقب « ملك » أن معلومات مؤلفنا مستقاة من العرب أو المغول الذين من الطبيعي أن يتبدلوا منه اللقب الوطني مبيه Meppe .

(٣) كان بحر قزوين ، الذي يطلق عليه كتاب الشرق اسم بحر الخزر ، يسمى أيضا عند الفرس بحر باكوا ، وبهذا الاسم نفسه (Mardi Bachan) يبدو في الخرائط جميعا حتى إحدى طبعات بطليموس الجغرافي التي طبعت بالبندقية في ١٥٦٢ . وهو يستمد تلك التسمية من مدينة وميناء باكوا الشهير الواقعة عند ساحله الجنوبي الغربي .

(٤) يشير هذا الى فتح فارس وتخريبها التام بجيوش جنكيز خان ، قرب عام ١٢٢١ . فأما الجزر ، التي لا يستبعد أن عددا من السكان التمساء فروا اليها التماسا للسلامة ، فإنها خالية من السكان في الزمن الحاضر ، أو لا يرتادها الا صائدو الأسماك دون غيرهم .

(٥) كانت مصايد الأسماك في بحر قزوين ، وبخاصة حول مصبات الفولجا ، بالغة الأهمية في جميع الأعصر . يقول البروفسور هـ. بروس : « يعد الحفش ، بين الأضرب الوفيرة العدد من الأسماك ، التي يمتلئ بها ذلك النهر ، من الأنواع الجسيمة الوفرة حقا ، وبيضه



( أو بطارخه ) يعطينا ما يسميه الروس ايكارى وتسميه نحن كافيار ، وكذلك البلوجا ، أو الدلفين الأبيض ( وهو ضرب أبيض من المحفش الرئيسى ) فانه أيضا يستحق أن يذكر ، وكل واحدة منها تتراوح بين خمسة أو ستة أقدام فى الطول ، كما أن سمكها وتخاننتها ضخمة بنفس النسبة . فضلا عن هذين الصنفين ، يصاد منه أيضا سمك الأوسوترين ( ujosO ) وهو سمك آخر بالغ الضخامة ، شديد السمنة واللذة . ويزخر ذلك النهر أيضا بالسلمون ، والحفيش أو الاسترلتز ، وهو لذيق للغاية ، وذلك فضلا عن أنواع أخرى لا حصر لها قد يكون فى ذكرها املال . انظر (Memoirs) ص ٢٢٦ . وتستوعى البلوجا نظير استراهلنبرج كذاك حيث يصفها بأنها « أضخم سمكة نهريّة فى العالم يمكن أكلها ، ويذكر انه شاهد واحدة طولها ستة وخمسة قسما ومحيطها ثمانية عشر » . ص ٣٣٧ .

(٦) يقتصر الرحالة المحدثون على مجرد تعداد شجيرة البقس بين المنتجات النباتية للبلاد ، دون اشارة الى غلبة انتشارها ، ولكن امبروجو كانتارنيو ، الذى قام بأسفاره فى القرن الخامس عشر ، لاحظها ملاحظة خاصة أكثر « Eva indetta pirura » حيث يقل عن منجر : « di molti arbori in medo di bussi, ma molto maggiori » ص ٦٥ ، ١٢ .

(٧) يمكن أن يفهم من هذه الرواية التاريخية المدعاة أنهم كانوا يعتبرون أو يتظاهرون بأنهم يعتبرون فرعا من الأسرة الامبراطورية بالقسطنطينية ، التى كانت تضع النسر الرومانى بين شاراتها .

(٨) ذلك هو الممر المشهور الممتد بين سفح جبل القوقاز ( كاوكاسوس ) وبحر قزوين ، الذى تقوم فيه مدينة ريند الصغيرة والحصينة أيضا ، التى يسميها العرب « باب الأبواب » ويسميها الترك « Demir Capi » أى باب الحديد . ويسميها الفرس « درباندا » ، أى « الحاجز » بين جورجيا وبين ولاية شيروان الفارسية يقول البروفسور هـ . بروس : « ان الاهالى بعامة يعتقدون أن مدينة دربنت بناها الاسكندر الأكبر ، وان السور الطويل الذى كان يمتد الى البوكسين ( الأسود ) انما بنى بأمره لمنع اغارات الاسكيثيين على فارس » . - انظر Memoirs ص ٢٨٤ . ويقال ان السور رُممه يزدجرد الثانى من الأسرة الساسانية ، وقد حكم قزب منتصف القرن الخامس ، كما رُممه أنوشروان ، من نفس الأسرة ، وهو الذى توفى فى ٥٧٩ م .

(٩) ان الملاحظات التى لدينا توجه عام عن الشعب المسمى بالكزمانى أو الكومانيين انما هي ملاحظات غامضة ومبهمة . على

انه يبدو مع ذلك انهم كانوا فى أثناء القرن الثالث عشر هم سكان الأقاليم التى تقع على الجانب الشمالى الغربى من بحر قزوين . وتمتد من الفولجا نحو اليوكسين وقد أخضعهم فيما بعد وحل محلهم فى ارضهم القتر القيشاقى . يقول جبون : « ان الكونانيين كانوا قبيلة تترية أو تركمانية عسكرت فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر على حافة مولدافيا . وكان معظمهم من الوثنيين ، ولكن بعضهم كانوا مسلمين ، واعتنقت القبيلة بأكملها المسيحية فى ( ١٢٧٠ للميلاد ) عنى يد لويس ملك هنغاريا ( المجر ) » .

(١٠) اشتهرت بعض ولايات جورجيا وأرمينية وما جاورهما من أجزاء فارس ، فى كل العصور ، بتربية دودة القز والاتجار فى الحرير .

(١١) لست أدرى أى أنواع النسور هو المقصود هنا ، ولا نحن نستطيع أن نتأكد من صحة هجاء كلمة أفيجى . على أن شهرة الأقليم بطيور من هذا الصنف ، شئ يبدو من كتابات كثير من الرحالة . فعندما وصل شاردان الى منجريليا ، وجد أن الضرورة تحتم عليه مخادعة الترك ، بادعائه أنه تاجر ، غرضه من زيارة البلاد هو الحصول على الطيور الكاسرة لبيعها فى السوق الأوربية .

(١٢) لم أتمكن من العثور داخل حدود جورجيا ذاتها ، على هذه البحيرة الملحة الكبيرة المسماة جيلوتشالات . ولكن يقف على جزيرة فى البحيرة الواقعة قرب اريفان ، ويسمونها دانفيل باسم غوق شا أى الماء الأزرق ، دير عتيق جداً ينبئنا شاردان بأنه أنشئ قبل زمانه بستمئة عام ، أى فى القرن الحادى عشر ، ولا بد تبعاً لذلك أن يكون موجوداً فى أيام مؤلفنا ، ولكن مياهها توصف - من جهة أخرى - بأنها عذبة وحلوة ، كما أنها تفصلها عن جورجيا سلسلة من الجبال . وهناك أسباب أقوى تدعو الى الظن بأنها هى البحيرة المسماة الآن فان أو وان ، وكانت تسمى أرجش فيما مضى ، وان كانت بحيرة فان هذه تقع أبعد من ذلك فى داخل حدود أرمينية . وكانت تقع الى جوارها مدينة أوتيت بعض الشهرة تسمى خلط وأخلط . ويصف أبو الفداء محيطها بأنه يستغرق مسيرة أربعة أيام ، ويقول انها تشتهر بنوع خاص من السمك يسمى الشرفاج ، الذى يقال انه يشابه الرنجة .

(١٣) يطلق العرب والترك اسم ايتول على نهر الفولجا ، وقد حُرف هنا الى هرديل . وهذا النهر يأتى ، حسبما يروى ابن حوقل ، من بلاد الروس والبلغار ، ويقال انه يصبح فى الفصل الذى تتجمع فيه مياهه ، أعظم من نهر جيحون حيث يندفع الى البحر زاخراً فياضاً .

حتى ليبدو كأنهما يغزو مياه قزوين . انظر ترجمة أوسلى ص ٠ ص ١٨٥  
- ٧ . على أن أسماء ، جيحون أو أوكسوس ، ( أو مأوراريا ) وكور  
ز كزوس ، وآراز و أراكسس ، لا تحتاج الى تعليق خاص .

(١٤) نظرا لأن ولاية غلان ( التي تسمى أيضا الغيل ) ، على بحر  
قزوين . تشتهر بتجاريتها في الحرير ، فاننا لا نكاد نشك في أن هذه  
الكلمة « الغلى » إنما هي اسم أطلق على السلعة لهذا السبب . وذلك  
شأن الفلورنتين وهو ضرب من الحرير حيث استقى أى يمكن أن يفرض  
أنه استقى اسمه من فلورنسا . ويذكر نيپور حرير غيلان الأحمر ، كما  
أن ألفنستون اذ يتحدث عن تجارة كابول مع فارس يقول : « ان الواردات  
هي حرير غليون ورشت الخام ، والانسجة الحريرية المصنوعة في يزد  
وكاشون » ص ٢٩٥ .

(١٥) عن بيان خاص عن مدينة تفليس ، عاصمة جورجيا ، انظر  
شاردان ، ص ٢٢٠ ع . مع اللوحة . على أن طريق مؤلفنا من تبريز  
الى ترابيزون لم يحمله الى هذه المدينة ، وهناك أسباب تدعو الى استنتاج  
أن القدر القليل الذى يقوله عنها مستقى عن آخرين .

(١٦) كانت هذه المدينة في زمن شاردان تحوى أربع عشرة كنيسة،  
منها ست تابعة للمسيحيين الكرجيين ، وثمان للأرمنيين . ونظرا لأنها  
كانت خاضعة آنذاك للحكم الفارسى ، فقد بذلت محاولات كثيرة لتشييد  
المساجد بها ولكنها أخفقت جميعا ، حيث لم يفت السكان مرة واحدة  
أن يهدموا المبنى .

(١٧) ينبغى أن يفهم هنا أن المقصود بملك المتتار ( المغول ) هو  
سليل هولاكو ، الذى كان يحكم فارس والأقاليم المجاورة ، - وليس  
المقصود هو الخان الأعظم .



## سوامش الفصل السادس

(١) تقع مدينة الموصل ( بضم الميم ) أو الموصل بفتح الميم وسكون الواو طبقا للنطق العربى ، وكانت فيما مضى عاصمة أرض الجزيرة وهى الآن فى الولاية ( الباشاليك ) التركية التى تحمل اسمها ، على الضفة اليمنى أو الغربية لنهر دجلة ، تلقاء الموقع القديم لينينوى البائدة ، التى تتصل بها بجسر من الزوارق . ويصفها أبو الفداء وجميع الجغرافيين الشرقيين بأنها من أهم وأبرز المدن الواقعة تحت الحكم الاسلامى . ومع ان مؤلفنا يدعوها بالولاية فقد يتبادر الى الذهن أنه انما يصفها على الأغلب باعتبارها مدينة ، ولكن المنطقة ذاتها يسميها العرب ديار الموصل وديار الجزيرة أيضا .

(٢) معظم السكان فى هذه الأيام من العرب ، كما أن العربية هى وسيلة التفاهم بعامة بين الأهالى ، مهما يكن أصل قوميتهم أو ديانتهم .

(٣) لا شك أن هذه الكلمة ، التى كتبت فى بعض النسخ جاكوليش ، انما تعد مثلا صارخا على درجة التحريف التى تعرض لها نص مؤلفنا لسوء الحظ ، إذ أنها ليست سوى لقب « كاثولييكوس » أو الجاثاليق الذى يعرف به بطاركة الكنيسة اليونانية فى جورجيا وأرمينية . ولم أستطع التحقق من مدى امتداد دائرة سلطاتهم ، ولكن علينا أن نفترض أنها تضم جميع المجتمعات التابعة لنفس الملة حيثما حلت . ويشير شاردان الى جاثاليق جورجيا أو بطريقها ، الذى كان فى الوقت نفسه شقيقا لأمير البلاد المسلم .

« Mussole e mussolino, sorta di tela bambagina, così detta dal nome del paese dove per lo più si fabbrica ».

(٤) هنا يتم بطريقة مرضية ايضاح الأصل فى لفظة « الموسلين » فى اللغة الفرنسية وفى الايطالية ( التى منها اقتبست الألفاظ الأخرى ) .

على أن مؤلفنا ، ان لم يسم ناشروه عرض ما قصد اليه من معنى . يضم تحت تلك التسمية سلعا تختلف طبيعتها اختلافا بعيدا عن المعنى الذى نطلق عليه ذلك الاسم . على أنه ليس من المستبعد أن مدينة الموصل ، وكانت فى ذلك الوقت من أكبر مستودعات التجارة الشرقية ، كما كانت فى حد ذاتها مستقرا لصناعة ضخمة ، وربما

المتوسط ، وأن جرى فى عهد تالية أن كلمة الموسلين كانت تطلق بوجه  
اضفت اسمها على منتجات كثيرة للنول وتحمل من هناك الى البحر  
قاطع على النسيج الهندي الذائع الصيت أو على تقليداته . وعندما  
يخبرنا ايفز فى بيانه عن رحلته أن : « صناعة هذه المدينة هى الموسلين  
( أو الموصلى ) ، ( وهو قماش من القطن ) ، يصنعونه شديد المتانة  
بالغ النعومة ويبيعونه للأسواق الأوربية وغيرها ، « فإن من الجلى انه  
لا يصف قماشاً له ذلك القوام الرقيق أو الشفيف الذى نسميه بالموسلين،  
وانما هو يصف على الأصح ذلك النسيج الذى حصل عندنا على اسم  
الكاليكو ( أى البفتة أو الذبلان على اسم مدينة فاليقوت بالهند  
( الشرقية ) .

(٥) ان كردستان ، التى كانت تؤلف الجزء الشمالى من بلاد  
أشور القديمة ، منطقة جبلية تقع الى الشرق من نهر دجلة وراء أقاليم  
الموصل ونصيبين وماردين مباشرة وتتكلم أغلبية السكان بلهجة  
فارسية محرفة ، وأن ماثلوا فى عاداتهم وأحوالهم البدو الأعراب ، كما  
يشبهونهم فى ممارسة سلب القوافل التى ليست لها حراسة كافية .  
وينعتهم كارترايت بأنهم « شعب لص سراق الى أقصى حد » ، وتتفق  
جميع بيانات كل من أعقبه من الرحالة فى وصفهم بأنهم نهابون محترفون،  
وهو وضع اجتماعهم ينجم عن موقعهم المحلى ، وذلك نظراً لأنه منطقة  
جبلية لا بد للرحالة بالضرورة من اختراقها فى عبورهم من اقليم غنى  
الى آخر . ويبدو أن أهم السلع التجارية بتلك البلاد هى العفصة  
الجوزية gall-nuus ، ( الناتئة على شجر البيلوط ) . والقطن ونوع  
من الحوير يسمى كاس أوقز يصفه نيبور بأنه ينمو على الأشجار .  
( انظر ص ٢٦٨ II Voyage, tom ٧ .

(٦) عن بيان عن ساردين ، وهى مدينة بأرض الجزيرة ، بناحية  
ديار ربيعة ، انظر رحلة نيبور . وهو يتحدث عن صناعات الكتان  
والقطن بها . فأما موش ( بالشين الثلاثة ) ، فمدينة على حدود كردستان  
وأرمينية ، بين بدليس والفرات فى الجزء الأعلى من مجراه .

## ● هوامش الفصل السابع

(١) شيد الخليفة أبو جعفر المنصور ثانی الخلفاء العباسيين مدينة بغداد في قریب من عام ٧٦٥ ، وظلت مستقراً لحكم خلفائه الى يوم وفاة آخر خليفة من تلك الأسرة ، في عام ١٢٥٨ عندما وقعت تحت سلطان المغول .

(٢) هذا النهر هو Tigris الذي يسميه العرب دجلة الذي يصب في نهر الفرات ، وعند ذلك يكتسب مجراها المتحد اسم شط العرب ، ويصبان مياههما في الخليج الفارسي . ومدينة بغداد العصرية تقوم على الضفة الشرقية وتتصل بالضاحية القائمة على الضفة الغربية للنهر بجسر من الزوارق . ولكن توجد في ذلك الجانب أيضا خرائب المباني التي كانت قائمة بالمدينة القديمة سقر حكم الخلفاء . واذن يكون مؤلفنا على صواب حين يصفها بأن النهر يشطرها شطرين في زمانه . ويتحدث عنها أبو الفداء بأنها تشغل جانبي نهر دجلة كليهما .

(٣) ان كيسى أو تشيزى Chisi في التهجئة الايطالية ، جزيرة صغيرة على الجانب الشرقى لخليج فارس وتسمى قيس ، كانت تنقل اليها تجارة سيراف ، وهي ميناء على أرض القارة المجاورة للجزيرة ، ولها شهرة كبيرة عند الجغرافيين الشرقيين ، وكان ذلك النقل راجعاً ، كما هو واضح ، الى الحروب الناشئة بتلك النواحي والكوارث التي يقاسيها التجار . وليست هناك أية آثار تدل على الموقع المضبوط لمدينة سيراف هذه .

(٤) ان بالمسارا ، والاشيع أن تكتب بلسورا ، ولكن صحتها هي البصرة ، انما هي مدينة ذات أهمية تجارية مهمة ، تقع على الجانب الجنوبي الغربى لشط العرب ، في منتصف المسافة تقريباً بين ملتقى الدجلة والفرات ، والخليج الفارسي . وهي تقع نتيجة لهذا في طريق من يبحرون من بغداد الى جزيرة كيس ( كما يلاحظ مؤلفنا ) .



(٥) ربما جاز لنا أن نشقيه في أن يكون المقصود بدلا من كلمة « Tappeti » أي القطيفة هو كلمة Velluti أي البسط والسجاجيد، وهي أشياء اشتهرت فارس بصناعتها على الدوام . أما فيما يتعلق بصور الحيوانات فان مسلمي الشيعة لم يظهروا نحوها - مثلما عرف عن أهل السنة - ، أي تشدد في تحريم تمثيل الحيوان والطير بالصور في أعمالهم الزخرفية .

## ● هوامش الفصل الثامن

(١) تولى المستعصم بالله ، آخر خلفاء بني العباس ، مقاليد الحكم في ١٢٤٢ ، وأعدم في ١٢٥٨ . كان أميراً ضعيفاً كسولاً فاسقاً ، كما أنه كان شحيحاً كذلك ، أهمل شئون الحكم ، وتركها في يدى وزير شرير ، انتهى به الأمر الى أن خانته وأسلمه الى عدوه اللدود .

(٢) ورد هذا التاريخ فى النسخة اللاتينية القديمة . على أن مارسدن يرى أنه ١٢٥٠ ، ولكنه يضيف أنه طبقاً لما أورده أصح المؤرخين الشرقيين رواية ، فإن هولاكو لم يكن حتى سنة ١٢٥٥ ( ويسميه هايتون هاؤلانوس أو هاؤللو ، ويدعوه البروفسور جويل هولايو ، ومؤلفنا أولاءو ) قد عبر نهراً بعد نهر جيحون ( أموداريا ) ( OXUS ) وفى ١٢٥٦ طالب المستعصم بمساعدته فى القضاء على الاسماعيلية ، وفى ١٢٥٨ استولى على بغداد . وان البروفسور جويل ليعمد ، استناداً الى الحوليات الصينية ، الى ارجاع تلك الحادثة الى ١٢٥٧ .

(٣) ان هذه المعجزة المدعاة مفصلة هنا تفصيلاً أدق منها فى الترجمات الأخرى كما أن النسخة اللاتينية تذكر أنها حدثت فى توريس ( تبريز ) ، وليس فى بغداد وان لم يستقم ذلك مع حضور الخليفة . ( والنسخة اللاتينية القديمة تذكر أنها حدثت فى ١٢٧٥ ، وبين بلداش والموصل ، . وتتفق معها النسخة الفرنسية ) .

## ❁ هوامش الفصل التاسع

(١) تقع مدينة توريس التي ينطق اسمها الفرس وغيرهم من الشرقيين « تبريز » ، فى ولاية أزرنجان التي تتاخم ولاية الجبل أو العراق الفارسي ، وكانت تشكل معها مملكة الميديين القديمة . وظلت على امتداد العصور مركزاً ذا أهمية كبيرة . وعندما غزا المغول فارس قرب عام ١٢٥٥ ، أصبحت المقر الرئيسى لهولاكو وسلالته حتى يوم انشاء مدينة السلطانية ، عن بداية القرن الرابع عشر .

(٢) ليست كريميسور التي تكتب أحياناً كريموسور أو كورموزا أو كرىموز أو كرموز سوى مدينة أرمز أو هرمز الشهيرة التي كان القدماء يسمونها هارموزا ، والواقعة عند مدخل الخليج الفارسي . وسترد مناسبات أخرى للحديث التفصيلي عنها فيما بعد . ان بلداش كما رأينا آنفاً ، هى مدينة بغداد .

(٣) يذكر شاردان سوقاً ( بازار بالفارسية ) معينة ( هى « أجمل الأسواق » ) تباع فيها الجواهر و سلع أخرى لها قيمة بالغة النفاسة . ويبدو أن اللؤلؤ ، المستخرج من مصايد سيلان والبحرين بخليج فارس جميعاً ، كان ينقل أولاً الى بغداد حيث يتم صقله وثقبه ، ثم ينقل منها الى غيرها من أسواق آسيا وأوربا ، وبخاصة القسطنطينية .

(٤) لابد أن هؤلاء الفرس ، مميزين عن المسلمين ، كانوا السكان الأصليين لبلاد فارس (Farsistan) الذين احتفظوا بدين زرادشت القديم (Zoroastrianism) وكانت أهم خصيصة لذلك الدين عبادة النار ، وهم الذين نسميهم ( فى حالة اغترابهم العصرية عن وطنهم ) باسم الفارسيين . وهم يؤلفون فى زماننا هذا أغنى وأذكى طبقة من السكان الوطنيين الذين يعيشون تحت الحماية الانجليزية فى بمبائى .

(٥) يمتدح أبو القداء حدائقها ، كما أن وفرة فواكهها وتعدد أنواعها استرعت نظر شاردان .



(٦) أى القطار المغوليون ، سادتهم الجدد •

(٧) ينبغى أن يفهم أن المقصود بذلك هو بلاد فارس الأصلية ،  
وهى فارسستان ، التى كانت مدينة برسيبوليس ( اصطخر بالعربية )  
عاصمتها القديمة ، مثلما ان سيرانى هى العاصمة الجديدة ، ولكن يرجح  
أنه يعنى المسافة بين تبريز وكاسبين ( قزوین ) التى يتحدث عنها فى  
الفصل التالى على أنها أول مدينة ترى عند الدخول الى فارس •

## ● هوامش الفصل العاشر

- (١) لا شك أن هذا القديس هو القديس بارسيمايوس أسقف الرها (Edessa) في القرن الثاني .

## ● هوامش الفصل الحادى عشر

(١) لا شك أن قصة المجوس هذه ذات أصل شرقى ، وذلك لأنها لا تتفق والأساطير الفريية . والاسم يكتب فى مخطوطات اخرى : كالاساتا برينستا . ومن البين ان فكرة بئر أشعلته نار سماوية مؤسسة على وجود آبار أو كهوف مشتعلة بأجزاء مختلفة من آسيا ، وبخاصة بجوار باكو قرب بحر قزوين ، وعلى ساحل كرمانيا ، حيث شهدا المكابتن بوفورت . ولكن اسم المكان يقدم للعالم بالدراسات الفارسية أقسوى محك للصدق اذ لا بد له أن يدرك أن كلمات كاساتا برينستا ، انما يقصد بها كالات برستان أو ربما كالا اتيش برستان ، ومعناها الحرقى هو « قلعة عبدة النار » . أما اسم سايا أو صبا التى من المحقق أنه لا يكتشف بين مدن فارس ، فربما ظن أن له علاقة ما بمبادئ الصابئة والصباية ، وهو المذهب القريب للاتصال بمذاهب الجوبرية أو الجهرية ( وهم البقية الباقية من عبدة النار بفارس ) .



## ● هوامش الفصل الثانى عشر

(١) من المفهوم فى الاستخدام العادى لهذه المصطلحات أن المملكة تتألف من ولايات ، ولكن الذى حدث عند تقسيم الامبراطورية الهائلة التى ورثها أحفاد جنكيز خان ، أن الولاية المعطاة ( اقطاعا ) لكل من أبنائه أو أحفاده تشمل ما كان قبل فتوحه ، ممالك مستقلة .

(٢) عند دخول العراق الفارسية من ناحية تبريز ، فإن أول مدينة عظيمة هى قزوین ( اذ لم تكن السلطانية بنيت بعد ) ، وهى مدينة ظلت فى آناء كثيرة من تاريخها مقراً لحكم الملوك . ان مؤلفنا فى تعداد هذه الممالك الثمانية يلجأ أحيانا الى ايراد اسم العاصمة ، كما فى هذه الحالة ، ويورد فى أحيان أخرى اسم الولاية أو الناحية كما هو الشأن فى الحالات التى تتبع ذلك مباشرة . ويبدو أنه دون الأسماء أو أملاها حسبما طرأت على ذاكرته ، بغير نظام ثابت وبأقل اهتمام بالترتيب .

(٣) ما كان ينبغى لنا أن نتوقع أن نجد بلاد كردستان ، التى كانت تابعة لآشور القديمة ، تذكر على أنها أحد الأجزاء المؤلفة لمملكة فارس ، وان حدث فى آناء عدة أن كثيراً من أجزائها كان يخضع لتلك المملكة . ولا هى حتى ، لو ضمت ، يمكن أن يقال انها تقع فى الجنوب . وربما أمكن مع ذلك الذهاب الى أن الناحية المقصودة هى خوزستان ( وكثيرا ما تكتب خورستان ) وهى سوسيانا القديمة ، التى تقع عند رأس الخليج الفارسى ، فهى تبعا لذلك فى جنوب قزوین ، وليس كردستان التى تقع فى الغرب . انظر أبو الفداء فى « تقويم البلدان » .

(٤) اذا كان المقصود من كردستان هو خورستان ، فالأحرى أن يمكن أن يقال ان لور أو لير تقع فى شمالها وان كانت بالنسبة لقزوین وفارس بوجه عام ، اقليما جنوبيا . يقول ده هربيلو : « ينبغى عدم الخلط بين اقليم لور واقيلم لار أو لارستان التى تمتد على طول الخليج الفارسى . فأما اقليم لور فهو جبلى ، وكان يتبع فى الزمان الماضى الولاية المسماة خوزستان وهى سوسيانا القديمة « Biblioth. Orient . »

(٥) من العسير علينا تكوين أية فكرة ظنية عن سولستان ، ولكن عثورنا على الاسم فى ترجمات أخرى ، مكتوبا سيلستان أو سيلستان

وفى الخلاصة الايطالية القديمة سيبيستان ، لا يجعل عندى أقل شك  
فى أن المقصود بها هو سيجستان ، التى تكتب أيضا سيبيستان ، وهى  
ولاية تقع فى الجهة الشرقية من فارس

(٦) ان مدينة أصبان أو أصبهان ، التى يسميها العرب أصفهان ،  
التى تقع فى الجزء الجنوبي من العراق الفارسي ، معروفة بأنها العاصمة  
الفاخرة للوك الأسرة الصفوية التى فاقت إبان حكم الشاه عباس الثانى  
فى الأبهة وسعة الرقعة معظم المدن الآسيوية . وقعت فى قبضة المغول  
فى ١٢٢١ ، ثم استولى عليها تيمور لك فى ١٢٨٧ وانهبها ودمرها  
تقريباً .

(٧) ان شيراز عاصمة ولاية فارس نفسها وكذلك أيضا عاصمة  
الامبراطورية الفارسية كلها فى بعض الفترات . معروفة هى الأخرى  
تماماً ، عن طريق أوصاف الرحالة لها ، بحيث لم يعد من الضرورى  
أن يقال فيها هنا أكثر من انها تجيء فى المرتبة الثانية بعد أصفهان  
بين المدن الملكية .

(٨) لقى هذا الاسم تحريفاً كثيراً ، فهو سونكارا فى نسخة  
راموسيو ، وسوخام فى طبعة بال ، وسنقارا فى اللاتينية الأبركر ،  
وكونكارا فى مخطوطة المتحف البريطانى ، وسونكارا ( طبقاً لراى  
مرار ) فى مخطوطة برلين ، وكوركاتا فى الخلاصات الايطالية ،  
وكورتشارا فى الترجمة الانجليزية القديمة ، وليس فى الواقع الا قورقان  
أو جورقان الذى أورده الجغرافيون الشرقيون ، كما أنه واضح الارتباط  
بمدينة هيركانيا عند الأقدمين . وموقعها عند النهاية الجنوبية الشرقية  
لبحر قزوين ، الى الشمال من سلسلة جبال دمغان وولاية قوميس أو  
كوميسين .

(٩) مهما تجاعد التشابه بين الأسماء فان تيموكاين ( التى وردت  
تيموتشايم فى نسخة بال تيماتشايم فى الطبعة اللاتينية الأقدم ) فان  
المقصود منها هو دمغان بغير شك ، عاصمة ولاية قوميس الصغيرة ،  
فى الناحية الشمالية الشرقية من فارس . على أن جوزافات بربارو ،  
سفير البندقية لدى ذلك البلاط ، يسميها تريمجيان ، كما يسميها مواطننا  
توماس هربرت ديورجومنت . على أننا نكتشف أن هذا التحريف ليس  
صادراً عنه ، وذلك لأن بيترو ولافالى فى إحدى رسائله ، يشكو من  
هذا الانتهاك وضعف التأكد اللذين يبدوان فى أسماء الأماكن :  
« Come per esempio, quel Diargument, che l'Epitome Geographica  
dice esser nome moderno de l'Hircania ».

(١٠) سبقت الإشارة الى الناحية التي أطلق عليها الشجرة الجافة ، وسيعود ذكرها بتفصيل أكثر في فصل قال .

(١١) لا شك ان امتياز نوع الخيول الفارسية ، الذى لعلها تدين به الى التهجين بين السلالتين العربية والتركية ، معروف مشهور . وقد كتب شاردان بياناً تفصيلياً عن صفاتها المقارنة ( المجلد ٢ ف ٨ ص ٢٥ ، س ٤ ، كما كتب فى ذلك مالمكولم فى Hist of Persia ع ٢ ص ٢١٦ ) . ولما كان الجنيه التورنوازى أو الليرة ( نسبة الى تور (numuds) كانت له فى القرن الرابع عشر قيمة نسبية تعادل ٢٥ الى ليرة واحدة من ليرات العصر الحاضر ، فانه يترتب على ذلك ان السعر الذى كان يباع به الحصان الفارسى ببلاد الهند كان يتراوح بين ألف وخمسمائة روبية الى ألفين .

(١٢) سبق أن أوضحنا أن كيسى أو تشيزى هذه انما هى جزيرة قيس التى كانت تنقل اليها تجارة سيراف فى داخل الخليج الفارسى . أما ميناء هرمز الشهيرة ، فستحدث عنها فى مناسبة أخرى فيما بعد .

(١٣) المقصود بالتتار الشرقيين ، هو التتار المغول ، الذين دخلوا فارس من الجانب الشرقى لبحر قزوين .

(١٤) ان ( الجروسى ) الايطالى أو الجروت كانت عملة فضية صغيرة ، اختلفت وزناً وقيمة باختلاف الأزمان .

(١٥) يقول شاردان : « لن أتكلم مطلقاً عن الجمال المطلق لنوع من النسيج مصنوع من الحرير الخالص ولا عن أقمشة الحرير المخلوط بالقطن . . ان لن أتكلم الا عما ينتجون من ديباج مقصب (Bumm) وهم يسمونه الديباج الابريزى (Perdrix) ، أى المغزول بالتصب . . وليس ثمة نسيج بهذا السعر الفادح بكل أرجاء العالم » . ( م ٢ ص ٨٦ ، ٤ من فوق ) وحين يتحدث بوتنجر عن صناعات قاشان يقول : « ان السلع الرئيسية بها هى المصنوعات النحاسية ، والبسط ، والحرائم الملونة والمنقوشة بالزهور ، والآخرى منها بديعة الجمال . وقد شربت بعضها منها مصنوعاً فى مناديل عنق ( ايشارب ) ، وهى تصنع على غرار أثمان شيلان الكشمير » . انظر : (Trav. in Beloochistan) ص ٢٤٤ .

(١٦) يزرع القمح بولايات فارس الشمالية ، كما يزرع بالجنوبية كذلك ، وان بدرجة أقل . يقول مالمكولم : « ان الشعير كثيراً ما يباع



في فارس يفارزنج واحد للارطل ، كما ان القمح في المتوسط لا يزيد عن ثمن الشعير الا بمقدار الثلث » . انظر : History of Persia مج ٢ ، ص ٥١٩

(١٧) ان طريقة اغلاء الخمر شائعة بين الشعوب الشرقية . ولكن يجوز لنا أن نرتاب مترددين بين التعليلين : فهل الدافع المسمى وهنا هو الدافع الحقيقي أم أنه لا ينبغي لنا بعبارة أخرى أن نستنتج أنهم كانوا يفضلون طعمها بعد الاغلاء . وقد ظل الفرس على الدوام أقل تدقيقا من المسلمين السنيين الآخرين ، فيما يتعلق بمعاقرة بذت الحان . ويذكر بييرو دالافالي مرسومين للشاه عباس : أحدهما يحرم احتساءها ، وهو أمر يدل على أن تلك السنة الدينية قد أخفقت دون القيام بمفعولها ، ويلغى الثاني قرار التحريم ، وذلك عندما اكتشفت أن الناس وخاصة الجند منهم استبدلوا بالخمر تركيبا سائلا من الأفيون أضر بصحتهم .

## • هوامش الفصل الثالث عشر

(١) ان يزدى هى أبعد مدينة تقع فى أقصى الشرق من ولاية فارس نفسها • ويصفها الكايتن كرسى الذى زارها فى ١٨١٠ بأنها : « مدينة بالغة الضخامة مزدحمة بالسكان ، تقع على حافة صحراء رملية ، تجاور سلسلة جبلية تمتد شرقا وغربا » • ثم يستطرد فيقول : « وهى تشتهر عند جميع التجار ، بما يتوفر للمضاربين من حماية ، وبما يعم سكانها وأمالكهم من أمن • وهى السوق العظيمة بين هندوستان وخراسان وبغداد وفارس ، كما يقال انها مكان تدور به تجارة أعظم مما فى أى مكان آخر بالامبراطورية الأخيرة » • انظر كتاب : Trav. in Beloochistan التذييل ص ٤٢١ •

(٢) ويلاحظ ده هربيلوه أن : « الاقمشة الحريرية التى يشتغلونها هناك ، والتى يسمونها فى تركيا وفارس باسم « قماش يزدى » يعود عليها بسوق شديدة الرواج » وفى مذكرات عيسد الكريم ( كشميرى « بنيانى وقائع » توفى ١٧٨٤ ) أيضا نقراً عن هدية قدمها نادر شاه الى أحد السفراء ، تتكون من خمس وعشرين قطعة من ديباج يزدى المقصب •

(٣) تسمى هذه عادة باسم صحراء كرمان •

(٤) نقراً عن حمر وحش تقدم هدايا ، ومن ثم عجائب وتحفا ، الى الشاه عباس ، وغيره من ملوك فارس • ويعلق رنل : « ان حمر الوحش التى استرعت نظر زينوفون بسرعتها ، تحمل نفس الصفة فى الوقت الحاضر • ثم ان تكزييرا فى ١٦٠٦ شاهد قطعانا منها فى الصحراء العربية ، قبالة صحراء الجزيرة مباشرة ، بنفس المنطقة التى شاهدها فيها زينوفون » • انظر Illustrations ص ١٠٠ •

(٥) تقارب المسافة بين يزد وعاصمة كرمان مائة وستين ميلا جغرافيا ، وبذلك تكون السرعة حوالى عشرين ميلا فى اليوم • بيد أن معدل سرعة السفر لقيروان ( قافلة ) خفيف ، كما استنبطه الماجور رنل ، انما هو فقط خمسة عشر ميلا الى خمسة عشر ونصف بالجمال أو سبعة عشر الى ثمانية عشر بالبغال ، وذلك فى الرحلات الطويلة • وربما أمكن حقا أن يفهم أن الصحراء وحدها ، باستثناء بعض أجزاء من الأرض المزروعة ، كانت تستغرق ثمانية أيام • وتذكر بعض المخطوطات أنها سبعة أيام •

## ● هوامش الفصل الرابع عشر

(١) ان كرمان ولاية فارسية ، تقع على الطرف الجنوبي الشرقي من تلك المملكة . ويبدو أن قصبتها تحمل نفس الاسم كجاري العادة الملاوفة ولكنها تعرف أيضا باسم سرجان ، كما ينطقها الفرس أو سرجان كما ينطقها العرب . « تقع مدينة كرمان » ، فيما يقول بوتنجر ، « على الجانب الغربي لسهل منبسط رحيب ، شديد اللصوق بالجبال ، بحيث ان اثنين منهما تقوم عليهما حطام حصون قديمة بالية ، يتحكما فيه تحكما تاما . وكانت في يوم من الأيام أشد مدن فارس ازدهارا ، كما أنها لا تفوقها في سعة الرقعة الا العصمة اصفهان وحدها . ولم تتعرض مدينة في الشرق لتقلبات الحظ أكثر من كرمان ، ولا كانت مثلها مشهدا لكثير من أشد الحروب تدميرا ، داخلية كانت أم أجنبية » . ص ٢٢٢ ، ويبدو أن مؤلفنا لم يكن يعد كرمان ، في زمانه ، جزءا مكملًا لفارس ، وذلك استنتاجا من عدم ادخاله اياها بين ممالك فارس وولاياتها الثمانية التي عددها . ونظر اليها الادريسي أيضا في هذا الضوء في القرن الثاني عشر فهو يقول : « تقع بلاد كرمان بين بلاد فارس وبلاد مكران » . ص ١٢٩ ( من الطبعة الطليانية من « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ) .

(٢) يقول شاردان : « ان اغني مناجم فارس هو منجم الفيروز . وهم يحصلون عليه من مكانين ، أولهما نيسابور في كاراسون ، وثانيهما في جبل محصور بين هركانيا وبارثيد ، على مسيرة أربعة أيام من بحر قزوين ويسمى فيروزكو » . مج ٢ ص ٢٤ ، ٤ . ويقول مالكو لم يتحدثنا عن نيسابور : « يوجد حجر الفيروز بهذه الجبال » . انظر (Hist. of Aleppo) مج ٢ ص ٢٢٠ هـ .

(٣) يقول شاردان : « توجد مناجم الحديد في هركانيا وفي ميديا الشمالية وفي اقليم البارسيس ( الفارسيس ) وفي اقليم باكتريا . وتوجد مناجم الصلب بنفس البلاد ، وتنتج مقادير كبيرة » . ص ٢٣٠ وعندئذ أخذ شاردان يصف ميزات الخاصة ، ويقارنه بصلب بلاد الهند .

(٤) لم نعثر في أي قاموس على كلمة « اندانيكو » الواردة في نسخة راموسيو ، ولا « اندانيكوم » في طبعة بال ، كما ان أحدا من المترجمين السابقين لم يحاول تأدية الكلمة بأي مصطلح يقابلها ، وانما



تركوها كما وجدوها فى نسختهم • وما كنت ، اعتمادا على أن تشابه فى صوت الكلمة ، لأتجاسر على احتمال المظن بأن المقصود منها هو « الانتيمونيو » ( المعدن المعروف بالأثمد ) ، ولكنى وقد علمت من « رحلات شاردان » أن فلز الانتيمون إنما هو أحد منتجات الأقطار الواقعة فى الجانب الشرقى من فارس ، التى يتكلم مؤلفنا عنها هنا . - اعتبر أن احتمال حدوث تحريف كهذا له بعض الوزن •

(٥) يقول بوتنجر : « قرأت فى تاريخ مخطوط عن فتح مكران ، فى السنة التسعين للهجرة ، أن كرمان كانت آنذاك مدينة شديدة الاتساع مليئة بالثروات وقد ذاعت شهرتها بروعة ما ينتج من شيلان وأسلحة » ويقول أيضا أن تجارة كرمان ، وإن كانت لا تزال ضخمة لم تنتعش قط بدرجة يمكن مقارنتها بما كانت عليه قبل الاقصاء الأخيرة لسكانها • • وتشتهر صناعات الشيلان فيها وفتيل اشعال البنادق ، والجوخ (Numuds) بكل أرجاء آسيا ، كما يقال انها تتيح فرصا للعمل أمام ما يقارب ثلث السكان ، ذكورا كانوا أم اناثا •

(٦) يقول شاردان : « ان حجل (Perdrix) فارس هى ، فيما اعتقد أضخم حجل فى العالم كما أنها من حيث الطعم ألذ من جميعا » •

(٧) كان الطريق من كرمان الى الخليج الفارسى ، الوارد وصفه هنا ، يخترق فى الراجح مدينة بام أو بوم (Bumm) ، التى تقوم قرب الحد الفاصل بين ما بعد المنطقة الباردة والمنطقة الحارة بكرمان • يقول بوتنجر : « ان مقاطعة نورمانشير ، تمتد من منطقة اليباب التى تفصلها عن بلوخستان الى مدينة بوم • • • وحدها غربا هو مقاطعة كرمان ، التى تعد الآن فيما اعتقد جزءا منها ، وحدها الشرقى هو الصحراء ، كما أسلفنا اليك ، والى الشمال والجنوب سلسلتان من الجبال ، الأخيرة منهما أعلى كثيرا من الأولى ، ويخيل الى أنها مكلفة بالثلوج فى كل الفصول ، شأنها عندما شاهدها ، وكان ذلك فى وقت اشتد فيه القيظ فى السهل الممتد أسفلها » ويبدو أن هذه هى جبال مارن التى يقول ابن حوقل : « انها تابعة للمنطقة الباردة من كرمان ، ويتساقط الثلج عليها » ،

## ● هوامش الفصل الخامس عشر

(١) ان معرفتنا بجغرافية المنطقة الممتدة بين قسبة ولاية كرمان والخليج الفارسي باللغة الضعف والنقصان ، بل انه حتى خريطة بوتنجر ، وهى أحدث ما نمتلك ، لا يظهر فيها الا اسم واحد منعزل فى تلك البقعة ، وان رصدت فيها سلاسل فى مظهر ينبنى بالدقة . ومن ثم فمن العسير تحديد المكان المقصود بكاماندو وهى فى مخطوطتى المتحف البريطانى ومتحف برلين كاماندى ، وفى الخلاصات الايطالية ( ادجاماد ) ، ولو وجدت دواع للاعتقاد بأن هذه المدينة التى فقدت أهميتها قبل زمان مؤلفنا ، لا تزال فى حيز الوجود . وربما أمكن ان تكون هى ميامون فى خريطة دانفيل ، التى يسميها ابن حوقل « ماهان » ولعلها كومين عند هذا الأخير : على أننا لا نقدم هذه الا على أنها مجرد ظنون .

(٢) واضح أن المقصود من ريوبارله ، هو رودبار ، وهو مصطلح وصفى ، ويطلق فى حالات عديدة ، على مدن أو نواح بفارس والأقطار المجاورة لها . ومعناه « نهر يجرى فى واد ومجرى أو خور أحد الميول ، وكذلك مكان تجرى فيه جداول كثيرة » ، ولقد يبدو من الظروف التى ين أيدينا ، أن الناحية التى يقال هنا انها تتجاوب وذلك النعت ، هى التى تشغل ضفاف النهر الذى يحمل فى خريطة دانفيل ومالكولم اسم ديف رود ، ولا بد من عبوره أثناء سلوك الطريق بين كرمان وهرمز .

(٣) ان تفاحة آدم اسم أطلق على الفاكهة المسماة بالأترج أو الليمون الهندى أو الجريب فروت أو ليمون كومانوس فى رأى العالم النباتى السويدى لينايوس . ولكنه ربما قصد به هنا البرتقال نفسه أى *Pomum aurantium* الذى يسميه الفرس والعرب النارج .

(٤) ربما كان هذا الاعتراض على تناول لحم اليمام ، كراهية محلية . اذ لا يبدو أنها تعد لحما نجسا عند المسلمين عامة .

(٥) ان للدراج الفرانكولىنى « *Tetrao francolinus* » الذى يعيش ببلاد المشرق الأدنى ، أرجلا ومنقارا أحمر كما جاء بالوصف أعلاه . ويسميه الدكتور رسل *francolinus olinoe* وهو المعروف لدى الفرنسيين باسم (G. Linotte) . وهو يقول ان لحمها لذيق ، ولكن

لا يلتقى المسافرون بذلك الطائر على أقل من مسيرة يوم من المدينة . انظر  
(Nat. Hist. of Aleppo)

(٦) هذا النوع من الثيران ، الذى يستخدم عادة فى سمورات  
وأماكن أخرى على الشاطئ الغربى للهند ، فى جر العربات المسماة  
« بالهاكرى » ، لعله استقدم من هناك الى المقاطعات الشرقية بفارس .  
وقد وصفه كثير من الكتاب ، كما وصفه بينور من بين أشياء أخرى  
غيره . انظر - Voyage en Arabie, etc. ، مج ٢ ص ٥٢ الجدول ١٢ .

(٧) تقطن هذه السلالة الممتازة من الغنم واسمها العلمى  
(Oris Laticandata) ، أجزاء مختلفة من آسيا وأفريقيا ، وكثيراً ما أجرى  
العلماء والرحالة وصفها . ويورد عنها كتاب :

(The Natural) البيان المهم التالى مع لوحة مصورة . يقول رسل :  
« عندهم نوعان من الغنم فى المنطقة المجاورة لحلب . أحدها يسمى غنم  
البدو ، وهو لا يختلف فى أى وجه عن أكبر أنواع الغنم ببريطانيا ،  
فيما عدا أن ذيولها أطول وأغلظ قليلاً ، والنوع الآخر هو الذى يكثر  
الرحالة من ذكره بسبب ضخامة ذيوله الخارقة ، والصنف الأخير أكثر  
عدداً بكثير من الأول . وهذا الذيل عريض جداً وشديد الضخامة وينتهى  
بذيل صغير ينقص عليه . ويكون من مادة قوامها وسط بين الشمع  
والنخاع ، ولا تؤكل وحدها وإنما تمزج باللحم الأعجم ( قليل الدهن )  
فى كثير من ألوان طعامهم ، كما أنها غالباً ما تستخدم أيضاً بدل الزيت .  
والذبيحة العادية من هذا النوع من الغنم تزن ، بغير الرأس والكوارع  
والجلد والأحشاء ، حوالى اثنى عشر أو أربعة عشر رطلاً حلياً ( وهو  
يعادل خمسة أرطال انجليزية ) والذيل وحده فيه ثلاثة أرطال أو  
ما فوقها ، ولكن أفراد أضخم السلالات والتى تسمن ، ربما بلغ وزنها  
أحياناً حوالى ثلاثين رطلاً حلياً وتزن ذبول ( لية ) هذه الأخيرة عشرة  
حلبية ( أو ما يعادل خمسين انجليزية ) ، وهو أمر لا يكاد يصدق بعض  
الناس . وهذه الأغنام الشديدة الضخامة التى تحفظ فى المناطق المحيطة  
بحلب داخل أحواش ، لا تتعرض لخطر الإضرار بذيولها . ولكنها فى  
أماكن أخرى ، حيث ترعى فى الحقول ، يضطر الرعاة الى تثبيت لوح من  
الخشب الرقيق فى الجزء السفلى من الذيل لمنع تسلخه على الشجيرات  
الصغيرة والحسك وغيرها ، كما أن بعضها تتركب له عجالات صغيرة  
لتسهيل جر ذلك اللوح وراءها . ومن هنا تنشأ مع شىء من مبالغات  
الخيال ، قصة وجود عربات وراءها لحمل ذيولها » . وعلى ذلك  
فإن أقوال شاردان حول « الأغنام ذات الذبول الضخمة » بفارس  
والتي يقول أن ذيولها تزن ثلاثين رطلاً ، تتفق تماماً مع ما ورد أعلاه .



(٨) يكثر هملتون من ذكر هذه التحصينات الطينية - فهو يقول :  
« ظهر البلوخستانيون قرب مدينة جومبرون ، في زحف سريع عليها ،  
أقزع المحاكم ( الفارسي ) كثيرا حتى انه وان وجد سور طيني مرتفع  
بينه وبينهم ، فانه امتطى جواده ولاذ بالفرار . وجاء البلوخستانيون  
أولا الى الحى الغربى من المدينة ، الذى يقوم به مصنعنا وسرعان  
ما أحدثوا ممرات فى الأسوار الطينية » . انظر : (New Account of the  
East Landie Indies مج ١ ص ١٠٨ .

ويتون بوتنجر : « ان قرية بنبور قرية صغيرة سيئة البناء : وكانت  
محاطة فى يوم من الايام بسور منخفض من الطين ، به بين كل مسافة  
: أخرى مواقع محصنة صغيرة . ولكن ذلك كله قد غلب عليه اليوم  
الدمار » . انظر : « Travels in Beloochistan and Sindh » ص ١٧٦ .

(٩) يسميهم النص اللانيني القديم « اسكارانى ومالاندرينى » .  
ويخيل الينا أن الكراونيين هم سكان مكران ، وهى شقة من الأرض تمتد  
من قرب نهر الاندوس ( السند ) الى الخليج الفارسي ، ويشدق اسمها  
من كلمة « كارانا » ومعناها « الساحل أو الشاطئ أو التخم » ويبدو  
أنهم لا يختلفون الا قليلا عن شعب بلوخستان المجاور ، ان لم يكنوا  
من نفس الجنس ، وما يذكره عنهم مؤلفنا هو صورة صادقة لعادات  
السرقه والنهب التى يشتهر بها الأخيرون . ويقول ابن حوقل : « ان  
البلوج يقيمون بصحراء جل كيفس ، وكيفس فى لغة الفرس (البارسي)  
هى كوجه . وهم يسمون هذين الشعبين باسم الكوجيين والبولوجيين .  
والبولوج قوم يسكنون الصحراء ، وهم يفسدون فى الطرقات ولا  
يحترمون أحدا » . لدينا عن عادات هذا الشعب أشد البيانات  
تفصيلا فى دفتر يوميات الملازم بوتنجر الذى يقول : « ان النهارونيين  
Nharooés أشد طبقات البلوخ وحشية وميلا الى السلب . وعلى  
حين تجدهم يعدون السرقه الفردية الخاصة ماسة بالشرف والكرامة  
الى أقصى حد ، فانهم ينظرون الى نهب اقليم والعيث فيه تدميرا وفسادا  
بإحساسات مضادة لتلك تماما ، بحيث يعدونه ماثرة عظيمة تستحق  
اعظم الثناء . وان تقسو قلوبهم بهذا الاحساس قسوة الفولان ، فانهم  
يقومون كأفراد بقصر حكايات المساعدة التى قدموها فى مثل تلك الظروف  
والافتاخر بإعداد الرجال والنساء والأطفال الذين أسروهم وحملوهم  
معهم أو قتلوهم ، والقرى التى أحرقوها وانتهبوها ، وقطعان الماشية  
التي ذبحوها متى لم يقدرُوا على سحبها معهم » . وقسأل  
أحد أهالى بلوخستان لنفس الرحالة : « نحن الآن فى مكران ، حيث  
كل فرد لص من حيث طائفته ، وحيث لا يتردد الأخ فى نهب أخيه والجار  
فى سلب جاره » .

(١٠) كان نيقودار أوغلان ابن هولكو ، وحفيداً لأخي جاغتاي .  
وقد خلف أخاه أباغا على عرش فارس ، متخذاً اسم أحمد خان ، وكان  
أول من أعلن إسلامه من أبناء أسرته . فان كان النيقودار ، الذي حاول  
تجربة حظه ، كما يخبروننا هنا ، في هذا الجانب من الهند ، قد زار  
فعلاً بلاط جاغتاي ، الذي توفي في ١٢٤٠ ، فلا بد أنه كان ينتمي إلى  
الجيل السابق ، وذلك لأن الذي حدث هو أنه حتى ١٢٨٢ لم يكن أحمد  
خان نيقودار أصبح حاكماً على فارس ، كما أن اثنين وأربعين عاماً  
فترة أطول كثيراً من أن تسمح بأن نظن بأنه المغامر الشرقي . وإن .  
فربما كان هناك نيقودار أقدم من هذا بين أحفاد جنكيز خان الكثيرين ،  
والحق أن الاستقامة المنطقية للقصة تتطلب أن تكون حدثت قبل زمن  
مؤلفنا بزمن بعيد .

(١١) لا بد لي هنا من أن أستمريء المضي في تخمين وظن مهمما  
يبد جريئاً ، فسيبرره سياق الكتاب إذ أنه بدلاً من مالوبار أو مالوار  
( كما تكتب أحياناً ) ، ينبغي أن تكون الكلمة ( وكانت في النسخة  
الأصلية ) لاهوار أو لاهور كما تنطق عادة . فمن خلال هذه المقاطعة ،  
وليس بالتأكيد من خلال مالابار ، لا بد أن يكون هذا المغامر شق طريقه  
إلى دلهي .

(١٢) كانت الفاظ عز الدين وغيث الدين ومعز الدين مع إضافة  
كلمة سلطان ، ألقاباً شائعة لحكام دلهي الباتانيين (Popan) فضلاً عن  
الأمراء الذين كانوا يتولون الحكم بولايات إمبراطوريتهم .

(١٣) تقع باداخشان ، وهي قرب منابع سيحون ، على ذلك  
الجانب من مملكات جاغتاي الذي هو أقرب إلى منابع أنهار الاندوس  
والجانب ، فهي نتيجة لذلك على خط الزحف نحو مدينة دلهي .

(١٤) لا يمكن أن تكون كيزمور شيئاً آخر عدا كشمير ، التي تقع  
في الاتجاه الممتد من باداخشان نحو لاهور وسيرهند والعاصمة .  
والطريق الأشيع استعمالاً يمر من كابول ، ولكن هدف ذلك الفاتح  
الصغير كان التزام الجبال ، لكي يخفى بذلك نواياه .

(١٥) هنا يصبح من الواضح تماماً أن الإقليم الذي اخترقه عند  
مغادرته كشمير هو البانجاب ، الذي تعد مدينة لاهوار أو لاهور أهم  
مدينة فيه .

(١٦) لا نقرأ عند أي مؤرخ وطني ( هندي ) ، عن ذلك المفتح  
لدلهي على يد التتار المغوليين السابق لفتح تيمورلنك لها . ولكننا نعلم  
من كتاب تاريخ هندوستان ، على ما ترجمه داو عن نص قريشتا ، أن

معز الدين بيرام شاه ، ملك دلهى ، الذى بدأ حكمه فى ١٢٢٩ ، وانتهى فى ١٢٤٢ ، وتم فريسة لبعض المتاعب التى نشبت بينه وبين وزيره ركبىار أمراءه ، الذين أثاروا فتنة بين جنوده ، وفى أثناء تلك الأزمة « وردت الأنباء أن مغول زنجيز ( جنكيز ) العظيم قد طرّقوا لاهور ، وأن مالك ، نائب الملك بقلك الناحية ، حين وجد جنده فى تمرد ، اضطر الى الفرار ليليل ، وأنه كان قادما فعلا الى دلهى ، وأن الأعداء نهّبوا لاهور ، وأن الأهالى الساكنين اغتيدوا أسرى » . وفى الحين نفسه ، تقدم الوزير بالجيش على العاصمة ، التى ألقى عليها الحصار ثلاثة أشهر ونصف . حتى اذا انتشر العصيان فى خاتمة الأمر بين صفوف المواطنين المدنيين ، سقط المكان فى عام ١٢٤١ . وألقى السلطان بيرام فى السجن حيث انتهت حياته فى مدى بضعة ايام نهاية فاجعة . وبعد أن نهب المغول الولايات الواقعة على ضفاف الفروع الخمسة لنهر الاندوس ( السند ) عادوا ادراجهم الى غزنه « وهكذا ترى انه فى نفس المدة المطروحة ، وهى التى سبقت أو تلت قليلا وفاة جاغتاي فى ١٢٤٠ ، فإن جيشا من المغول تقدم فعلا الى ولايات تابعة لملك دلهى ، ونهب مدنه الواقعة على التخوم » .

(١٧) من بين معانى الكلمة السنسكريتية كارانا ، « الشخص المخلط السلالة » ، ( والخلاسى فى العربية هو المخلط بين الجنسين : الأبيض والأسود ) .

(١٨) كان الاعتقاد بوجود تلك القدرات الخارقة للطبيعة نقطة الضعف الشائعة فى العصور المظلمة . ومع أن المظهر والتأثيرات تختلف اختلافا ماديا ، فربما أمكن اشتقاق أن هناك بعض العلاقة بين قصة المضباب هذه التى ينتجها السحر ، وخداع البصر الذى لحظه الفنستون ، أثناء رحلاته عبر ما يمكن اعتباره امتدادا لنفس الصحراء ، رغم تقسيم أجزائها بواسطة الاقليم الذى يتخذ فيه السند مجراه . فهو يقول : « دهش كثير من الناس قرب حلول المساء لظهور بحيرة طويلة تشمل جزائر صغيرة جديدة . . على أن هذا لم يكن الا أحد تلك الأوامم الخادعة التى يسميها الفرنسيون ميراج ، ويسميها الفرس السروب ( أى السراب بالعربية ) . وقد خيل الى أن مرد هذه الظاهرة بخار رقيق ( أو شىء يشابه البخار ) يشاهد فوق الأرض فى جو الهند الحار ، ولكن هذا المظهر كان مخالفا تماما لذلك ، وعند النظر على امتداد الأرض ، لم يكن المرء يرى أى بخار إطلاقا . . ولأن أحاول تعليل هذه الظاهرة ، وانما سأجتزئ بملاحظة انه يبدو أن ذلك لا يوجد الا فى الأماكن المستوية المسماة الجافة » . - انظر : Account of Caubul ص ١٦ .



(١٩) ربما لم تصل القصة الى أكثر من أن هؤلاء اللصوص ، وقد ركزوا أنفسهم في منطقة الجبال المجاورة ، استغلوا فرصة وجسود الضباب الكثيف ، ليقوموا بهجماتهم على القوافل آمنين ، وذلك على حين مكنتهم معرفتهم بالبلاد من احتلال تلك الخوانق المضيقسة التي لا مندوحة للمسافرين من اختراقها .

(٢٠) لا يمكن العثور الآن في خرائطنا على قلعة كونسالمى أى دَانر سليم فى قراءة أخرى ولكن مما يجوز ملاحظته أن لفظة خان السلام الفارسية معناها « الدار الآمنة » أو « دار السلام » . يقول ألفنستون :

« ان برجا صغيراً ولكنه أنيق كان يشاهد فى هذا الممر ( المخرق للصحراء ) ، وقد أبلغنا أنه ملاذ يلجأ اليه المسافرين اتقاء لشر العشائر الناهبة التى تعيث فساداً فى طريق الثيرونات ( القوافل ) » . ص ١٧ .

## ● هوامش الفصل السادس عشر

(١) « يقال انه يوجد بالجبال القريبة من هرمز ، أرض زراعية رماشية وفيرة ومعقل جمة • ولكل جبل شيخ ، ولهم جعل من السلطان او الوالى ، ومع هذا فهم يعيشون فى طرق كرمان ، والى حدود فارس وسجستان • وهم يرتكبون سرقاتهم راحلين ، ويقال انهم من أرومة عربية ، وانهم جمعوا ثروة طائلة • ترجمة ر • أوزلى ( للملك والممالك ) لابن حوقل ص ١٤٠ •

(٢) كانت مدينة أرموز أو هرمز الأصلية تقع على الشاطئ الشرقى للخليج الفارسى ، بولاية موجوستان • ومملكة كرمان • ومن الواضح أن ابن حوقل ، فى حوالى النصف الثانى من القرن العاشر يتحدث عن هذه المدينة القائمة على البرالاسيوى حين يقول : « ان هرمز هى سوق كرمان وملئى تجارها ومينأؤهم الرئيسى : وبها المساجد والأسواق ويقيم التجار فى ضواحيها » ص ١٤٢ • ودمرها أحد الأمراء الذين كانوا يحكمون فى كرمان ، من الأسرة السلجوتية حسب بعض الروايات ، أو المغول حسب بعضها الآخر • ولكن لم يتم تحقيق التاريخ المضبوط لذلك بصورة مرضية • وعند ذلك انتقل السكان بكل ما غلا ثمنه من ممتلكاتهم الى جزيرة جيرون المجاورة ، وهى تبعد حوالى ثلاثة عشر ميلا جغرافيا عن الموقع السابق ، حيث وضع الأساس لمدينة هرمز أو أرموز الجديدة ، التى قدر لها أن تحرز شهرة أعظم كثيرا من سابقتها ، وان اتصف موقعها الجديد بمساوىء نقص الماء ، والتربة المشبعة بالملح والكبريت • ويصف أبو الفداء ، الذى كتب فى مطالع القرن الرابع عشر ، وكان معاصرا لمؤلفنا ، المدينة الجزرية ( الجديدة ) واستولى البرتغاليون ، بقيادة الفونسو البوكرك الذائع الصيت ، على هذه الجزيرة من أمرائها الوطنيين فى ١٥٠٧ • يقول روبرتسن : « وما لبثت هرمز وهى فى أيديهم ، أن أصبحت السوق العظيمة ، التى كانت الامبراطورية الفارسية ، وجميع ولايات آسيا الى الغرب منها ، تمون منها بمنتجات الهند ، وتحولت المدينة التى بنوها على تلك الجزيرة القاحلة المفتقرة الى الماء ، الى مركز من أعظم مراكز الثروة والفخامة والترف فى العالم الشرقى » انظر : Hist. Disquisition ص ١٤٠ • ثم استخلصها منهم شاه عباس فى ١٦٢٢ بمساعدة أسطول انجليزى •

وهدم ذلك القاتح تحصيناتها وغيرها من المباني العامة الأخرى وسواها بالارض . وذهلت تجارتها الى مكان على الشاطئ المجاور اسمه جامبزون ، أطلق عليه اسم بندر عباس . ولكن فى الوقت نفسه عمل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح للمسافر فى أوربا ، على تحويل التجارة العامة الى مسار آخر ، وما لبثت التجارة التى استمرت عن طريق الموانئ القائمة على الخليج الفارسى أن اضمحلت سريعا . وفى عام ١٧٦٥ الذى زار فيه نيبور تلك الجهات ، كانت الجزيرة التى تقوم عليها هرمز ملكا لشخص كان يعمل فى الخدمة البحرية لنادر شاه ، كما أن المكان أصبح عديم الوزن تماما .

(٢) لا بد أن المعنى المقصود من هذا أن هرمز فاقت المدن الأخرى ثراء ورغدا بل ربما عدد سكان أيضا ، على أن سرجان أو سرجان ، المسماة كرمان أيضا ، كانت عاصمة الاقليم الذى تسميه بذلك الاسم ، وبها كان يقيم الوالى .

(٤) ورد فى قائمة سلاطين هرمز التى خلفها تكسيرا فى ترجمته لحوليات طوران شاه ، من يسمى ركن الدين محمود ، ومع أن التواريخ بعيدة كل البعد عن الدقة ، فان فى الامكان الظن بأنه حكم فى نفس مدة زيارة مؤلفنا للخليج ، الفارسى ، وأنه هو الأمير المسمى هنا ركمدين أتشوماك . وواضح أن الاسم الثانى مقصود به لفظة أتشمت ، وهى الطريقة التى شاعت بها خطأ كتابة اسم أحمد . ومن المعلوم أن المؤلفين الشرقيين كثيرا ما يقعون فى الأخطاء بالخلط بين الأسماء الثلاثة أحمد ومحمد ومحمود .

(٥) ليس هناك سجل ملوك كرمان يمكن تتبعه الى أبعد من عام ١١٨٧ ، عندما قام ملك دينار ، من عترة على ( وهو سيد شريف ) ، بطرد آخر أمراء السلاجقة واستوى على العرش . ولكن لابد أنها أصبحت ثانية فى عهد هولاكو وخلفائه ، الذين فتحوا بلاد فارس فى القرن التالى وأسسوا أسرة مغولية مالكة ، ولاية أو اقطاعا من تلك الامبراطورية ، يحكمها ( شأنها فى هذه الأيام ) فرع من الأسرة الحاكمة . وينبؤنا ده باروس (Decade II, Liv. II, Cap. 2)

أن ملكا أو شيخا لهرمز ( بمنطقة موجوستان على أرض القارة ) حصل من جاره ملك قايىز ، على تنازل عن جزيرة جيرون ، الواقعة قرب نصيبه من الشاطئ ، وأسس بها هناك قوة بحرية بقصد التحكم فى المضائق ، بحيث انه عندما نشبت حرب ، بسبب هذا الاستيلاء ، أصبح سيدا على جزيرة قايىز (Kâez) أيضا . وان ملك فارس ( أو حاكم كرمان بمعنى آخر ) ، الذى اعتاد الملك أن يدفع له الجزية ، سير جيشا على



موجودستان وأرغم ملك هرمز على التخلي عن مدينته الواقعة على القارة واللجوء الى جزيرة جيرون ، التي أسس بها مدينة هرمز الجديدة ، وأنه حين قبل الاعتراف بتبعيته الاقطاعية وايتاء الجزية ( وهي نصيب مفروض من الضرائب المجابة من السفن ) الى ملك فارس ، سمح له الأخير بامتلاك الجزيرتين كلتيهما . وأنه استمر في حكم دياره الجديدة ثلاثين عاما - وعلى ذلك فان الظروف التي أوردتها ده باروس على - ما ترى - تتفق في نواحيها المادية مع ما رواه مؤلفنا في هذا المكان ، وبوجه أخص في الكتاب الثالث الفصل الثالث والأربعون ، على أن المؤرخ البرتغالي يرجع جميع التصرفات الى عهد جوردان شاه بمفرده ، فيما يقول ، وهو الذي حصل على التنازل عن جيرون في ١٢٧٣ ، والذي مات في ١٢١٨ حسبما تروى قائمة تكسيرا - وفيها يسمى عز الدين جوردان شاه . ومع هذا فان هناك من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأنه انما يضيف لذلك الحكم امتداداً لا أساس له ، وأن الحوادث الاولى التي يدور الحديث عنها انما تنتمي الى عهدى سيف الدين وركن الدين ، وهما في الراجح والد ذلك الأمير وجده .

(٦) من المعروف أن هذا الحق الفظيع كان يمارس في أوروبا ، في أزمنة حديثة جدا ، تحت اسم حق وراثة الأجنبي (droit d'aubaine)

(٧) ان الريح الحارة المعروفة في ايطاليا باسم السيروكو ، وفي أفريقيا باسم الحرمتان ، كثيرا ما وصفها الرحالة . وربما كانت آثارها اعنف ما يكون في صحارى جنوب فارس . يقول بوتنجر : « غالباً ما تكون الرياح بهذه الصحراء حارقة ( اثناء الشهور الحارة من يونية الى سبتمبر ) بحيث تقتل أى شيء حى ، قد يتعرض لها ، حيوانا كان أو نباتا ، وعندئذ يعتبر الطريق الذى سافرت فيه مستحيل العبور . وتعرف هذه الريح بكل مكان من بلوخستان بأسماء مختلفة منها الجيلوت أو الجيلوه ( أى اللهب ) ويادى سموم ( أى الريح الوبيئة ) . وهى ذات طبيعة فاحشة القيظ بحيث عرف عنها أنها تقتل الجمال أو غيرها من الحيوانات القوية الاحتمال ، كما أن آثارها فى الجسم البشرى قد أبلغنا عنها من شاهدها رأى العين ، بأنها أشنع ما يمكن تصويره : فتتصلب عضلات الشقى الذى ينكب بها وينقبض ، ويتغضن الجلد ، ويعم جسم المرء كله ، ألم مبرح ، كأنما يشوى على النار ، ثم اذا هو يتشقق فى آخر المطاف محدثا جروحا غائرة ، تسبب نزيفا ، يختم هذا الشقاء سريعا » . ص ١٣٦ .

(٨) عن ممارسة هذا الانغماس فى الماء ، لدينا شهادة بييترو دلافالى ، الذى اتفق وجوده بخليج فارس أثناء حصار هرمز وزار

الجزيرة فور سقوطها في أيدي الفرس . فهو يكتب في رسالته المؤرخة  
١٨ يناير ١٦٢٣ :

« comunemente si stima la più calda terra del mondo ... E mi dicono,  
che in certo tempo dell'anno, le geti di Hormur non poterbberi  
vivere ».

ومع أن الأمر لا يحتاج الى مزيد من شهادة فاني سأقدم شهادة شلنجر ،  
وهو رحالة سوابي (swabian) ذكي الفؤاد ، زار تلك البلاد في عام ١٧٠٠  
وزودنا بوصف لهرمز وجامبرون :

« Wann die grosse Hitze einfallet », legen sich die Innwohner den  
gantzen Tag durch in darzu bequeme wasser-troge.

انظر : Persianische Reis ص ٢٧٩ .:

(٩) وفيما يتعلق بحالة الأجسام ، مهما بدت أحوالها غير مألوفة  
في نظرنا ، فانها كلها قد عززها شاردان كل التعزيز ، الذي قال متحدثا  
بدوره عن تلك الريح : « ان اثرها وهو أشد ما يكون بعثا للدهشة ليس  
حتى مجرد ما تسببه من موت ، وانما هو أن الأجسام التي تموت  
بسببها تبدو كأنما هي متحللة ، دون أن تفقد مع ذلك شكلها ولا حتى  
لونها ، حيث ان الانسان قد يقول انهم ليسوا الا نياما ، وأن كانوا  
موتى ، وأنه لو أمسك المرء بعضو منهم ، لانخلع العضو وظل في اليد » .  
ثم ينطلق بعد ذلك لاضافة بعض الحقائق الجديدة - اثباتا لأقواله -  
الجزء الثاني ص ٩ .

## ● هوامش الفصل السابع عشر

(١) لا نعرف الا القليل عن السفن المستخدمة بالخليج الفارسي قبل فتح البرتغاليين لهرمز ، ومنذ تلك المدة أحدث تأثير هؤلاء وغيرهم من الأوربيين والتمثل بمثالهم ، أثراً كبيراً في نظام الملاحة الفارسي ، ومع ذلك فان البيان الذي أورده مؤلفنا يتفق في كل تفصييلة مهمة مع نوع السفن التي وصفها نيبور . وتلك أيضاً هي الزوارق المستخدمة في الوقت الحاضر على ساحل كروماندل ، وهي الزوارق التي يسميها الفرنسيون بالشلنجات ويسميها الانجليز زوارق الماسولا ، وهي التي يسميها لوجانتيل على النحو التالي : « ان القوارب التي تستغنى عن هذه القضبان تسمى بالشلنجات ، وهي تصنع خصيصاً ، وهي ألواح يوضع الواحد منها فوق الآخر ، ويخاط الواحد منها في الآخر ، بخيط مصنوع من الليف الداخلى الخشن لشجرة جوز الهند ، ثم تقلط الخياطات بالمشاققة المصنوعة من نفس الليف ( أو القلافة ) ، ثم تحشر حشراً قويا بغير مهارة بسكين غير حادة . وقاع هذه القوارب مسطح بشكل مسطحها ، وهذه القوارب لا تكاد تكون أكثر طولاً منها عرضاً ، ولا يدخل في صنعها مسمار واحد » . انظر ( Voyage ج ١٠ ص - ٥٤٠ ) وهذا القتل المصنوع من الليف أو الحسك الليفي لجوز الهند ( وليس من لحاء الشجرة كما ظن السيوم لوجنتيل ) ، مشهور بالهند باسم « الكرار Coire » ، كما أنه يصنع حبالاً لتوجيه أجهزة المصواري والقوس والكابلات .

(٢) ينبغي أن يلحظ أن السفن Praws العديدة التي تمخر بحار الشرق الأقصى ، تدار عادة بدفتين أو كامودين (Kamûdis) وان هذه السفن كانت في الآونة الأخيرة موضع ملاحظة مؤلفنا أثناء رحلته الى مضيق ملقا .

(٣) كذلك شأن سفن الملايو أو جرت العادة أنها هي أيضاً لا تزود بمراس حديدية ، وهي التي اعتقد أنها المقصودة من كلمة « Ferri di sorzer » ، وان لم نعثر على ذلك المصطلح في المعاجم العامة ولا البحرية . فمراسيها مصنوعة من خشب قوى وثقيل ، وليس



لها الا ذراع واحد أو مخالب واحد ، كما أنها تغطس فى الماء بواسطة  
أحجار ثقيلة تربط بها .

(٤) ربما لا نتوقع أن يزرع القمح فى مثل هذا الجو الشديد  
الحرارة ، بيد أن هذه الواقعة مؤكدة تماما .

(٥) ان ما سمي عادة باسم خمر النخيل ( أو التودية Toddy )  
انما هو شراب مستخلص من أشجار من فصيلة النخلة ، وذلك بقطع  
الفسيلة للاخصاب وشد وعاء الى الجزء المجروح يستقر فيه الشراب ،  
ولكننا نسمع أيضا عن شراب مسكر ، يجهز من البلح الناضج ، ينقعه  
فى الماء الساخن حتى يحدث له تخمر مسكرى . ويقول بوتنجر ، وهو  
يتحدث عن شعب سكران ( المجاورة لولاية كرمان ) ، : « وهم يشربون  
كذلك مقادير ضخمة من مشروب مسكر ، يصنع من البلح المخمر ، وهو  
شراب لابد أن له أثارا ضارة جدا » . ص ٣٠٦ . وفى كتاب الصعود  
(Anabasis) لزينوفون ، ما مفاده أن الاغريق وجدوا هذا الشراب  
فى قرى بلاد بابل .

(٦) ان هذه المناحلات المفرطة ، الشديدة الانتشار ببلاد الشرق ،  
وغير المجهولة ببعض أجزاء أوربا ، فضلا عن عادة تأجير النادبات  
المحترفات ، كثيرا ما وصفها الرحالة . يقول شارديان : « ان النساء  
بوجه خاص ، يندفعن الى ابداء المسرف من التهوس والحزن البالغين ،  
ويخلطن بها شكاوى طويلة ومراثى رقيقة واليمة . وعبارات حزينة  
موجهة الى الجثة الهامدة » ( ج ٢ ص ٣٨٥ ) . ويقول فراير : « ان من  
المعتاد ، تأجير نادبين . وتذهب الأرملة الى المقبر كل شهر مصحوبة  
بمعارفها لتكرر الالحن الحزين » Account of East India and Persia  
ص x ٩٤ . وربما جاز أن نقرر أن مدة الحداد وردت فى النسخ  
اللاتينية الأولى والنسخ المبكرة الأخرى على أنها أربع سنوات بدلا من  
أربعة أسابيع .

## ● هوامش الفصل التاسع عشر

(١) ان كوييام ( وهى جوبيام فى النسخة اللاتينية الأولى وكوبينام فى غيرها. ) هى كابيبس لى دانفيل وخايبس عند الادريسي وخيبس ( بضم الخاء وفتح الباء وتسكين الياء ) عند ابن حوقل وخوبيس عند بوتنجر . يقول ابن حوقل : « ان خيبس بلدة على حدود هذه الصحراء فيها المياه الجارية والنخيل . وبينها وبين دوراك مرحلة واحدة » وعلى امتداد هذه المرحلة وعلى مدى البصر ، يتشع كل شىء بمظهر الخراب والاقفار ، وذلك لانعدام كل أثر للماء . « انظر المسالك والممالك ( ترجمة أوزلى جى ١٩٩ ) ويقول بوتنجر : « انها كانت زاهرة فى سالف الزمان ، وكانت دار حكم لبكلاريك ( أمير أمراء ) من جانب أمير سيستان ، ولكنها الآن مكان تعس خرب كما ان سكانها لصوص ومنبوذون سيئو السمعة يعيشون على الاغارة على الطرق الرئيسية المؤدية الى خراسان وفارس ونهب القوافل » . ص ٢٢٩ .

(٢) الينابيع الملحة والسهول المكسوة بالملح ، التى لقبها بوتنجر فى كرمان والمناطق المجاورة يدور الحديث عنها على النحو التالى : « عبرنا نهراً من الملح السائل يبلغ من عمقه ما يصل الى ركب حصانى ، وكان سطح السهل مغطى تماماً الى مسافة يضع مئات من الياردات على كل من الجانبين بطبقة سميكة من الملح الأبيض ، تشبه شؤبوبا من ثلج متجمد كان يقع تحت سنايك الحصان » . ( ص ٢٣٧ ) « تمتلئ جميع جبال كوهستان هذه بالمنتجات المعدنية ، فتوجد فى كثير من الأماكن غدران من الملح السائل ، وبرك من الماء عليها زيد يشبه النفط أو البتومين ( bitumen ) ، توجد قرب بحر قزوين » . ( ص ٣١٢ ) : « وهناك سلسلة تلال على الطريق الممتد من كيلات الى كتش جنداقا يستخرج منها نوع من الملح أحمر اللون تماماً له خواص ملينة كبيرة جدا . ويمكن الحصول على الكبريت والشببة من نفس المكان » . ( ص ٣٢٣ ) ويبدو من آثار ملح هذه الصحارى أنه يحتوى على سلفات المانيزيا ، كما أن اللون الأخضر الذى لحظه مؤلفنا ربما كان راجعاً الى وجود خليط من سلفات الحديد .

(٣) يقول ابن حوقل : « تجد صحراء خراسان فى الشرق قسماً

من حدود ولاية مكران وتقسما من سيستان ، وتتاخمها في الجنوب  
كرمان وفارس ، وجزء من حدود أصفهان . وهذه الصحراء تكاد  
تكون كلها يابا خالية من السكان . فهي مباءة اللصوص وقطاع  
الطرق . ومن أعرس الأمور أن يعرف المرء طريقه فيها بغير دليل ولا  
يستطيع المرء أن يمضي الا عبر المسالك المعروفة تماما ( ص . ص  
١٩٢ - ٤ ) .

(٤) ربما كان مكان الاستراحة والانتعاش هذا هو « شور » الذي  
يسميه ابن حوقل نهرا من الماء في الصحراء على الطريق الذي يبدأ في  
الجانب الكرمانى . وهو يقول في موطن آخر ، انه على مسيرة يوم  
واحد من دوراك ، ويصفه بأنه مجرى ماء عريض من مياه الأمطار .  
ولكنه لم يبد التفاتا الى مروره تحت الأرض ، وتبعاً لذلك لا يجوز  
الاصرار على صحة هذا التعرف ، وان لم يكن في جريان الأنهار  
تحت الأرض شيء غير عادى كثيرا .



## ❁ هوامش الفصل العشرين

(١) ذكرنا في الهامشة الرابعة ، سببا لظننا أن المقصود من كلمة اندانيكوهو الأنتيموني الذي جاء عند شاردان وآخرين غيره ، أنه موجود بالاقليم الفارسي الذي يدور عنه الحديث هنا ، ولكن تأسيسا على الطريقة التي تصنع بها التوتياء والاسبوديوم والتي وصفت بهذا الوجه الخاص في هذا المكان ، يحق لنا أن نستنتج أن اللابيس كالاميناريس ، أعنى الزنك ، هو السلز الذي يطلق عليه مؤلفنا هذا الاسم ، أو بعبارة أصح الاسم الذي جاء اندانيكو تحريفا له . ولست أدعى القدرة على الحكم الى أي مدى يمكن أن تؤدي خواص الأنتيموني أو الزنك ، الى تعريض الناس للمخلط بينهما ، ولكن يبدو أنه تقوم في هذه النقطة درجة ما من عدم التأكد ، ربما اتخذت عذرا لمؤلفنا ، أن هو ظن أن الأنتيموني لا الزنك - كان يستخدم في صناعة التوتياء . يقول بونتيوس : ان التراب الأرجيلي ( الصلصالي ) الذي تصنع منه التوتياء ، يوجد بمقادير كبيرة في الولاية الفارسية المسماة كيرمون ، كما ابلغت كثيرا على اسان تجار من الفرس والأرمن «

(Account of Diseases' Natural Hist. etc., of the East Indies).

( الفصل ١٣ ص ١٨٠ ) . ويتحدث بوتنجر في ( يوميات رحلاته عبر بلوخرستان نحو كرمان ) ، عن دار قوافل ( قيروان سراي ) تسمى «سورموسنج» أي حجر الأنتيموني ، وهو اسم يستمد من المكان من المقادير الهائلة من ذلك الفلز التي تجمع من المنطقة المجاورة له . ( ص ٣٨ ) . ولذا فان مما لا سبيل الى الملاحاة فيه ، في ظني ، أن قطرة العيون التي يكثر استخدام الشعوب الشرقية لها ، والتي يسميها الفرس « سورميه » ، ويسميها أهالي الهندستان انجان أو انجون ، أساسها هو التوتياء ، ولكنك لو رجعت الى المعاجم الفارسية والهندوستانية لوجدت أن كلمتي سورميه وأنجان هما أيضا الاسمان اللذان يطلقان على الاثمد ( الأنتيموني ) . ومهما تكن التسمية الصحيحة ، فانه محق وصائب من الناحية المادية على الأقل في ذكره أن التوتياء المستخدمة قطرة للعيون أو مرهما رمديا ، تجهز من مادة فلزية توجد في ولاية كرمان .

## ٢٢٦ ر. دغني انصفي انفتحت على العبادي والعشرين

(١) أظهرنا من قبل أن تيموكاين أو تيموشاين الواردة في نصنا هذا ليست سوى دماغان ، وهي مكان له أهمية ضخمة يقع على التخرم الشمالية الشرقية لفارس ، وتقع الى شمالها هركانيا القديمة التي تفصلها عنها سلسلة من الجبال ، والى الشرق منها ولاية خراسان ، وولاية كوميس الصغيرة ، التي هي حاضرتها وذلك بالاضافة الى الصحراء الملحة الى الجنوب . وكان أن عسكر في هذه المنطقة المجاورة غزان بن ارغون ، وارث عرش فارس ، الذي كان يشغله آنذاك همه ، ( عسكر ) بجيش ليحرس ممر خوار المهم المسمى بالبوغاز القزويني ، في المدة التي وصلت فيها أسرة بولو من بلاد الصين ، واليها أمروا بالتقدم ليسلموا الى يديه وديعتهم النفيسة وهي أميرة من بيت قبلاي .

(٢) يبدو أن هذه الشجرة التي أطلق عليها اسم الشجرة الجافة ، نوع من الزان ، (Fagus) ، و.نها تتصف ببعض صفات القسطل (الكستناء) . ولكن لنا من الفقرات المتنوعة التي كتبها كتاب تحدث عهدا ما يبرر أن نعد المقصود منها هو ضربا من شجر الدلب . ويظهر أن لفظة جافة لا تدل على شيء أكثر من هذا : وهو أنه عندما يؤذن شكل العلبة بقسطلة قابلة للأكل ، يصاب الغريب الذي يجمعها بخيبة الأمل ، إذ لا يجد فيها أية محتويات يستطيع امساكها ، أو يجد سقط بذرة جافة لا طعم لها .

(٣) دارت رحى آخر معركة بين الاسكندر وداريوس قرب أربل أو اربيل بلاد الكردستان ، عن غير بعيد من نهر دجلة ، ولكن الذي حدث في أثناء العمليات التالية ، أن ملك فارس المنهزم جرى تتبعه من اكباتانا (همدان) عبر البوغاز القزويني أو ممر خوار ، الذي اخترقته جند الاسكندر بغير مقاومة الى ولاية كوميسين (كوميس) التي كانت هيكلا توميلوس (التي يظن انها دماغان) حاضرة لها . ولم تتوقف المطاردة حتى لقي العاهل التعس حقه على يد رعاياه غير بعيد من المدينة الأخيرة ، بينما تقدم الاسكندر نفسه بطريق أسرع ولكن ذاك التقدم تم عبر بيداء يعوزها الماء تماما . والروايات التاريخية المتداولة حول الفاتح المقدونن تكثر بوفرة في هذا الجزء من البلاد .

(٤) لحظ كثير من الرحالة منهم أولياريوس وشاردان . اعتدال المناخ وعدم صحيته المفرطة في الحين نفسه على امتداد المشاطيء الجنوبية ليحصر قزوين ، على أن المنطقة المحيطة بدمغان التي يدور حولها الحديث هنا ، تنفصل بسلسلة جبلية عن منطقة المستنقعات الممتدة من استر أباد وقره أباد ( وهما المكانان اللذان كان يزورهما الأوروبيون بوجه رئيسي أثناء حكم شاه عباس الذي كثيراً ما كان يعقد بلاطه فيهما ) - وتشغل اقليما أشد ارتفاعا بكثير .



## ٢٢٨ هـ الفصل الثاني والعشرين

(١) لا مرأ أن التسمية ذائعة الصيت في تواريخ الحروب الصليبية . وهي « رجل الجبل الهرم » ، إنما هي ترجمة غير موفقة للقب العربي « شيخ الجبل » الذي معناه « رئيس المنطقة الجبلية » . ولكن لما كانت لفظة « شيخ » شأن لفظة سنيور وبعض المصطلحات الأوربية الأخرى ، تحمل معنى « الأسن » فضلا عن معنى « المولى » أو « الرئيس » عرض ( على الأوربيين ) مفاضلة للاختيار بين التفسيرات فزق اختيارهم على أسوئها وأقلها مناسبة لمقتضى الحال . وكانت الأماكن التي كانت تلك الشخصية تمارس فيها حقوق السيادة وهي رئيس لشعبة دينية أو متعصبة هي قلاع الأموت ولسير وكيردكود وميمون ديز وناحية رودبار ، وكلها تقع داخل حدود تلك الولاية التي يسميها الفرس كوهستان ويسميها العرب الجبال ( وهي بلاد العراق العجمي شرقي أذربيجان منها بالقرب من قزوین قلعة الأموت . وكانت قصبة الحشاشين أو الاسماعيلية : ( أ هـ ) عن المنجد . يقول ده ساسي في *Mémoire sur la Dynastie des Assassins, etc.* « ان موقع الأموت في وسط منطقة جبلية هو الأصل في تسمية الأمير الذي يحكم بها باسم شيخ الجبل أي أمير منطقة الجبال والالتباس في كلمة شيخ التي تدل في الوقت نفسه على الرجل المسن والأمير أدى إلى أن سماه مؤرخو الحروب الصليبية والرحالة الشهير ماركو بولو باسم « عجوز الجبل » .

(٢) ان هذا التطبيق الصحيح للفظ ملحد العربية يعد واحدا من الأدلة الكثيرة التي لا يرقى إليها شك عن اتصال مؤلفنا بالأحداث ، كما أنه لا بد أن يكون كافيا لازالة كل شكوك تداخل كل مستطلع عليم وصريح حول موضوع معرفته بأمور الشرق . وأنا لنجد تحت عنوان « ملحدة » في « Bib. Oriental » الذي ألفه ده هريبلوه : ( أنها جمع كلمة ملحد ، ومعناها المجرى من التقوى ، أي الرجل الذي لا دين له ) . و « ملحدة كوهستان » معناها : كفر الجبل وهكذا كان يسمى الاسماعيلية الذين حكموا بلاد إيران وبخاصة في الجزء الجبلي من فارس . وهذه الصفة الدالة على الازدراء أطلقها المسلمون السنيون على طائفة الاسماعيلية المتعصبة أو الباطنية أو كما يسمون أنفسهم الرفاق أي الأصدقاء ، الذين ازدهروا تحت رئاسة سغامر اسمه الحسن

ابن الصباح ببلاد فارس حوالي عام ١٠٩٠ أثناء حكم ملك شاد جلال الدين ثالث ملوك الأسرة السلجوقية . وانهم فيما يتعلق بالمتسمين الرئيسيين للعقيدة الاسلامية السياسية كانوا يعلنون انهم ينتمون الى الشيعة أو الرافضة ( كما يسميهم خصومهم ) الذين يؤمنون بانحصار الحق الشرعي في الامامة ( الخلافة ) في سلالة علي . ويبدو أن شعائريهم الخاصة ذات صلة بشعائر القرامطة الأقدم منهم زمنا وبالموهابيين المصريين .

(٣) يعرف أفراد طائفة الباتارينى (Paterini) عند المؤرخين الأوربيين بوجه أعم بأسماء الوالدنسيين (Waldenses) والالبيجنسيين (Albigenses) كما يعرفون عند الكتاب الفرنسيين باسم اليمانيان أو الياتيلان .

(٤) لقي علاء الدين الأمير الاسماعيلي مصرعه بعد حكم طويل قرب نهاية عام ١٢٥٥ ، وخلفه ركن الدين بن علاء الدين الذي لم يحكم سوى سنة واحدة فقط قبل تدمير سلطانه في الظروف التي يمضي مؤلفنا في سردها . ومن ثم فهو على صواب حين ينسب الأعمال التي أثارت غضب العالم الى الأمير الأول . ولكن لا يظهر أنه أدرك أن الابن هو الذي وجه اليه هجوم المغول ( المغل ) وان كان الواقع أن الحملة لا بد أنها جردت على علاء الدين الوالد نفسه .

(٥) كانت هذه القصة موضع الاعتقاد السارى بين سكان اسيا . الذين يبدو أنهم رأوا من الضروري نسبة أسباب خارقة لذلك التأثير المدهش حقاً الذي يتجلى في الاخلاص المطلق لهؤلاء المتحمسة الدينيين نحو ارادة سيدهم المستبدة . ولم يرد عند ماركو بولو اسم الحشاشين الذي يطلقه عليهم غيره من الكتاب .

(٦) لم أتمكن من العثور على أى أثر لمؤسسة الاسماعيلية . بقيادة رئيس مستديم ببلاد الكرد ، وان كان عملاء أو مبعوثو الطائفة ( أى الفدائية ) (Daïs) كثيراً ما يستخدمون هناك ، وان كانت لدينا شواهد كافية على وجود الحكومة التابعة للطائفة بسوريا والمذكورة هنا . ( انظر ده ساسى في Mémoire ص ٦٠ وده جنى (De Guignes) فى Hist. Gén. des Hons الكتاب السادس ص ٣٤٢ ) . وانى لأدقق أكثر فى ذكر هذه المراجع لكى أثبت تأكيداً لما يذكره ماركو بولو من أن الحكومة القائمة بفارس هي الحكومة الأصلية لتلك الطائفة وان أصبح الفرع السوري أشهر من الأصل فى أوربا ، كما أنه يبدو أن لقب « شيخ الجبل » أو « عجوز الجبل » كان يطلق بصفة عامة ان لم تكن قاطعة ، على شيوخ ذلك الفرع .

(٧) ان الظروف المحيطة بتدمير تلك الطائفة التي جعلت من نفسها  
كما رأينا في الهوامش السابقة . مملكة مستقلة ألم بها أير الفرج  
( ابن العبري ) في كتابه « مختصر تاريخ الدول » Hist. Dynast.  
ص ٢٢ ، فضلا عن غيره من الكتاب الشرقيين الذين يسجلون أعمال  
خلفاء جنكيز خان ، ولكن احدا منهم لم يصل الى درجة التفاصيل  
التاريخية التي بلغها ميرخوند الذي ترجم بيانه عن الأسرة الاسماعيلية  
في فارس وأصدره في باريس ، مع النص الأصلي المسمى « جوردان »  
ام فيما يتعلق بعام ١٩٦٢ ، الذي يحدده مؤلفنا على أنه بداية هذه  
العمليات ، فالواقع أنه لا يد أن تكون هناك غلطة في ست سنوات تقريبا ،  
وذلك لأن جميع المؤرخين يتفقون على أن حملة هولاكو على الملاحدة  
تأنت سابقة لتلك المسيرة على بغداد ، والأخيرة معلوم بيقين كاف أنها  
جرت في ١٢٥٨ . ولدينا في الحين نفسه المرجع التفصيلي الثقة لميرخوند  
الذي يحدد موعد تدمير قلاع الملاحدة بعامي ١٢٥٦ و ١٢٥٧ . وربما  
صح لنا أن نلتمس العذر لما ركو بولوا عن هذا الخطأ وبما يماثله من عدم  
دقة على أساس أنه نظرا لأن الأحداث حدثت قبل بداية أسفاره بسنوات  
كثيرة ، ومن ثم فلا بد أنه اعتمد على معلومات استقناها من الغير حول  
تواريخ تلك الأحداث التي ربما كان يجري تعبيرها طبقا لطرائق حساب  
التاريخ التي كانت تحتاج الى عملية حسابية لتحويلها الى تقويم الحقبة  
المسيحية .



## ● هوامش الفصل الثالث والعشرين

(١) من دمغان كان طريقه متجها نحو الشرق تقريبا ، أى فى اتجاه بلخ ويبدو أنه ( امتد خلال جان جرم ونيسابور نحو ميرو الروض (Meru-ar-rud) على أن عدد أيام المسيرة قليل جدا كما هو واضح ، ما لم نتصور أنه سار بضعف سرعة القوافل العادية ، أى بسرعة أربعين ميلا كاملة فى اليوم الواحد ، وهو أمر أقل احتمالا من الذهاب الى أنه جرى هنا حذف لبعض المراحل .

(٢) يقال ان اقليم خراسان الذى يمتد فيه الطريق ، سواء أكان من أدموت أم من دمغان ، الى المكان الوارد ذكره بعد ، اقليم مستوى الاسطح بوجه عام ، تتخلله صحراوات رملية وسلاسل غير منتظمة من الجبال المرتفعة .

(٣) من الضرورى جدا لتمام المعنى أن يكون المقصود من رحلة ستة أيام من الجانب الشرقى للصحراء المذكورة .

(٤) ان صحة اسم هذا المكان ، الذى قد يظن أولا ان المقصود به هو نيسابور ، أمر لا يتطرق اليه شك . يقول بتى ده لاكرواه ، مترجم شريف الدين : « ان شبورجان ، مدينة فى خراسان ، قرب جيحون وبلخ ، وتقع على خط طول ١٠٠° وخط ٤٥° و ٣٦° » . وهى تسمى فى جداول ناصر الدين التى نقل عنها الموقع المذكور انثا ، آشبركان ، وهى فى خريطة دانفيل ، آشبرجان ، وفى خريطة استراهانبرج شابورجا ، وفى خريطة مكدونالدكيناير سوبرجان ، وفى خريطة ألفنستون شيدرجاون . ويتحدث عنها الكاتب الأخير بأنها تابعة لحكومة بلخ .

(٥) يشيد جميع الكتاب الشرقيين بشهرة ولاية خراسان بجودة الفواكه ، والأهمية التى تضيف هنا على قاوونها ( أو بطيخها الأصفر بلغة أهل الشام وشمامها بلغة أهل مصر ) يساندها تماما شهادة شاردان ( ج ٢ ص ١٩/٤ ) وعن قاوون خراسان انظر أيضا كتاب : « Relation de l'Egypte » الملاحظات ص ١٢٧ .

(٦) تقع بالاتش أو بلخ ، وهى باكترا الملكية ، عند بطلميوس الجغرافى ، التى أطلق اسمها على ولاية باكتريانا ، التى كانت

عاصمة لها ، قرب منابع نهر جيحون (OXUS) في الطرف الشمالي الشرقي من خراسان . وهى واحدة من المدن الملكية الأربع لتلك الولاية ، وظلت مقرا للحكومة مرات أكثر من نيسابور نفسها أو هيرات أو مروشاهجان .

(٧) أمر جنكيز خان عندما استولى على المدينة قهراً من الخوارزميين فى ١٢٢١ ، بنهب السكان جميعاً ( كما ينبئنا بذلك مؤرخه أبو الغازى ) كما أمر بأن تسوى الأسوار بالأرض . وفى ١٣٦٩ أخذها تيمور لنگ من يد أحفاد ذلك الفاتح . واحتفظت بها أسرته حتى أجبرت على التناهى عنها للقتار الأوزبكية ، وظلت بعد ذلك موضع النزاع الدائم بينهم وبين الفرس . ويلاحظ ألفنستون : « تريم على جميع الآسيويين فكرة بأنها أقدم مدينة فى العالم . . . غير أن هذه الحاضرة القديمة الزاهرة قد أصبحت الآن عديمة الشأن . ولكن خرائبها لا تزال تغطى متسعاً مترامياً ويحيط بها سور ، على أن ركناً واحداً منها هو الأهل بالسكان » ( ص ٤٦٤ ) . ويصف مكرونالد كيناير البيوت بأنها مبنية من الطوب ، وقصر الخان بأنه مبنى فسيح مشيد كله من الرخام ، المجلوب من محاجر فى الجبال المجاورة .

(٨) المفهوم على وجه الجملة أن صفتى زواج الاسكندر الفارسيين من بارسين أو استاتيرا ابنة دارا ومن باريستاتس ابنة أوخوس ، تمتا بمدينة سوسا .

(٩) يقال انه فى زمن تدمير جنكيز خان لبلغ كانت المدينة تحتوى على ما لا يقل عن اثنى عشر ألف مسجد . وذلك وان كانت فيه مبالغة ، يدل على غلبة الاسلام على المدينة .

(١٠) نظراً لأن خراسان كثيراً جداً ما كانت تخضع لسلطان فارس وبخاصة أيام سلالة هولاكو ، الذين ملكوها فى المدة التى قام فيها مؤلفنا برحلاته ، فقد كان من الطبيعى أن يعدها جزءاً مكملاً للإمبراطورية الفارسية . ونضيف أنه يصيب حين يذكر أن بلغ تقع على التخم الشمالى الشرقى . ويقول النص اللاتينى :  
usque ad istam terram durant dominium domini de Levante.

(١١) يعدد شاردان الأسود بين حيوانات فارس الضارية ، وبخاصة فى ولايات الثغور ( التخوم ) . فهو يقول : « حيثما وجدت الغابات ، كما هى الحال فى هرکانى وكردستان ، يوجد كثير من الحيوانات المفترسة ، الأسود والذئبة والبيور والنمور والشيهاهم والخنازير البرية » . ( ج ٢ ص ٢٩ ) .

## ٦ شوامش الفصل الرابع والعشرين

(١) سيتضح للقارئ على نحو أخاذ صحة البيان عن مدينة تايكان أو تايكان ( وكتبت كايكام فى المخطوطات وفى الخلاصات الايطالية تايتام ) التى تقع بين منابع نهر جيحون ( وهو الاسم القديم لنهر أوكسوس أو أموداريا ) . يقول ابن حوقل : « ان أعظم مدينة فى طخارستان هى : ( تايكان ) التى تقع فى سهل على مقربة من الجبال . وىرويه نهر عظيم وبها كثير من البساتين والحدائق ( ص ٢٢٤ ) . وتفصل بين تاكا وبداكشان مسيرة سبعة أيام ( ص ٢٣٠ ) انظر أيضا أهر الفداء . ويفرق هذان المؤلفان بوضوح بينهما وبين مكان اسمه طالقان التى تقع جنوب غربى بلخ قرب مرو الروض وتقوم على صخرة شديدة الانحدار ، ولكن الادريسي يطلق على الأولى اسم طالقان وتابعه فى ذلك الجغرافيون العصريون وبخاصة دانفيل الذى ورد الاسمان فى خريطته بنفس الحروف ، يقول الملازم مكارتنى ، متحدثا عن روافد نهر جيحون التى تقع عند ملتقاها ( تاليكان ) أو ( تايكان ) : « يمتد مجراها فى اقليم جبلى ولكنه يحتوى على اودية مفرطة الثراء والخصب وتنتج كل انواع الفاكهة بأعظم وفرة » . - انظر الفنستون « Acc. of Canbul » الملحق ص ٦٥٠ .

(٢) يوجد هذا النوع من الملح الصخرى الصلب فى ارجاء عديدة من البلاد ، ويصفه شاردان كالتالى : « يستخرج الملح فى ميديا واصفهان من المناجم ، ثم يحمل فى كتل ضخمة مثل الحجر السهل الكسر . وهو بالغ الصلابة فى بعض الأماكن مثل الموجود فى صحراء كرمان ، حتى تستخدم كتله الحجرية فى بناء منازل الفقراء » . ( ج ٢ ص ٢٣ ) ويقول الفنستون متحدثا عن كان يقع فى بلاد الأفغان : « ان الطريق الذى يلى ذلك المكان شق فى الملح الصلب عند سفح جبال من ذلك الفلز ، تعلو فى بعض الأماكن أكثر من مائة قدم فوق سطح النهر . والملاح بها صلب صاف يكاد يكون نقيا » . انظر : Acc. of Canbul ص ٣٧ .

(٣) يحدد شاردان اللوز والفسق كاليهما بين منتجات المناطق الشمالية والشرقية من فارس : « ينمو الفستق فى منطقة قسزوين



وما حولها ٠٠ ولديهم فوق ذلك اللوز والبندق الخ ٠٠ ويتم تصدير  
أعظم مقدار من الفواكه من مدينة يزد « ( ج ص ٢١ ) ٠

(٤) اجتاحت هذا الاقليم منذ تلك الأيام جنس آخر من الناس .  
يقول ألفنستون : « عبر الأوزبك نهر سيحون لأول مرة قرب بداية القرن  
السادس عشر . واذ انهمروا انهماراً على الممتلكات التابعة لأحفساد  
« تيمور لك الذين كانوا في حد ذاتهم غزاة مغيرين ، فانهم سرعان  
ما أجلوهم عن بخارى ، وخوارزم وفرغانة ، ونشروا المرعب والجزع  
في أقصى أجزاء امپراطوريتهم المترامية . وهم يمتلكون الآن بالاضافة  
الى بلخ ، ممالك خوارزم ( أو أوجونج ) وبخارى وفرغانة ، وربما  
بعض أقطار أخرى صغيرة في هذه الناحية من بيلوت طوغ ، وقد بلغنى  
أنهم يوجدون أيضاً وراء بيلوت طوغ ، كما يمتدون شرقاً حتى خوتن على  
الأقل ، على أنه لا أستطيع التحدث في هذا عن ثقة . وهم ينتمون الى  
ذلك الفرع الكبير من الجنس البشرى المسمى في آسيا باسم الترك ،  
والذى يؤلف هو والمغول والمنشوريين ما نسميه باسم الشعب التترى .  
ولكل من هذه الأقسام الثلاثة لغته الخاصة المنفصلة ، فأما لغة الترك  
شراسعة الانتشار بكل أقطار غرب آسيا » . انظر : Account of Caubul  
ص ٤٦٥ ٠

## ● هوامش الفصل الخامس والعشرين

- (١) من الواضح أن هذا الاسم الذى ورد فى النصوص اللاتينية ، وكذا فى نسخة : راموسيو : « سكاسم » وورد فى الخلاصات الايطالية أشاسم ، هو اسم كشم كما ورد فى خريطة دانفيل ، كما انه ، كيشم أباد « فى خريطة ألفنستون ، التى تقع قرب نهر غورى الذى يسقط مياهه فى نهر جيحون ، وتقع الى الناحية الشرقية قليلا من خط طول كابول . وان ابن حوقل الذى يصفها بعد الحديث عن تاىكان مباشرة ، وقبل الشروع فى وصف بدخشان ، لىسميها خش « Khesh » ويقول انها : أكبر مدينة فى هذه المنطقة الجبلية » . ويظن ج . ر . فورستر ( فى Voyages in the North ص ١٢٥ ) . ان سكاسم هى الشاش على نهر سر أو سيحون ، بيد أن ذلك مناقض لكل احتمال ، وذلك بالنظر الى بعدها الشديد عن المكان الوارد ذكره أخيرا ، وذلك بينما كشم أو كيشيم ليست فحسب . قرب المكان الذى ورد وصفه بعد ذلك مباشرة ولكنها أيضا تقع على الطريق المباشر الذى يوصل اليه .
- (٢) لا مشاحة أن هذا المكان هو بدخشان ، بالطريقة الصائبة التى يكتبها ابن حوقل وغيره من الجغرافيين ، وان كثيرا ما نطقت بلخشان . واليكم وصف ده هربيلوه لموقعها : « ان بدخشان بلخشان اقليم يشكل جزءا من ولاية طخارستان Thokharestan ويمتد قرب رأس نهر جيحون أو Oxus الذى يحده من الجانب الشرقى والشمالى . يقول ألفنستون فى كتابه Acc. of Canbul : « يبدو أن يدوخ شون وان كانت اقليما رحبيا ، فانه ليس سوى واد مترام يمتد صعدا من ولاية باخ الى بيلوت طوغ ، بين الجزر المتصلة بالبامير وبين سلسلة جبال « هندكوش » ( ص ٦٢٨ ) .

## ٥ هوامش الفصل السادس والعشرين

(١) عندما يتحدث أبو الفضل عن أقاليم السيراد وبيجور ، التي يصفها بأنها تتألف من تلال ومجاهل وتسكنها قبيلة يوسف زاي ، يمشي فيقول : « في عهد مرزا ألوغ بك ( ١٤٥٠ ) ، وفدت قبيلة سلطان ، التي تعلن أنها تنحدر من ابنة السلطان سيكندر ذي القرنين ، قادمة من كابول وتملكت ذلك القطر . وهم يقولون ان سيكندر ترك في كابول كنزا وديعة عند أحد أقربائه ، والآن يسكن بعض المناطق الجبلية سلالتهم الذين يحملون شجرة أنسابهم في أيديهم ( انظر الايين الأكبر مج II بالفارسية ص ١٩٥ ) . ويلاحظ الملازم ماكارتنى ، أيضا هذا الانتساب ويقول في مذكراته Memoir : « يدعى ملك درواوز ( قرب منابع جيحون ) أن يرجع نسبه الى الاسكندر الأكبر ويسلم جميع جـيـرانـه بمدعياته » . ( انظر Acc. of Canbul التذييل ص ٦٢٨ ) ولا يكاد يوجد داع للإشارة أن كلمة ذو القرنين تعنى وجود « قرنين له » وأنها لقب أطلقه الشرقيون على الاسكندر الذي يسمونه « سيكندر » أيضا ، من شكل رأسه الذي يظهر على العملات اليونانية ، التي ظلت متداولة طويلا ، ثم قلدت بعد ذلك في فارس .

(٢) يذكر كل مؤلف عالـج شئون هذا القطر انتاجيه الاثنين ، وهما يواقيت البالاس ( الذي يعده الشرقيون نوعا من الياقوت الأزرق hyacinth وحجر اللازورد « Lupis Lazuli » يقول ابن حوقل : « تنفج بدخشان الياقوت Laal واللازورد . وتوجد مناجمهما بين الجبال » ( ص ٢٢٥ ) . ويقول ده هربيلوه : « في جبالها يوجد منجم الياقوت الذي يسميه الشرقيون بالبدخشياني والبلخشياني . والذي نسميه بيواقيت البالاس ( نسبة الى بلخشان ) » . ويقول الفنستون : « ان ذلك الجزء من بيلوت طوغ داخل بدوخ شاون ينتج الحديد والملح والكبريت فضلا عن مقدار وافر من حجر اللازورد ، على أن مناجم الياقوت الشهيرة التي من أجلها أكثر الشعراء الفرس من الإشارة الى اقليم بدوخ شاون تقع في التلال الأخفض قرب نهر جيحون . وهي لا تستغل في الوقت الحاضر » . ( ص ٦٢٩ ) .



(٣) ربما ذهب البعض الى أنه لا جدوى من محاولة العثور عن مصدر ثقة تقابل عليه اسم ذلك الجبل المعين الذى تستخرج منه هذه الأحجار ، على أن هناك اسما قريب الشبه جدا من سيكيان يبدى أمام نراظرنا فى ناحية تقع قرب الأماكن التى كنا نتحدث عنها . يقول ابن حوقل : « ينبع نهر جيحون ( أو أكسوس ) داخل أراضى بدخشان ، ويتلقى مياه روافد أخرى كثيرة . ويخرج نهر الوخشاب من تركستان الى أرض وخش قرب جبل تمر فوقه قنطرة بين خولتان وحدود الوايش كرد ( وهى فاش غيرد عند دانفيل ) . وتوجد قرب وخش بعض نواح ( لما وراء النهر ) مثل ديخان وسكينة : والاثنان تابعتان للكفرة . . وتوجد فى وخشاب مناجم للذهب والفضة » ( ص ٢٢٩ ) . والراجح أنه يعنى بالكفرة ذلك الجنس من الناس المسمى بالكفار ، الذى توصف بالدهم وأحوالهم العجيبة فى الملحق الذى ذيل به ألفنستون كتاب Acc. of Canbul بعنوان كاوفيرستاون Caufiristaun ص ٦١٧ ، وهم الذين يعتقد بعضهم أنهم سلالة اغريق باكتريانا .

(٤) يقول أبو الفداء متحدثا عن بدخشان : « Inde effectur ol lazurd et ol bellanu, sen lapis lazuli et beryllus » . ( تقويم البلدان كتاب ٣٥٢ ) وأنظر أيضا فقرة بنفس هذا الفساد مقتبسة من ابن حوقل فى الهامشة رقم ٢ ص ٨٣ . ( كتاب المسالك والممالك ) .

(٥) يلاحظ ألفنستون أن « خير بلاد للتربية ( الخيل ) فى أقاليم كابول هى بلخ ومن تلك الولايات ( المتاخمة لبدهشان ) ومن إقليم التركمان بأدنى مجرى نهر جيحون ، يجلب العدد الأكبر من الخيل المصدرة » . ( ص ٢٩٦ ) أن عادة حذو الخيل تبدو غير ضرورية حيثما لا تكون الأرض حجرية ولا صلبة على نحو خاص . فهى فى سوماترة مثلا لا تحذى أبدا ولا فى جاوه اللهم الا فى بعض حالات فى شوارع باتافيا المرصوفة .

(٦) أن الشعير الوارد وصفه هنا هو النوع المسمى طعيا Hordeum nudum, hordeum glabrum and hordeum vulgaris seminibus decorticatis.

وتعبير بدون قشر ( Senza scorza ) الذى استخدمه مؤلفنا ، هو بالضبط الاسم النوعى الذى يطلقه عليه ليتايوس ( عالم النبات السويدي المشهور ) .

(٧) يستخرج الزيت ببلاد الهند من ذلك الحب Sesamun Oriental

بوجه رئيسى ، ويوجد كل من الجوز ( عين الجمل ) والبندق ، اللذين  
يمكن استخراج الزيت منهما ، بالأصقاع الشمالية لفارس .

(٨) يقول شارديان : « ان أكثر ولايات فارس وفرة فى الماشية هى  
ولاية باكتريانا ٠٠٠ الخ . وقد رأيت بها قطعانا من الغنم كانت تغطى  
مساحة من أربعة الى خمسة فراسخ من الاقليم » ( ج ٢ ص ٢٩ ، ٤ ) .

(٩) لا بد أن اقامة مؤلفنا فى بدخشان التى يشير اليها - مؤلفنا  
هنا ، حدثت فى الفترة التى أرسله فيها الامبراطور قبلای فى احدى  
المهام الى ولاية خراسان أو خوارزم وهى التى ورد ذكرها فى الجزء  
الأخير من الفصل الأول .

(١٠) يقول بوتنجر فى وصفه الزى الذى ترتديه نساء بيلوخ :  
« ان سراويلهن واسعة وسعا غير معقول ، كما أنها مصنوعة من  
الحريز أو من خليط منه ومن القطن » . انظر Travels in Beloochistan  
and Sindh ص ٦٥ .

## ٢٠ شواهد من الفصل السابع والعشرين

(١) يمكننى أن استنتج من الموقع الجنوبي أو يقول أصح الجنوبي الشرقي لهذا المكان بالنسبة لولاية بدخشان ، وكون المسافة تقارب المتنى ميل ، فضلا عن ظروف أخرى ، - أن المقصود من باسكيا ( وهى فى المخلصات باسسيا ) هو بايشور أو بيشاور ، وهى مدينة لا تبعد كثيرا عن الملتقى الرئيسى للأنهار التى تؤلف نهر السند أو الاندوس ، ويصفها فورستر بأنها ضخمة أهلة بالسكان ، ونتيجة لموقعها المختار ، فهى سوق مهمة وهى مسكن لتجار أغنياء . أجل انه يقول ان الذى أنشأها هو أكبر الذى بدأ حكمه فى عام ١٥٥٦ ، ولكن رغم أن ذلك الملك المستنير ربما أدخل التحسينات على بايشور ، كما أسس بالفعل مدينة أتوك ، أدنى من ذلك على النهر ، فان هناك دلائل فى « آيينه » تدل على أن بايشور كانت موجودة قبل زمانه . ان يذكر ذلك « الآيين » : « ان بكرام ، المسماة عادة باسم بايشور ، تستمتع بفصل ربيع بهيج . وبها معهد جوزيكيهترى ، وهو مكان يعد منتجعا دينيا وذلك لطائفة الجرجية Jowgies بوجه خاص » . ( انظر الآيين الاكبرى مج ٢ ص ٢٠٥ ) ليس هذا وصف مدينة حديثة العهد ، ولا هى ، لو أن سيده بناها ، ما ذكرها أبو الفضل بمثل هذه الاستهانة والعبارات البسيطة . على أن من الراجح على الجملة أن فورستر طبق على بايشور ما سمعه من أتوك .

(٢) من الواضح أن الناس الوارد وصفهم هنا ، ان لم يكونوا هنودا بالفعل ، فانهم شعب شقيق تقريبا . يقول الفنستون : « تماثل بيوت قبائل بيشاور وطعامهم وعادات حياتهم مثيلاتها عند البوسوفزيين . وللشباب أيضا بعض أوجه التشابه ، لانها خليط من زى الهنود والأفغانيين » ( ص ٣٥٩ ) .

(٣) يقول فورستر : « ان حرارة بيشور بدت لى أشد حدة من أى قطار آخر زرته فى المناطق العليا من الهند . ويصبح المناخ فى الانقلاب الصيفى ملتهبا أو يكاد » . ( مج ٢ ص ٥٠ ) . ويقول الفنستون : « تقع بيشاور فى واد خفيض تحيط به التلال من جميع النواحي عدا الشرق . ومن ثم فالهواء محبوس كثيرا هناك والحرارة يزداد



اشتدادها . وظل مقياس الحرارة فى صيف ١٨٠٩ ملازما لبضعة أيام  
درجة ١١٢° ، ١١٢° ، فى خيمة كبيرة مبردة تبريدا صناعيا .  
( ص ١٣٢ ) .

(٤) ويضيف فورستر قوله : « والأسواق مزودة بوقرة بالأطعمة  
ذات الأنواع الممتازة ، وبخاصة لحم الضأن الذى هو لحم الغنم ذات  
الذيول الكبيرة » . ( ص ٥٠ ) .

## • هوامش الفصل الثامن والعشرين

(١) لا شك أن المقصود بكلمة كزمور أو شزمور ( شريمور في الترجمات اللاتينية وكسيمور في الخلاصات الإيطالية ) هو كشمير .  
والحق أن المسافة بين بايشور أو بيشاور ، لم يكن ممكنا أن تكون أقل من مئتي ميل ، وفي منطقة جبلية ، فلا بد أنها تستغرق أكثر من رحلة سبعة أيام ، ولكن لا ينبغي لنا أن نتوقع دقة مضبوطة في هذا المصدد ، كما أن ما لدينا من خرائط تختلف اختلافا بالغيا في الموقع النسبي للمكانين . عن البيانات التفصيلية حول هذا الاقليم الشائق ، يستطيع القارئ الرجوع الى « الآيين الأكبرى ، ورحالت برنييه وفورستر ، وما كتبه رنيل في : Memoir of a Map of Hindocstan وكتاب Acc. of Canbul لالفنستون . ويبدو أن سكانها اiban الأزمان التى كتب فيها مؤلفنا كان معظمهم من الهندوك ، لأنها كانت فى عصور أقدم - تعد أحد المقرات الرئيسية لتلك الديانة وللأدب السنسكريتى . وأغرت الثروة المكتسبة من صناعتها ذائعة الصيت ، وقد استهيا الوثنية ، أطماع المسلمين كما أثارت حميتهم التعصبية ، فغزوها فى زمن مبكر ، ولكن نظرا لأنها لم تقع فى قبضة جنكيز خان ، أو خلفائه المباشرين ، فإن الحديث يدور عنها هنا على أنها مملكة مستقلة .

(٢) « من الجلى أن لغة كشمير » - فيما يول فورستر - « تنتزع من الأرومة السنسكريتية وتشابه فى صوتها - لغة الماهارتا » .  
( ص ٢٢ ) . ويقول الفنستون : « ان أهل كشمير أمة خاصة من الأرومة الهندوكية ، وهم يختلفون لغة وعادات عن جميع جيرانهم » . ( ص ٥٠٦ ) .

(٣) هذا يتفق مع ما ورد فى الآيين من أن : « الهندوك يعدون كشمير بأجمها أرضا مقدسة ، فيها خمسة وأربعون مكانا مكرسا لمهاديو ، وأربعة وستون لبيشن (Bishen) وثلاثة لبراهما واثنان وعشرون لدورجا ( ربة الجبال » ( مج ٢ ص ١٥٦ ) . ومن ثم فليس بعيد الاحتمال اطلاقا أن براهمة هذا القطر القصى والمقدس ، ربما كانوا هم الذين اسدوا جنوب الهند بكثير من أصنام الهتهم تلك المصنوعة من الحجر

والنحاس التى تمتلئ بها معابدهم : وذلك لأن الأوثان المصنوعة محليا ، كان لها ، قيما نظن ، كرامة فى بلدنا أقل من تلك المستوردة من أماكن قاصية اشتهرت بالقداسة .

(٤) يقول « الآيين الأكبرى » : « ان معظم تجارة ذلك القطر يتم نقله بالطرق المائية » . فان نهر جايلوم أو بيهوت الذى يفيض فى وادى كشمير ، كما أنه صالح للملاحة هناك ، يسقط مياهه الى نهر الاندوس ( السند ) بعد توحيدها مع مياه الشيناب والرافى ، غير بعيد من بلدة قولتان : ولكن لما كان مجراه بعد مغادرته ذلك الوادى يمر من خلال اقليم جبلى ، فان الملاحة لا بد أن تنقطع فى بعض الأماكن .

(٥) لئن كان سكان كشمير هندوكا فى ذلك الوقت ، الأمر الذى يحملنا كل سبب على اعتقاده ، وان أخضعت فى بعض الأحيان لنفوذ المسلمين ، فربما وجدنا من العسير التوفيق بين عادات ذلك الشعب وبين ما يذكر هنا حول طعامهم وأنه يتكون جزئيا من اللحم ، ولكن الواقع أن الطوائف الهندوكية ليست عمليا شديدة التدقيق فيما يتعلق باللحوم ، كما قد تحملنا سنن دينهم أن نعتقد . أضف الى هذا أنه لما كان أهل كشمير يشتهرون فى كل العصور بالخفة والانحلال ، قلن يصح لنا أن نترقع منهم — مهما تقدست أرضهم — مراعاة دقيقة لتعاليم الفيدا .

(٦) كان اعتدال مناخ كشمير على الدوام موضوعا للاطراء ، وكان سببا فى جعلها مصيفا لأباطرة هندوستان المغول : يقول « الآيين الأكبرى » : ان هذه الصوبة Soobah بأكملها تمثل حديقة تنعم بزريع دائم « ( مج ١٥٢ ) .

(٧) يكاد وادى كشمير ، الذى تحيط به وكوه التابعة للقوقاز الهندية ، يكون محاطا بجبال عالية ، ومن ثم فولوجه عسير على أى جيش ، ومع هذا ، فنظراً لما اتصف به الأهالى من طبع غير حربى فانه تعرض الكثير من الغزوات . ويضيف أبو الفضل قوله : « ان للتحصينات التى زودته بها الطبيعة ارتفاعا مدهشا » .

(٨) يبدو أن هؤلاء الرهبان يماثلون الرهبان البوذيين فى آثاوسيام ونساک (Gylongs) التبت ، الذين يقيمون فى مجتمعات ، تحت إدارة كبير ، يطلق عليه اسم سنكرا فى التطرين الأرلين واللاما فى التبت . وراضح أنهم مثل هؤلاء أيضا كانوا من البوذيين . ومع أن هذه الطائفة الحزمة ربما تكون اختفت من كشمير منذ تلك الأيام ، كما ذهبت من معظم ولايات الهند الأخرى ، فان أبا الفضل الذى كتب فى القرن السادس .



عشر يلاحظ أن بعضهم لا يزال باقيا في أيامه . فهو يقول : « في المرة الثالثة التي تبع فيها المؤلف الركاب الامبراطوري الى منطقة كشمير البهيجة ، التقى ببعض الشيوخ من رجال هذا الدين » . ( مج ٣ ص ١٥٨ ) وهو ينبئنا في موضع آخر : « أجل رجال هذا القطر هم « الريشيون kishis الذين لا شك انهم وان لم يعبوا ان يكلوا أنفسهم بأغلال النقاليد ( حكايات البوران Puranas ) ، فانهم من عبدة الله المخلصين . وهم لا يذمون أية طائفة أخرى ، ولا يسألون أى انسان شيئا . وهم يزرعون الطرقات بأشجار الفاكهة ليمدوا المسافرين بما ينعشهم ، ويمتنعون عن تناول اللحم ، ولا يباشرون الجنس الآخر أبدا . ويوجد بكشمير ما يقارب الألفين من أفراد هذه الطائفة » . ( مج ٣ ص ١٥٥ ) ،

(٩) يلاحظ أبو الفضل ، وهو يتحدث عن كهنة ديانة بودا في كشمير ، أنهم وان امتنعوا عن قتل الحيوان فانهم لا يرتضون أى نوع من الطعام يقدم اليهم ، وكل مامات من تلقاء نفسه عدوه مقتولا بيد الله وأكلوه تبعا لذلك . ( مج ٣ ص ١٥٨ ) ، وتوجد بين الهندوك طوائف كثيرة يسمح لها بتناول أنواع معينة من الطعام الحيوانى وان حظر عليهم مع ذلك سفك الدم .

(١٠) هنا يعطينا مؤلفنا أيضا منطقيا مستقيما ومفهوما للخطة التي يتبعها في وصفه الأقطار المعديدة التي دخلت في حيز مشاهدته أو معرفته ، ومما يؤسف له أنه لم يرسم خطا أوضح يفرق بين الأماكن التي شهد بها بنفسه وتلك التي جمع فيما يتعلق بها معلومات من غيره من الناس . وانى لأميل الى الاعتقاد بأنه لم يزر بلاد البنجاب ( أو الاقليم الذى تحتضنه الأنهار التي تؤلف الاندوس ( السند ) ، وأن ما يروييه عن بيشاور وكشمير ، استقاه أثناء إقامته الطويلة في بدخشان من أشخاص كانوا يرتادون تلك الأماكن بقصد التجارة .

## • هوامش الفصل التاسع والعشرين

(١) الآن وبعد أن ترسمنا خط وصف مؤلفنا عبر أقطار مكنزنا فيها كتابات رحالة آخرين من تبين مواعيد قدميه ، فاننا لم وجدنا أنفسنا الآن في منطقة يكتنفها قدر تكبر من الغموض وعدم التاكيد ، لم يجز أن ينسب الاختلاف الى أية زيادة في الغموض من جانبه ، قدر ما ينسب الى اعوازنا في المعلومات المقابلة لها من جانبنا ، وذلك نظراً لأن معرفتنا بهذه المنطقة معيبة الى حد كبير . ومع هذا ففيما يتعلق باسم قوخان وموقعها ( لأن هجاءها يختلف قليلاً في مختلف الترجمات ) ، فاننا لم نحرر نهائياً من أضواء مرشدة ، بين قديمة وحديثة . ويصير تعرفها ، ابتداء من علاقتها بمكان يسمى وايشجورد أو وايشكرد : وهو مكان يقول عنه ابن حوقل : « يخرج نهر وخشاب من التركستان الى أرض وخش قرب جبل توجد عنده قنطرة توصل بين خوتلان وحدود وايشكرد » ثم انه يجري من ذلك المكان نحو بلخ ويسقط في نهر جيحون قرب ترمذ » . ( ص ٢٣٩ ) ونحن نعثر في الفقرة التالية المقتبسة من الادريسي على مدينة قوخان وقد ربطت بالأماكن المذكورة هنا :  
« De regionibus finitimis Vachas (Wekhsh or Wakhsh)  
et Gil, sunt Vachan (Vokhan el Sacpita (Sakitah) in Terra Tore.  
( ص ١٤١ ) »

وهنا يظهر أن وايشجورد هي القطر الواقع بين بدخشان ونوخان ، التي يقول عنها مؤلفنا انه يحكمها أخ الملك الأولى . وما يذكره الادريسي حول هذا الوادي ، وكذا أقوال مؤلفنا عنه ، يؤيدها تماماً ما ورد في Memoir شرحاً للخريطة المثبتة في أول كتاب Acc. of Canbul حيث يقول الملازم ساكارتني متحدثاً عن نهر آمو أو جيحون (Oxus) ما نصه : « ينبع هذا النهر من مرتفعات بامير . وهو ينبثق من واد ضيق عرضه مائتان أو ثلاثمائة ياردة في ووخان ، وهي الحد الجنوبي لبامير ، وهذا الوادي محوط من ثلاث جهات بالجبل المرتفع المكلل بالثلوج المسمى بوشيوخور ، من الجنوب والشرق والغرب . ويرى النهر منساباً من تحت الثلج » . ( التذييل . ص ٦٤٦ ) . هذا وإن مجرد تحقيق أسم وموقع ناحية من النواحي ، على مثل هذا النحو من

الانعزال » ينبغي أن يعد اختيارا لا يمكن الاعتراض عليه لصحة وأصالة رواية رحالتنا .

(٢) ربما أمكن أن نستنتج من طول قرون هذه الحيوانات ، والاستخدامات التي كانت تستخدم فيها ، أنها نوع من الوعل أو تيس الجبل ، ومع أنها سميت مونتوني ، في الحالة الأولى ، فإنها ذكرت بعد ذلك تحت اسم بتشي أوتيس Boucs ، ويؤيد هذا الظن ما ورد عند ألفنستون في Account of Canbul يقول : « ان التيس موفرة بكل المناطق الجبلية للبلاد ، كما أنها ليست نادرة بأية حال في السهول . ولبعض أنواعها قرون عجيبة الطول مذهشة الالتواء ، » ( ص ١٤٤ ) . ويلاحظ . ر . فورستر أن هذه الحيوانات تسمى موفلون وموفيوني أي الضأن عند المؤلفين الفرنسيين واليطاليين .

(٣) نجد سهل اليامير المرتفع Pamer, Pamire, Pamir بجميع خرائط فارس البلدان المجاورة . وهو يشغل في الخريطة المرافقة لكتاب Georg. Memoir لمكدونالد كناير ، مكانا يتفق مع الأوضاع التي نستنتجها من وصف مؤلفنا .

(٤) هذه المنطقة الألبينية ، التي يسميها الجغرافيون الشرقيون بلور ، وضعت في خريطة سترahlenبرج ، ومنها نقلت ، فيما يظهر ، الى خرائط دانفيل ، ولكن موقعها بالنسبة لليامير والبدخشان ، سيتجلى انه أكثر اتفاقا مع بيان مؤلفنا بالرجوع الى الخرائط الحديثة التي وضعها مكدونالد كناير ومكارتني . وفيما يتعلق بطبيعة الاقليم يتحدث عنها ألفنستون بعبارات لا تختلف الا قليلا عن تلك المستخدمة في النص . حيث يقول ان عزة الله (Izzut. Hoollah) يدبج صورة مخيفة عن الزمهرير والقفر في هذه المنطقة المرتفعة ، التي تمتد ثلاث مسيرات في أعالي منطقة بالاقليم بين يرقند ولاي ( أولادوك ) . ه . ص ١١٣ .



## ● هوامش الفصل الثلاثين

(١) ان كاشجار أو قشغر ، مدينة معروفة ، ومستودع للتجارة المتبادلة بين بلاد التتار (Tartary) والهند والصين . وهي تقع في ذلك الجزء من التركستان الذي يطلق عليه الأوربيون اسم بوشاريا الصغرى ، وكانت فيما سلف عاصمة لملكة بنفس الاسم . وكانت ضمن الأماكن التي اجتاحتها جيوش جنكيز خان التي لا تقاوم . وعند تقسيم امبراطوريته أدخلت ضمن ميراث ابنه جاغتاي . وبعد زهاء قرن من زمان مؤلفنا فتحها تيمورلنك ، وفي ١٦٨٣ منحتها كنتايش الكلموك أي خانهم الأعظم ، الذي أخذ منه الصينيون عنوة الجزء الشرقي من بوشاريا الصغرى في ١٧٦٨ .

(٢) يقول ده هربيلوه : « يقول البرجندي ، انها بالغة الاتساع وانها تعد عاصمة للاقليم كله ، وان سكانها مسلمون ، وان كثيرا من العلماء نشأوا فيهم . وتحدث عنها يوميات رحلة ماكدونالد كنابر بأنها تقع في واد كثير الزرع قرب نهر جميل وان لم يكن صالحا للملاحة ، على السفح الجنوبي لسلسلة جبال تسمى تيروك دوان .

(٣) يبدو أن سكان بوشاريا ، الواقعة في الأجزاء الوسطى من آسيا ، يماثلون في عاداتهم التجارية وشحمهم الأرمنيين الذين ينتابون مدن الهند الرئيسية والذين يصفهم فورستر في « رحلاته » بأنهم مجدون وأذلاء وغير أمناء ، وأنهم يسلكون مختلف الطرق التجارية بهمة لا تعرف الكال ، وأنهم لا ينفكون يقيسون متعهم على قدر سعة ذات يدهم وثرانهم . - مج ٢ ص ١١٧ .

## ● هوامش الفصل الحادى والثلاثين

(١) من البين هنا ، أنه لكى يدخل المؤلف وصف مكان على أهمية سمرقند ، التى لعله زارها أثناء احدى رحلاته الرسمية ، فانه ينسلخ عن خط السير الذى كان يسلكه نحو كاتايا ، ويقوم بما يمكن اعتباره نزهة ( أو رحلة خلوية ) الى بوشاريا ( بخارى ) الكبرى أو ما وراء النهر . وقد استولى الخليفة الوليد على هذه المدينة الشهيرة من الفرس فى عام ٧٠٤ ، كما استولى عليها جنكيز خان من سلطان خوارزم فى ١٢٢٠ فأسلمها ليد النهب والسلب ودمر كثيراً من مبانيها على أنها ربما كانت تبرا من آثار ذلك البلاء فى مدى الخمسين أو الستين عاما التى مرت قبل الفترة التى نتحدث عنها الآن . على أن تيمورلنك أعاد إليها كل فخامتها وبهائئها القديم قرب عام ١٣٧٠ فأصبحت عاصمة لدولته المترامية الأطراف ، ولكن سقوطها فيما بعد فى يد التتار الأوزبكيين وبقاءها فى قبضتهم عند نهاية القرن الماضى ، أدى الى تدهور شأنها كثيراً .

(٢) نظرا لأن قشغر هي آخر مكان ذكر ، فربما جاز الظن بأنه يتكلم عن معالم سمرقند كما تبدو من هناك ، ولكن لما كان الاتجاه الواقعى ، بدلا من أن يكون شماليا غربيا (maestro) يكاد يكون غربيا بجنوب غربى ، فانه يحق لنا أن نتطلع بفكرنا على وجه أصح الى بدخشان ، التى أقام فيها طويلا ، والتى يعلن أنه يبدأ منها حديثه عن الطريق الى كاتايا . وخط عرض سمرقند . كما حسب على الربعية الجدارية التابعة ليدلوغ بك ، حفيد تيمورلنك هو ٣٧°٣٩ شمالا ، وخط طولها كما قدره الماجور رنل يقارب ١٥°٦٤ شرق جرينتش ، أو غربى قشغر بمقدار ٧١° . على أنهما وضعتا بخريطة دانفيل بمكان يبعد بضع درجات شرقا .

(٣) هذه احدى الحكايات التى وردت على سبيل الاستطراد والتى عادت بسوء السمعة على عمل مؤلفنا . وكان زجاتياى فعلا - كما يقول المؤلف - شقيقا لأكتاي ( أوجداي Ogdai ) الذى خلف والده فى منصب الخان الأعظم للمغول ، ولكن ليس لدينا سلطان بأنه اعتنق المسيحية فعلا ، وان لقي منه المسيحيون تسامحا كثيرا ، كما أن روبروكى

ومايتون - يقولون بأن خلفاءه المباشرين ومائكو حفيده وابن أخ زجاتاي ، عمدوا . ويذكر النص الذي ترجم عنه مارسدن أن الظروف انشار اليها حدثت قبل كتابة هذا الكتاب بمئة وخمسة وعشرين عاما ، وهو أمر يلاحظ عليه مارسدن بأنه مهما كانت ظروف تنصر زاجاتاي مشكوكا فيها أو غير محتملة ، فإن الصعوبة التي يسببها ذلك يمكن التغلب عليها وتذليلها بسهولة أكثر من التغلب على صعوبة المفارقة التاريخية . وذلك لأنه ان بدأ حكمه قرابة عام ١٢٢٧ وتوفي في ١٢٤٠ ، فإن الفترة التي انقضت في المدة التي دون فيها ماركو بولو رحلاته لا يمكن أن تتجاوز السبعين عاما ، حتى لو بدأت الحادثة عند حكمه ، بينما مدة ١٢٥ عاما ، كما هو وارد في النص ، تحمل الحادثة خلفا إلى ١١٧٣ ، يوم لم يبلغ أبوه إلا التاسعة من عمره فقط ويوم كانت العائلة مغمورة . وما أستطيع أن أعلل ورود هذا النوع من الخطأ السخيف ولا أن أستسيغه ، إلا على أساس الظن بأن التاريخ الذي لا يظهر في الترجمات اللاتينية أو الخلاصات الإيطالية ، كان مدسوسا في إحدى المخطوطات التي تابعها راموسير . ( والمخطوطات القديمة تتفق جميعا في العبارة المترجمة في الطبقة الحالية .

non è gran tempo che non est magnum tempus quod.



## ● هوامش الفصل الثاني والثلاثين

(١) لما كانت سمرقند منحرفة ، أو خارجة عن خط بطريقه الحالي ، فإن مؤلفنا يعود بنا أدراجنا الى مكان في بوشاريا ( بخارى ) الصغرى ، كان تابعا في ذلك الحين لملكة قشغر ، التي ألمعنا اليها في الفصيل السابق . وكان المقصود من كارشان أو كركان هو الناحية أو بعارة أصبح مدينتها الرئيسية : التي تشتهر أكثر باسم يركى ، وان تعرض هجاء اسمها لعدد من التحريفات بين كتاب الأزمنة التالية ، يعادل عدد ما في نسخ عمل مؤلفنا . فالملبشر البرتغالى بنيامين جويز يكتب الكلمة هكذا : « هيارشان » ، ويكتبها دوهالد : « ياركيان » ويوردها استراهلنبرج في خريطته : « جركن » *Jerken* أو هيارشان أو جوركان ، وهى عند دانفيل : « جنركن » ، كما أنها عند ده جنى : « يركن » ، وعند رحالقنا المعاصرين القادمين من جهة الهندوستان : « يرقند » . ويقول الملازم مكارتنى : « يبدو أنه بعد انقضاء خمسة أيام في المسير شمالا بشرق من كشمير ، يبدأ مرتقى واضح ، يظل وعرا جدا مدة ثلاثة أو أربعة أيام ، وهو أقل وعورة بعد ذلك حتى ليه ( والاداك ) . ويستمر المرتقى حتى السلسلة الكبيرة التي تفصل بين التبت ويرقند . انظر Acc. of Canbu ص ٦٤٦ . تذييل .

(٢) ان الورم الاستسقاءى الزمن للساق الى درجة فظيعة ، داء معروف بأجزاء كثيرة من الشرق ، ويسمى عند العامة ببلاد الهند « بسباقى الكوشن » . وعن بيان عن هذا النوع من « داء الفيل » *Elephantiasis* انظر كوردينر فى ( *Description of Ceylon* ) مج ١ ص ١٨٢ . أما فيما يتعلق بسبب هذه الأورام الغدية فى الحلق المسماه « بتضخم الغدة الدرقية » ( الجوتر ) ، كما يسميها مجمع اللغة العربية . فان الرحالة ورجال الطب كتبوا الشيء الكثير ، وهم على وجه الجملة ينسبونونه الى نوع الماء ، وان فذت الفكرة التي ترجعه الى ماء الثلج وقد تشجعت فى سكان آخر على التعبير عن رأى بأن هذه اصابات غدد الحلق ، يسببها الضباب الكثيف الذى يريم على سطوح الوديان بين الجبال العالية ولا يتبدد الا فى ساعة متأخرة من النهار *Hist. of Sumatra* الطبعة ٣ ص ٤٨ . انظر ورقة بارعة فى هذا الموضوع كتبها الدكتور ريفز نشرت فى مداولات مؤتمر الفلسفة فى عام ١٨٠٨ مج ٩٨ ص ١١١ .

## ● هوامش الفصل الثالث والثلاثين

(١) لا مرء أن اسم كوتان هو خوتن ( أو خوتان ) ( وهى يرتين وهى قيين عند الصينيين ، الذين يرققون النطق التترى ) ، وهى مكان مألوف فى أسماعنا بالاسم على الأقل ، بوصفه الموضع الذى يزود شطرا كبيرا من آسيا بالمسك ، الذى يعده الأهالى من أفخر أنواع العطور ، والذى لا يكف شعراء الفرس عن أطرائه . وفيما عدا هذا الظرف فإن معلوماتنا عنها ناقصة جدا . ويقول مالكولم : « ان خوتن كانت فى قديم الزمان على شىء من الأهمية ، كما أن رؤساءها كثيرا ما ترد أسماؤهم على الألسن ، وفتحها الصينيون فى عام ١٧٥٧ مع قشغر ويرقند وغيرها من الولايات الواقعة بنفس المنطقة ، وهى تشد الآن جزءا من هذه الامبراطورية الكبيرة . ويصفها شخص محترم من أهالى بلاد التتار ، زارها قبل حوالى عشرين عاما ، بأنها فى حالة انتعاش وازدهار ، وان كانت أصغر حجما من مدينة ويرقند ، التى تبعد عنها حوالى ١٤٠ ميلا . ولا تزال خوتن ، حسبما رواه ذلك الرحالة ، تشتهر بمسكها » . Hist. of Persia مج ١ ص ٣٢٤ ، هامشية .

(٢) نحن ، وان لم نجد سندا مباشرا يؤيد زراعة الكروم فى خوتن ، فلا يخامرنا الا القليل من الشك فى صحة ذلك ، إذ أننا نقرا عن حقول كروم العنب فى هامى أو خاميل الى الشرق ، فضلا عن قشغر الى الشمال من هذا المكان وفى نفس هذا الكانتون أو الناحية .

## ● هوامش الفصل الرابع والثلاثين

(١) يقتادنا سياق وصف مؤلفنا الآن الى أماكن تقع على الجانب الشرقى من خوتن والى جوار الصحراء الرملية الكبيرة ، ونحن هنا فى الظلام لا يرشدنا شىء الا الملاحظات القليلة التى زودنا بها . والموقع الذى حدده دانفيل لباين أوى - بن ( وهى فى الخلاصات بويم أو بوين ) وهو على سبع درجات طولية من خوتن ، يبدو أنه مبالغ فى زحزحته الى الشرق ، ومقترب أكثر مما ينبغى من تخوم الصين . وفى هذا رأى الذى ينطبق أيضا على الأماكن المتوسطة ، التى هى مدار الفصول التالية ، فانى اعتمد على رأى الماجور رثل الذى يقول : « اعتقد ان خرائطنا واقعة فى خطأ شديد فيما يتعلق بمواقع الأقطار الواقعة بين بوشاريا ( بخارى ) والصين ، وكلها فى رأى آخرت أكثر مما ينبغى عن بوشاريا نحو الصين » انظر Memoir of a Map of Hind ص ١٩١ .

(٢) يلاحظ هذا اليشب ، أو ضربا من الحجر الصلب يشبه اليشب ، العديد من المؤلفين ، على أنه السلعة التى ينتجها هذا الجزء من بلاد التتار ويتحدث جويز عن أنه يستخرج من قاع النهر قرب خوتن ، وربما كان هو نفس النهر الذى يجرى بعد ذلك الى باين .

(٣) ليست الحدود الشرقية لتركستان بواضحة المعالم ، ولكن يمكن على وجه الجملة اعتبار أنها تمتد على طول تلك الشقة من آسيا الوسطى ، التى يتكلم فيها الناس لهجات اللسان التركى أى اللفظة التركوتتية ، ولما كانت البخارية أو البوشارية - وان اختلفت كثيرا بالفاظ فارسية احدى هذه اللهجات ، فانه يتبع ذلك أنه لمؤلفنا كل الحق فى اعتبار الأماكن الواقعة داخل ما يسميه الأوربيون باسم بوشاريا ( أو بخارى ) الصغرى ، ويسميه الكتاب الشرقيون باسم مملكة قشغر ، جزءا من بلاد التركستان ، التى تصل تبعا لهذا الى تخوم صحراء كوى ( جوبى ) الكبرى . وهى تقسم من أجل السهولة جغرافيا الى التركستان الصينية والتركستان المستقلة ، اللتين تفصلهما بعضهما عن بعض



السلسلة الجبلية الكبيرة المسماة بيلورتاج وموش تاج أو ايماس .  
ويشير ألفنستون الى هذا التقسيم حيث يقول : « ان تلك القوافل التي  
تجىء من جهة الهند ) التي تذهب الى التركستان الصينية تبدأ من  
كشمير وبيشاور : وكابل هي السوق الكبيرة في تركستان المستقلة » .  
انظر (Acc. of Canbul) ٢٩٢ ( وكلمات الترجمة اللاتينية  
المبكرة هي : « Sunt de magna Turchia » .

## ● هوامش الفصل الخامس والثلاثين

(١) يبدو أن شارشان ( ووردت في نسخة راموسيو تشارتشان Ciarcian ، وفي طبعة بال واللاتينية القديمة كيارتيام ، وفي الخلاصة الإيطالية تشارشيان Ciarchian ) تتطابق مع شاخان بخريطة استراهلنبرج ، وإن كان موقعها يبدو على الأصح أنه موضع كراشاي . ويتحدث ده جنى عن منطقة تسمى تشن تقع الى الجنوب من هامى ، وقرب بحيرة لوب ولا يمكن أن تكون الا هذه . انظر Hist. gén. des Huns ج . الباب الثانى ص ١١ .

(٢) ان اسم المكان الذى يقال ان هذا اليشب يحمل اليه ورد أولت شاه أو أوكاه في نسخة راموسيو ، ولكن واضح أن ذلك كان خطأ . ونص العبارة الواردة في طبعة بال هو :

quos neg. def. ad prov. Cathay وهي في المخطوطات كاتاي : وهو الأمر المعلوم أنه هو الواقع .

(٣) هنا تقول الخلاصات الإيطالية بطريقة أدق أو تكاد ، « ما نصه » :

« Questa provincia e tutta piena de sabian par la mazzov parte ; e da cata (Kataia) infino a Poin (Peyn) e molto sabion ».

## • هوامش الفصل السادس والثلاثين

(١) تظهر بحيرة لوب على خرائط الجزويت ودانفيل • ونجد على الأخيرة منها أيضا مدينة تسمى « تانتالي أو تنكباش ، وهي مقر حكم الخان السابق لتاجازجاز ، وهي مدينة لوب عند ماركو بولو » ، ولكنه لا يظهر سنده في هذا الظن • يقول ده جنى متحدثا عن كياتيام ( أو شارشان ) ولوب : « هاتان المدينتان اللتان تكلمت عنهما من فـورى تبدوان كـنهما هما نفس اسمى كانتشيـو وهانكيون تشيو في خوتن ، ولكن يـخيل الى أن من المستحيل تحديد موقعهما الحقيقي » • ص ١٧ على أنه بدلا من اسم لوب الذى تحمله هذه الصحراء في نسخة رامسيو ، فضلا عن معظم الترجمات الأخرى ، فإن الاسم الوارد في الخلاصات الايطالية الباكورة هو جوب Job ، ويؤدى هذا الاختلاف في الـهـجاء الى نشأة الظن ، بأن المقصود بها هو كوبيى ، الذى يقال انه الاسم النـترى الأصلى • يقول دوهاـلد : « كل هذا المتسع ، ليس سوى أرض جافة ورملية ، وهي أشد بقاع بلاد القـتار جـديا • وهى التى جرت عادة الصينيين بتسميتها شامو ، وأحيانا كان هاى ، وهى كما يقولون بحر من الرمال • ويسمونها القـتار كـوبى » ج ٤ ص ٢٦ •

(٢) ان خريطة الجزويت الملحقة بأول كتاب « Description de la Chine لدوهاـلد ، تجعل الصحراء تمتد مع انقطاع جزئى بسيط ، من خط زوال بكين غربال الى خط طول ٣٥° محسوبة من تلك المدينة • واذن ، فإن استحالة عبورها فى ذلك الاتجاه واضحة تماما كما لاحظ ذلك مؤلفنا •

(٣) ان التطابق العام بين هذا الوصف ، اذ يراعى الناحية الفحلة للبلاد وطبيعة المحطات ، وبين البيان الذى دبجه الرحالة الممتاز جون بل من انترموني ، الذى عبر جزءا آخر من تلك الصحراء نفسها ، فى طريقه من سلنجنسكى الى بكين ، سيـجده القارئ رائعا مدهشا ، كما أن مما يسترعى النظر أن عدد الأيام المستخدمة كان ثلاثين فى الحالة الأولى ، وثمانية وعشرين فى الثانية وأهم فرق مـادى بين الاثنين هو أن بل التقى أثناء أيام رحلته العديدة بأغنام ، كما التقى بعد ذلك بقطعان من بقر الوحش ، فضلا عن سرب من طير السقـساق ، بينما



مؤلفنا لم ير بهيمة ولا طائرا أثناء عبوده . ولكن ليس بمستبعد أن تكون الصحراء أكثر جدبا وأشد عبوسا في نهايتها الغربية ، كما أن من المعتول في الوقت نفسه أن نظن أن خط الطريق الذي اتخذته الحكومة الصينية للمواصلات مع الممتلكات الروسية يقع خلال تلك الجهة التي يمكن العثور فيها على وسائل العيش . كما أن من الممكن أيضا أنه قد حدثت بعض التغيرات في مدى الأعوام الأربعمئة والخمسين ، وأن سلالة من الغنم ربما تكون حملت إلى تلك الأصقاع التي أظهرت بعض بوادر الانبات .

(٤) تجد في أعمال الجغرافيين الصينيين أن هذه الحكايات البلهاء موضع التصديق العام في منطقة بلاد القنار الموصوفة هنا .

## • هوامش الفصل السابع والثلاثين

(١) بعد عبور درب ضيق في الصحراء الكبيرة ، في اتجاه يمضى من مدن مملكة كشاف نحو الغرب نقطة في الصين ، يقتاد الطريق مؤلفنا بصورة طليعية الى مكان يسمى شاتشيو حسب النطق الفرنسى والانجليزى . يقول ده جنى : « توجد الى الشرق من بحيرة لوب مدينة يسميها ماركس بولس ساشيون ، وهى شاتشيو أى مدينة الرمل عند الصينيين » . ( ص ١٢ ) وسيتجلى ان تحريف هذا الاسم من شاتشيو الى سانشيون انما يرجع أساسا الى صعوبة تمييز حرف الانجليزى من حرف U فى المخطوطات ، وسيتجلى أن نسبة ضخمة من أسماء المدن الصينية ، الواردة فى الأجزاء التالية من العمل متأثرة بنفس هذه الغلطة . ويقع المكان على حوالى أربع درجات الى الغرب من سوتشيو ( وهى موقع عسكري مهم على الطرف الاقصى الغربى من ولاية شن سى ) ، وتحكم فى مدخل الممر أو الخانق الشهير الموجود بين الجبال ، والمسمى يانج كوان . وورد فى تاريخ جنيز خان ، تأليف بتى ده لأكرواه أن احتلاله لهذا الموقع الحصين كان مزية عظيمة عادت بالفائدة على ما تلا ذلك من عملياته على الولايات الجنوبية بالصين « ( ص ٤٨١ ) . وربما بدا ضربا من الاعتراض على هذه المطابقة بين هرية سانشيون وشاتشيو ، التى تقع فى الطريق المباشر الى - وعلى غير مسافة بعيدة من - ولاية شن سى الصينية ، ما ورد فى الفصل التالى من أنه يمضى متحدثا عن مكان غير متوسط ، ولكنه على العكس أكثر بعدا عن الحدود ، كما أنه يقع فى اتجاه مخالف . ولكن ينبغي ألا يغيب عنا أن عمل مؤلفنا ليس مجرد دليل للسائحين وأنه يعترف أنه يصف أجزاء لا تقع على خط رحلته الأصلية ، وانما لعمله قام بزيارتها فيما بعد وهو فى خدمة الامبراطور . وهنا أيضا ، قد يصح لنا أن نلاحظ أنه لا يعطى أى تقدير للمسافة ، كأنما الطريق مستمر ، لكنه ينتقلت ليتحدث عن أماكن أخرى ، « عند رأس الصحراء » .

(٢) ليس من غير المؤلف أن نعد اسمى تانجوت والتبت وكلاهما اقتبسهما الفرس عن المغول ، اسمين مترادفين ، غير أن الاسم الأول ينطبق على جزء أكبر من بلاد القطار ، يتأخم الولايات الغربية من الصين ،

ريختم التبت في قسمه الجنوبي ، بينما قسمه الشمالى يشمل النواحي التى يتجه مؤلفنا الآن الى التحدث عنها . ومع هذا فانه حسب تعريف دوهلند ، لا يمتد متوغلا الى الشمال بهذا القدر الى الموقع المخصص لمدينة شاتشيرو فى خريطة الجزويت .

(٣) وصف مؤلفنا سكان مناطق الجهة الغربية لصحراء لوب أو كويى بأن معظمهم من المسلمين ، ولكنه عند عبور تلك الشفة والدخول الى ولاية تانجوت ، أو سيفان ، كما يسميها الصينيون ، اذا هو يصف الأهل بالحق بأنهم من عبدة الأوثان . وهو يعنى بالوثنية هنا ، الدين الذى يعرف بأنه ديانة اللاما الأعظم ، أو الملك الروحى ، الذى يعتقد أتباعه أنه سرمدى خالد ، بواسطة التجدد ( الانبعاث الروحى المتعاقب لنفس الشخص الواحد فى أجسام مختلفة ، ولكنهم لا يعبدونه ، كما جرى بذلك الظن . وانما تقدم عبادتهم الى عدد من تماثيل الآلهة ، وعلى الأخص الى صنم ، غالبا ما يكون هائل الحجم ويسمونه « شاكيما مونى » . وذلك هو البوذا الوارد ذكره فى الأساطير ( الميثولوجيا ) الهندوكية ، والذى تنتشر عقيدته انتشارا أوسع بكل أرجاء الشرق من عقيدة محمد نفسها . ويعبد هذا « البُد ( الوثن ) » نفسه فى كل من آفا وبيجو تحت اسم جوتاما ( بدرجة متساوية مع شاكيما وهو نعت أو خصيصة لبوذا ) ، ويعبد فى سيام باسم « سامانا كودوم » ، وفى كوشن شين وتونكين باسم « بوت » « وثيكامونى » ، وفى اليابان باسمى شاكا وأميدا بوت Butli ويعبد بالصين حيث ينتشر نفس ذلك الدين بين الجمهرة الغفيرة للسكان باسم فو أو فوه . ويبدو أن كثيرا من المعبودات الأخرى تنسب الى الميثولوجيا البرهمانية ، كما أن لبعضها طابعا محليا . وواضح فى الحين نفسه أنه ، فيما يتعلق بالشكليات والمراسم ، التى ستسنع الفرص للمزيد من الحديث عنها فيما بعد ، فإن الكثير منها قد اقتبست من النساطرة المسيحيين .

(٤) تلك اللغة هى التى نسميها لغة التبت ، وهى لغة وحيدة المقطع (Mono-syllabic) من حيث أساسها ، مثل الصينية وإن اختلفت عنها من جميع الأوجه الأخرى . وحروف الكتابة تشتهر على الأعم باسم التانجوت أو التانجوتية وينبئ ترتيبها الأبجدى أنها من أصل ناجرى أو سندسكريتى .

(٥) عن المباني الكثيرة والرحبة المشيدة بقطر ، يكرس فيه كل موالود رابع ذكر فى عائلة لحياة الدير ، نجد اشارات كثيرة فى كتابات الرحالة وبخاصة فى كتابات بعثة بوجللى فى ١٧٧٤ ، وبعثة ترنر فى ١٧٨٣ ، الى بلاط اللاما الأعظم الجنوبى . واللوحات الملحقة بتقرير



الثاني مذهباً تزود القاريء الطلعة ( يضم الطاء وفتح اللام والعين )  
 بخثرة رائعة عن المظهر الخارجى لهذه الأديرة التى يضم بعضها من  
 ألفين الى ثلاثة آلاف راهب (Gylongs) ويظهر شغل منقوش لنفس  
 الموضوع أيضا بين اللوحات المتعلقة بسفارة اللورد مكسارتنى الى  
 الصين . فأما مختلف الظروف المرتبطة بذلك المبانى من الداخل فيمكن  
 الاطلاع عليها فى البيان الممتع الذى كتبه ترنر ، وكذا على وصف عام  
 مصحوب بخريطة أرضية فى Hephabetam Tibetanum جى ص ٤٠٧ .  
 ونجد فى Mem. conc. les Chinois بيانا تفصيليا عن ال مياو « Miao »  
 الكبير أو دير بوتاك ، بمدينة لها سا ، الذى يبلغ ارتفاعه ٣٦٧ قدما  
 وأربع بوصات .

(٦) يتمشى الاحتفال الوارد وصفه هنا ، والذي تبدو التضحية  
 بالشاة وكأن المقصود منها أن تكون فدية للطفل ، الذى يمكن أنه قد  
 كرس عند ولادته للاله الحارس أكثر منه وضع فى رعايته ، - مع  
 ملاحظه ده جنى الأصغر عادة يرعاها جيران هذا الشعب . يقول هذا  
 الرحالة : « كما أن الصينيين يبتهلون الى الجن فى كل مناسبات الحياة ،  
 فليس بمستغرب أن يضرعوا اليها ابتغاء الحصول منها على صيانة  
 أطفالهم . وعندما يخشون من فقدما يكرسونها لأحد الآلهة » . ( انظر  
 Voyage à Péking مج ٢ ص ٣٥٩ ) . ويقال ان عادة مماثلة لهذه  
 توجد ببلاد البنغال .

(٧) لا تقوم مراسم التكريم الخاصة بالحرق الجنازى الا الى  
 اجساد الشخصيات التى تتبوا أرفع مكان ، فأما أفراد الطبقات الدنيا ،  
 فانهم يتركون فى أماكن غير مطروقة وأحيانا على قمم الجبال لئلا تلتهم  
 الطيور الكاسرة والحيوانات الضارية .

(٨) يعم بلاد الشرق جملة ذاك الانعان المطلق لمهارة المنجمين فى  
 تحديد الأيام والساعات الموائمة للقيام بجميع الأعمال ، العام منها  
 والخاص ، والجليل أو التافه .

(٩) ظهر أن هذه العادة منتشرة عند الصينيين الذين كان يشترك  
 معهم فى أشياء كثيرة ، سكان قطر ، على مثل هذا القرب من حدود  
 الامبراطورية ( الصين ) ، وهو القطر الذى يصفه مؤلفنا الآن . ويضيف  
 دوهالد : « وتنتشر بينهم عادة عمل فتحات جديدة فى بيوتهم عندما  
 ينبغى حمل جسد أحد ذوى ترباهم المتوفى الى مقابر العائلة ، ثم العودة  
 الى اغلاقها فوراً ، وذلك رغبة فى تجنبهم ويلات الألم الذى ستسببه  
 لهم الذكريات الكثيرة للمتوفى ، والتى ستتجدد فى كل آن يمرون فيه

من نفس الباب الذى خرج منه النعش » . ( ص ١٢٨ ) . على أن هذا التشاؤم الوارد ووصفه هنا ليس قاصراً فحسب على الأرجاء الشرقية من العالم ، إذ جرت العادة فى مدن أو قرى شمال هولندا ( كما بلغنى فى نفس المكان ) لا يمكن أن تحمل الجثة من الباب الأمامى أو الرئيسى ، وإنما تحمل من خلف البيت .

(١٠) ترى ، أيمكننا الظن بأن بعثات المبشرين ( الارساليات ) استقت معرفتها بعبادات هذا الشعب من كتابات مؤلفنا ، الواقع أن التشابه لا يمكن أن يكون أتم مما نعثر عليه فى فترات متنوعة عند دوهالد .

(١١) لاحظت جميع البيانات ، المكتوبة عن احتفالات هذا الشعب الرنين المرتفع لموسيقاه .

## • هوامش الفصل الثامن والثلاثين

(١) ان كامول ، التي يقال ان التتار ينطقونها خاميل أو هاميل ، مع زفرة حلعية قوية ، هي هامى بخريطة الجزويت ، وقد رقت في النطق الصينى من خاء الى هاء شان لقب « خان » ان يرقق الى « هان » . وقد ورد قيما رواه بـ جوين أنهم بعد أن غادروا مكانا يسمى كيامليس ( وهى جلدس بخريطة استراهلنبرج ) ، ومروا أمام آخر يسمى بوكيان ، تابع أيضا لمملكة كاسكار ، وصلوا الى تورفان واقاموا هناك شهرا . وبعد ذلك بلغوا أراموت ثم كامول وهى مكان مزود بدفاع قوى . فاقاموا به مع خيولهم شهرا آخر . حتى اذا غادروا كامول وصلوا فى مدى تسعة أيام الى هذه الأسوار الشمالية للمملكة الصينية ، عند مكان يسمى شيانتيكون ( كيا يوكران ) . والآن وقد وصلوا أخيرا الى داخل أسوارها ، فانهم وصلوا فى مدى يوم واحد داخل مدينة سوتشيو : (So-Cheu) انظر (Hist. de l'Exp. Chrest) تأليف تريجوه ص ٤٨٢ - ٥ ) ومع هذا فان المسافة من هامى الى سوتشيو ، وهى أشد مدن الصين اسعانا فى الغرب ، وهى فى الخرائط حوالى ٢٨٠ ميلا ) تصبح بهذا رحلة تتجاوز عشرة الأيام للمسافر بالقافلة .

(٢) سيوضح أن هذا البيان عن موقع كاؤل يتقابل بالضبط مع موقع هامى ، التى تشغل هى وتورفان ، شقة من أرض صالحة للزراعة تبدو كأنها تكاد تقسم صحراء كوبي الكبرى الى جزئين . انظر خرائط الجزويت المرفقة بكتاب Descrip. de la Chine هالد شاهر - ١٣٧٧ : ١٤٧٧ ) .

(٣) كانت لهذا المكان حكومة اسلامية ، ابان فترة سفارة شاهر ، التى تمت بعد قرن ونصف من زيارة مؤلفنا له .

(٤) يقول جرييون : « ان هذه البلاد شديدة القىظ صيفا . وتنمو بها مقادير من الفاكهة الطيبة » . ( ص ٥٤ ) ويلاحظ الأب جروزييه ( رئيس الدير ) « ان اقليم هامى ، وان كان محوطا بالصحراوات ، فانه يعد من أبهج الاقاليم فى العالم . وتنبت أرضه محاصيل موفورة من الحبوب ، والفواكه ، ونباتات بقلية ، وكلا للرعى من جميع الأنواع . والأرز الذى ينمو هنا يجد تقديرا خاصا بالصين . . . وليس هناك فاكهة



أشهى ولا هي موضع اقبال أشد من قاوون هامى ، الذى يحمل الى  
يكنى أيقدم على مائدة الامبراطور . . ولكن أنفع انتاج للقطر وأشدّه  
تقديراً عند الناس هو الزبيب . انظر Gen. Descrip. of China  
مج ١ ص ٣٣٣ .

(٥) يقول البروفسور أميوه متحدثاً عن سكان هذا الجزء من  
القطر : « تتألف تسلياتهم من الغناء والرقص . وهم يلتئمون جماعات  
من خمسة أو ستة من الرجال والنساء التتأم الحابل بالنابل ، ويتماسكون  
بالأيدي ، ويدورون جماعة ويثبون بضع وثبات من وقت لآخر » .

( انظر : Mem. Conc. les Chinois ١٤ ص ١٥٢ ) وما كان  
ينبغي لنا أن نتوقع ورود القراءة والكتابة بين انشغالات طائفة ومثانئة،  
ولكن ينبغي أن نعامل بشيء من التسامح تحيزات شخص ( كالمؤلف )  
تربى فى بلاط تترى . ويمكن العثور على بيان تفصيلى عن طريقة  
وأدوات الكتابة عند هؤلاء القوم فى كتاب : Alphabetum Tibetanum  
ص ٥٦١ - ٧ .

(٦) أورد ألفنستون فى Acc of Canbul وصفا للعادات  
المنتشرة بين القبائل ، التى تسكن الشقة الشرقية من جبال باروبا ميسان ،  
وهو قريب الشبه جداً بما يذكره مؤلفنا ، بحيث سرنى جداً سnoch  
فرصة تحقيق صحة أقواله بسند محترم كهذا الرجل . يقول ألفنستون :  
« كثيراً ماتكون النساء حسناوات . . ومن المسلم به بين الناس جميعاً  
أنهن لا يشتهرن بأية حال بالتمسك بالعفاف ، بيد أنى سمعت حكايات  
مختلفة حول خلاعتهن وفسوقهن . والنساء فى الشمال الشرقى ، وهو  
أكثر أجزاء البلاد مدنية ، يعرضن أنفسهن للبغياء بأجر معلوم ، بينما  
يخلى أزواجهن لهن الجو . . وفى أجزاء أخرى من البلاد ، تنتشر  
عادة تسمى كوروبستاون ، يعير بها الزوج زوجته لأحضان ضيوفه .  
وهو يضيف فى هامشة « ان هذا شيء مغولى : فان أحد قوانين الياسا  
(Yasa) يحظر الزنى . على أن سكان كايادر التمسوا الحصول  
على اعفاء منه ، وحصلوا عليه ، وذلك بسبب عاداتهم القديمة من اعادة  
زوجاتهم لضيوفهم » . ص ٤٨٣ .

## • هوامش الفصل التاسع والثلاثين

(١) يشير كتاب L'hist. gèn. des Huds أن اسمه تشن تشن ، ظن بعضهم أنه تشنتشيتالاس عند مؤلفنا . وينبغي أن نلاحظ أن « تالا » معناها في المغولية التتزية « السهل » وأن معنى تالاي أو دالاي هو « البحر أو البحيرة الواسعة » : واذن ، فيمكن أن تعتبر تالاس تسمية صينية ومتميزة عن اسم العلم . يقول ده جنى : « هذا الاقليم الذى يحمل فى التواريخ الصينية اسمى ليولان وشن شن ، يقع فى وسط هامى . وكان يكون فى ماضى الزمان مملكة صغيرة كانت عاصمتها كان نى تشنج وهى مجاورة لبحيرة لوب . وهذا الاقليم يجذب كله ، مليء بالرمال ، ولا يجد المرء فيه الا القليل من التربة الصالحة . وتعداد من فيه من السكان يقارب الخمس عشرة مئة عائلة . وهؤلاء الناس ينتجعون المراعى التى يغذون عليها الحمير والخيول والجمال . وهم يستمدون اغذيتهم ولوازمهم من البلاد المجاورة . وتشيع بينهم نفس عادات أهل التبت جيرانهم فى الجنوب الشرقى . . . وانى لاعتقد انه فى هذا الكانتون بالذات ينبغى وضع الولاية التى يسميها ماركو بولو باسم تشن تشن تالاس المجاورة للصحراء الكبرى ، والتى كان يقيم بها بعض النساطرة والمسلمين والوثنيين . ( مج ١ جزء ٢ ص ١١ ) على أن فى الامكان مع ذلك الشك فى أن تشنتشيتالاس ليست كياليس أو تشياليس عند ب . جويز ، وهى التى يصفها بأنها مكان تابع لملك قشغر وليست على كبير بعد من تورفان وكامول .

(٢) عن هذا الفلز الذى ورد بالنسخة اللاتينية Audanicum أو Andanicum وفى ايطالية الخلاصات Andranico و Andronico انظر الهوامش ٤ فصل ١٤ ، ١ فصل ٢٠ .

(٣) لا سبيل الى الشك فى أن ما تسميه النسخ المختلفة هنا بالسمندر كان فى الحقيقة هو الأسبستوس .

( والعبارة فى النص اللاتينى المبكر هى :

Et in istamontana est una alia vena unde fit Salamandra.

( والسمندر أو السمندل عظاما ( سحالى ) خرافية زعم أنها قادرة على العيش فى النار ( عن المورد ) .

(٤) يوصف الأسبستوس بأنه حجر محتفر يمكن شقه خيوطا  
أو أليافا طول الواحدة منها من بوصة الى عشر بوصات ، وكلها دقيقة  
جدا وهشة ولكنها قابلة للسحب الى حد ما ، وحريرية وذات لون مائل  
للرمادى . وهى غير قابلة للذوبان فى الماء ، كما أن لها الخاصية  
العجيبة وهى عدم الاحتراق فى النار . يقول المسير برونيار : « كانت  
للأسبستوس فيما سلف من الزمان منافع عجيبة . فان القدماء الذين  
كانوا يحرقون الجثث ، كانوا يتخذون منه قماشا غير قابل للاشتعال  
رغبة فى الاحتفاظ برماد تلك الجثث دون أن يختلط بها شيء . وعندما  
تكون الألياف هذا الحجر على قدر كاف من الطول وكاف من النعومة  
والمرونة ، يقبل الناس على غزله خيوطا ، وبخاصة عندما يخلط  
بالمكتان . ويمكن أن ينسج منه بوجه خاص قماش له المتانة والمرونة  
المزاسية ، حتى ولو حرم ، بواسطة تعريضه للنار ، من الخيوط النباتية  
التي كانت داخلية فى نسيجه . فعندما ينسخ هذا القماش تعيد اليه النار  
بريقه الأول . - انظر : *Traité élémentaire de minéralgie* مج ١ -  
ص ٤٨٢ .



## ❶ هوامش الفصل الأربعين

(١) هذا الاسم يبدو من جميع الظروف المذكورة هنا أن المقصود به هو سويتشيو ، وهي مدينة محصنة تقع في الجزء الغربي المتطرف لولاية شن سى أو حدود الصين بتلك المنطقة . على أنها لم تكن فيما سلف تابعة للامبراطورية بل لأمة تترية مستقلة . يقول ده جنى :

« ان أشد أجزاء ولاية شن سى تطرفا نحو الغرب نظرا لأنها تكون جزءا من بلاد التتار ، فأننا نعتقد بوجوب ذكرها هنا ، بدرجة أشد من الإشارة إليها لتوضيح أقوال ماركو بولو . وفى عهد أسرة سوي (Sui) كان الناس يسمون هذه المنطقة بأجمعها سويتشيو . . . ثم انتقلت بعد ذلك الى سيادة شعوب توفان ، وبعد ذلك بزمان يسير استردها الصينيون ، وهي اليوم تكون جزءا من شن سى » . ( مج ١ جزء ٢ ص ٩ ) . وأول ملحوظة لدينا عن هذا المكان بعد زمان مؤلفنا ، هي تلك التي وردت عن سفراء شاه رخ فى ١٤٢٠ . « ان سكجيو ( التي يكتبها ده جنى ، ربما عن ترجمة مختلفة ، سوكجو ) مدينة عظيمة وحصينة على شكل مربع مكتمل التربيعة ، فهذه المدينة اذن هي أول مدن خانائى ، وتبعد مسيرة تسعة وتسعين يوما عن مدينة كان باليك ، التي هي مقر السدة الامبراطورية ، وتفصلها عنها منطقة شديدة الازدحام بالسكان ، وذلك أن المرء ينزل فى كل يوم ببدة كبيرة » .

انظر Relations de Thevenot مج ٢ .

(٢) الظاهر أن تغييرا كليا حدث أثناء مدة القرون الثلاثة الطويلة التي انقضت بين زمن مؤلفنا وبين عصر بندكت جريز فيما يتعلق بالسكان المسيحيين الذين لم يجد لهم أثرا : وذلك ناتج عن تغلب المسلمين فى ذلك الصقع .

(٣) لاحظ جميع الكتاب الذين كتبوا عن هذه الولايات وفرة نمو الراوند بالمنطقة الجبلية التي تشكل الحد الغربى لبلاد الصين . وستجدون فى كتابات البروفسور بالاس بيانا خاصا عن تجارة تلك السلعة ، التي يحصل عليها الروس فى كياكتا من القطر الذي نتحدث عنه ، بواسطة تجار عملاء من بخارى يقيمون فى نفس الموقع .

## ● هوامش الفصل الحادى والأربعين

(١) لى سلما بأَن المقصود من سوير هو سوتشيوى ، لاستتبع ذلك أن كامبيون ، أو كما ظهر فى الترجمات الأخرى ، كانبيون وكامبسيون ، هى مدينة كان تشيو ، وهى كام جى عند السفراء الفرس ، وكام تشك لدى جونسون ، وكان سيو عند جويز . ويذكر جونسون أنها تبعد خمس مراحل عن الأولى ( سكوير ) .

(٢) ان الأهمية النسبية لكان تشيو فيما يتعلق بسوتشيوى وغيرها من مدن ذلك الجزء من شن سى ، ظلت هى هى بلا تغيير على كـر العصور جميعا . ويلاحظ سفراء شاه رخ ، أن الحاكم الذى يقيم بها كان رئيسا على جميع حكام الأماكن المتاخمة ، ويقول جويز : « فى إحدى هذه المدن التابعة لولاية اسكنسى وهى المسماة كانسيو ، يقيم نائب الملك مع كبار الحكام الآخرين » . ( ص ٤٨٦ ) .

(٣) ليس زوال هذه الكنائس فى مدى ثلاثة قرون ، أو حتى فى زمن أقصر كثيرا ، والراجح أنها كانت مبنية من الخشب ، حجة على عدم وجودها فى زمن مؤلفنا . ولم يحصل الجزويت على موطنهم قدم بالصين الا فى نهاية القرن السادس عشر ، حيث بدءوا البحث فى موضوع انتشار المسيحية مرة أسبق فى ذلك الصقع من العالم . وفى أثناء تلك المدة حدث انقلاب تام فى الحكومة الصينية ، حيث خلفت أسرة يوان أو الأسرة المغولية التتارية ، التى تميزت بتسامحها - أو عدم اهتمامها - ازاء الشئون الدينية ، - أسرة منج الوطنية ، التى كان أمراؤها متأثرين بسياسة مخالفة ، فحرموا اللامات والقساوسة المسيحيين من حماية القانون ، منذ كان المظنون أن أسلافهم كانوا شديدى التعلق بهاتين الطائفتين . وفى قريب من تلك المدة أيضا ، نشط المسلمون للعمل ، بعد أن كثروا بقشغر وغيرها من الأماكن الواقعة على حافة الصحراء ، - ونجحوا فعلا كما هو واضح فيما بذلوا من محاولات للقضاء على منافسيهم . ويرسم جويز صورة قوية للمتعصب الوقح لهؤلاء المتعصبين فى المدن التى اخترقها طريقه ، من هندوستان ، بطريق لاهور وكابل ، الى الصين .

(٤) يبدو أنه في جميع الأقطار التي تنتشر فيها عقيدة بوذا ، يكون من دلائل الخير الدينية ، إقامة تماثيل له ذات ضخامة هائلة ، مع طلائها بالذهب في أحيان غير قليلة وتلك هي القاعدة التي نجدها مرعية باليابان وسيام وآفا ، فضلا عن بلاد التتار والصين . وشاكاموني هو أحد الأسماء الهندوكية لبوذا . ويتحدث البروفسور جريبيتون أيضا الذي صاحب امبراطور الصين في رحلته الى بلاد التتار ، عن التماثيل الهائلة ، التي ظهر حين قياس أحدها بآلة المربع ، أن ارتفاعه يبلغ سبعة وخمسين قدما صينيا .

(٥) مع أن تماثيل بوذا تمثل عادة جالسة القرفصاء ، وسيقانها متربعة ، فإن بعض هذه التماثيل المهولة تمثل في وضع مضطجع ، كما أنها محوطة بتماثيل في وضع صلاة أو تحية ، ويذكر السفراء الذين زاروا هذه المدينة في ١٤٢٠ ، أوثانا من نفس ذلك النوع الخارق ، كما أنهم يؤكدون بطريقة أخاذة صدق أقوال مؤلفنا . يقول كوردنر في كتابه Description of Ceylon : « في كل معبد متكامل ، يوجد تماثيل هائل لبوذا في وضعة اضطجاع ، فضلا عن عدد ضخم منها بين جالسة وواقفة ، وكلها لا تزيد عن الحجم الطبيعي » . مج ١ ص ١٥٠ .

(٦) يقول ترنر متحدثا عن الهيئات الدينية في التبت : « ان مشغلتهم الأساسية تنحصر في أداء فرائض عقيدتهم . وهم معفون من العمل ، ويفرض عليهم قلة الطعام والامتناع عن المسكرات . ويحظر عليهم كل اتصال بالجنس الآخر » . ص ١٧٠ . وطبقا لما ورد في Chines Dictionary لموريسون : « يتلقى كهنة طائفة فوه أوفو ( الذين يلقبون هوشنج وسلنج شامون ) السنن الخمس التالية : ألا يقتلوا الكائنات الحية ، ألا يسرقوا ولا ينهبوا ، ألا يأتوا الفاحشة والزنى ، ألا يقولوا الكذب ، ألا يشربوا خمر » . ص ١٥٧ .

(٧) يقول ترنر : « ان نفس الخرافة ، التي تؤثر في رأيهم في شئون العالم ، تتغلغل بالمثل في حساباتهم العامة . وعلى هذا المبدأ يؤسسون تقويمهم العام للزمن . وبين يدي الآن أحد تلك التقاويم ، وعندى على قدر ما أفهمه فيه بناء على ما شرح لى أن ميزته الكبرى تنحصر في احتوائه خلاصة للأوقات السعيدة والمنحوسة » . ص ٣٢٠ .

(٨) لم يحدث حتى الآن في سياق الكتاب ، أن كانت أقوال مؤلفنا المباشرة على مثل هذه الدرجة من الاختلاف مع المعلومات الحديثة ، كما حدث في هذه المسألة من انتشار عادة تعدد الزوجات بين سكان تانجوت . ويخبرنا بوجل بعبارة قاطعة أنه لا وجود لتعدد الزوجات



ببلاد التبت ، بالمعنى الذى نتلقى به هذه الكلمة عادة ، ولكنه يوجد بطريقة كريهة أكثر للآراء الأوربية ، فى تعدد الأزواج ، وأن من المؤلف أن تكون للآخرة فى عائلة زوجة مشتركة انظر (Phil. Trans.) مج ٦٧ ص ٤٧٧ ، وانظر كراوفورد Sketches مج ٢ ، ص ١٧٧ ) . وهذا ما يؤكد ترنر حيث يقول : « ان عدد الأزواج - على مبلغ علمي - غير محدود ولا مقيد بأية حدود ، فيحدث أحيانا ألا يكون هناك فى عائلة صغيرة الا أنثى واحدة ، وقلما تجاوز العدد ذلك فيما يحتمل ، وهو أمر أوضحه لى وجيه له مكانته من الأهالى أثناء اقامتى فى تيشولومبو ، فى عائلة مجاورة له ، فهناك كان خمسة أشقاء يعيشون جميعا - بسعادة بالغة مع أنثى واحدة مرتبطين وإياها برباط زواج واحد . وليس هذا النوع من الارتباط يقاصر على الطبقات الدنيا من الناس وحدها » . ( ص ٣٤٩ ) ولسنا نستطيع أن نعارض هذا الاسناد الا بالملاحظة المحددة التى أوردها المسيو بالاس حيث يخبرنا أن تعدد الزوجات ، وإن كان محرما دينيا ، ليس بالمشىء النادر بين كبار القوم . ( انظر « Neue Nordische Beiträge » مج ١٠ ص ٢٠٤ ) . ومع هذا فان المسافة بين لهاسا وخان تشيو تبلغ من الضخامة ( اذ هى تقارب عشر درجات عرضية وثمانى طولية ) بحيث انه وإن كان سكان كل منهما ، وكذا الشطر الأعظم من بلاد التتار ، يتبعون نفس العبادة الدينية ، فانه يمكن أن تقوم بين المكانين فروق جوهرية فى عاداتهم المحلية .

(٩) مما يسترعى الأنظار أن جويز ، وإن كان مبشرا ، سافر متنكرا فى صفة تاجر أرمنى ، - أعيق بالمثل عن الرحيل هنا ما يناهز العام بمدينة سوتشيو المجاورة . ويظهر أن ترتيبات الشرطة ونظمها ، كانت تستلزم آنئذ كما يحدث فى أيامنا هذه ، الحصول على إذن من بكين للأعراب قبل السماح لهم بدخول البلاد .

## • هوامش الفصل الثانى والأربعين

(١) الآن وقد وصل مؤلفنا الى حدود الصين الشمالية ، وتحدث عن مكانين يقعان داخل خط ما يسمى بالصور الأعظم ( ولكن سيتضح بعد هذا أنه مكون فى هذا الجانب من ركام من التراب فقط ، وليس هو بالعمل البنائى الحجرى الهولاء الذى ينعت به الصور فى التضموم الشمالية ) ، يكف عن متابعة طريق مباشر ، وينتقل الى بيان عن أماكن تقع الى الشمال والجنوب منه التتار ، ويقع بعضها مجاوراً والبعض الآخر فى أرجاء بعيدة من بلاد التتار ، وذلك حسب المعلومات التى يحصل عليها فى مختلف المناسبات . كما أنه لا يمدنا فى سياق الكتاب بؤة فكرة واضحة عن خط السير الذى اتخذه عند دخوله الى بلاد الصين ، برففة أليه وعمه ، فى طريقهم الى بلاد الاسبراطور ، وان كانت هناك أسباب تحملنا على الاعتقاد ، بناء على ما يحدث فى الفصل ٥٢ ، بأنه سافر من كان تشيو الى سيننج ( التى يسميها البروفسور بالاس سيلين ) وهناك التقى بالطريق الكبير الممتد من التبت الى بكين . وهنا يتخذ وصفه طريقاً شمالياً الى مكان يسمى ايزينا يقوم على نهر صغير يجرى بجوار كان تشيو نحو صحراء كوبي الكبرى ، التى كان قد عبرها قبل ذلك فى منطقة أضيق وغربية أكثر . وهذه المدينة معروفة لدينا من عمليات جنكيز خان العسكرية ، الذى استولى عليها عندما غزا سانجوت فى ١٢٢٤ حسبما يروى بتيه ده لأكرواه ، أو ١٢٢٦ حسب رواية ده جنى ، وجعلها مدة من الزمن مقر القيادة العليا لجيشه .

(٢) الأرجح أن حمار الوحش ، المذكور هنا ، هو الذى يسميه رجال الارساليات التبشيرية بغير تدقيق ، بغل الوحش ، ويصفونه بأنه يقطن هذه المنطقة الصحراوية . وحمار الوحش أو الأخضر هو ما يسميه ( كارل ) لينوس Linn. ( عالم النبات السويدي فى تصنيفاته ) .  
equus asinus كما أن الحيوان المسمى ببغل الوحش هو « equus hemionus » .

## ● هوامش الفصل الثالث والأربعين

(١) الأصح أن يكتب اسم هذه المدينة قرقورم ، وإن وردت قراقورم كثيراً ( ومعناها الرمل الأسود ) . وتسمى عند الصينيين هولين وشى تقابل كورين فى النطق التتارى . وقد بناها أو قل أعاد بناءها أوغداى أو ( أقطاى ) خان ، ابن جنكيز خان وخليفته قرابة عام ١٢٢٥ ، واتخذها مانكو ( أومانجو ) خان مقرا لحكمه وانقضت قرون عدة دون أن توجد أية آثار لوجودها ، ولكن مكانها مدون فى قوائم يوليغ بك Uligbig وكذلك فى خرائط الجزويت ودانفيل . وزارها وليم ده روبر وكير فى عام ١٢٥٤ ، وهو راهب صغير أرسله مع جملة من رجال الدين لرئيس التاسع ملك فرنسا فى بعثة عامة الى أمراء التتار . والبيان الذى يدعى به عنها لا يحمل إلينا فكرة كريمة عن أهميتها كمدينة وكذلك شأن وصفه للبلاط والحالة الحضارة التى بلغها هؤلاء الغزاة ، بيد أن بيانه بأكمله ينم عن مسرف التحيزات التى يمتلىء بها عقل سوقى .



## ❶ هوامش الفصل الرابع والأربعين

(١) يبدو أن ما يمكن اعتباره الاقليم الصحيح - وإن لم يكن أقدم موطن لدمعون - ( المقل ) هما يسميهم الفرس ، والمنغال هما ينطق الاسم في الأصقاع الشمالية من آسيا ، بما في ذلك الكلموك أو الاديوت والديورات والحلكس ) ، هو تلك الشقة من الأرض التي تقع بين المجارى العليا لنهر عامور شرقا ومثيلاتها مجارى نهري يابيساي Yabisci والأريش ، ومعها سلسلة جبال التاي غربا ، ويقع في شماله بحيرة بايحل وفي جنوبه الصحراء الكبيرة ، التي تفصله عن إقليم تانجوت ومملكة الصين ، حاويا داخل تلك الحدود نهر سالنجا ، الذي يقع على مقربة منه ، في الجزء الأول من القرن الماضي ، محطة أو مخيم اورجا « Urga » التابع للتوش دوخان أى أمير المنغال العصري . ولا يمكن تحديد الموقع الدقيق لمسهول جيمورزا أو جورزا أو جورجيا ربارجو . وتحتوى خريطة استراهلنبرج منطقة مجاورة للشاطئ الجنوبي لبحيرة بايخال تسمى « كامبوس بارجو » ، ولكن الظروف تقودنا الى الذهاب الى أن الأماكن المذكورة هنا تقع الى الشمال أكثر ، كما أن اسم بارجو يظهر في خريطة دانفيل في الجانب الشمالى الشرقى من تلك البحيرة . وحسبما يروى كالبروث فإن الاسم الذى يسمى به التتار شعب المانشو ( الذين يعدهم ذلك الكاتب نفس جنس التونجوزى ) ، هو تشور تشور أو جورجور وهو الذى يكتبه أبو الغازى جورجيت Jurgit ، فهؤلاء يبدو أنهم هم قبائل الجورزا عند مؤلفنا ، ويمكن أن تكون جزيرة زورزا ( التى كان ينفى اليها المجرمون ) ، والتي ورد ذكرها في الكتاب الثالث ، الفصل الثانى ، ربما كانت هى التي تقع خارج مصب نهر ساجا-يينولا أى نهر عامور .

(٢) هذا الأمير الشهير ، الذى يسميه مؤلفنا أو مكان ، أو أون خان ( أن جاز لنا أن ندخل تصحيحا مسموحا به لهجائه ، والذى يسميه المؤرخ أبو الفرج ابن العبرى ) انج خان ، كان رئيسا لقبيلة كيرانت أو كرريت وكان يحكم في قره قورم ، التي أعاد بناءها بعد ذلك أوغداى ، فأصبحت من ثم عاصمته وكذا عاصمة مانكوخان خليفته . ويبدو أنه كان أقوى الرؤساء في ذلك القسم من بلاد التتار وكثيرا

ما يلقب في تواريخ زمانه بلقب الخان الأعظم . على أن البروفسور جويل ومن يتبعون الاسناد الصينية ، يعدونه تابعا اقطاعيا لامبراطور نيوتشييه التتري المدعى الأطوم خان ، من أسرة كن Kin الذي كان فضلا عن حكمه ، مملكته لياووتانج وكوريا ، يحكم أيضا الجزء الشمالي من الصين أي كاتابا . وهم يؤكدون أكثر من ذلك أن تسميته باسم أروانج هان - كما يكتبونها - ليست سوى اللقب الصيني أروانج اوفنج Vang ( أي الملك Regulus ) ، وهو اللقب الذي انعم به عليه العاهل الأكبر ، جزاء له على خدماته الممتازة ، وأضافه قبل لقبه الوطني « خان » ، حيث كان اسمه الأصلي طغرل . وطبقا لرواية ج . ر . فورستر ، المستقاة من كتاب فيشر (Hist. of Siberia) « فانه كن يحكم الكارابقيين Karaites ، وهم قبيلة تسكن قرب نهر كالماليسوى ( كاراسيبي ) ، الذي يصب مياهه في نهر أباكان ثم يصب بعد ذلك في نهر جنيسى Jenisea ، وهنا يسكن القرغيز الى يومنا هذا ، الذين فيهم قبيلة يسمونها الكاراييين » . انظر Voyages, etc. ص ١٤١ .

(٢) مهمنا يلصق من السخف والسخرية بهذه التسمية العجيبة « القس يوحنا » بريستر أو برسبيتريجون اذ تطلق على أمير تتارى ، فانها لا ينبغي أن تضم الى حساب مؤلفنا الذي كان عمله مجرد نقل وتكرار ، وفي حدود حيطة خاصة ، لما كان دارجا على الألسن بكل أرجاء أوربا وبين مسيحيي سورية ومصر حول هذه الشخصية الكهنوتية الوهمية وان كنت لشخص حقيقى وهو لا يقيم هنا تأكيدا لأى شىء على أساس معرفته الخاصة بالأمر ، وكان المفهوم أن الأعمال المروية هنا حدثت قبل الزمن الذي كتب فيه المؤلف بقرن كامل ، وهو حين يتحدث عنها يستخدم دائما تعبيراً حذرا هو « Come intesi » ( وخير مزجع للسماحات عن موضوع برسبيتريجون يوجد فى مقدمة كتاب تأليف الأخ جان دى بلان دى كوبان ، بقلم المسيو دافيزاك ) .

« Relation des Mongols ou Tartares ».

(٤) نسب مؤرخو الفرس والعرب هذا الإبراز لعنصر الاستقلال الى روح الاقدام ، والمواهب العسكرية التى اتصف بها تيموجين ( المسمى جنيكز خان فيما بعد ) ، الذى أصبح بعد أن قضى ثمانية عشر عاما فى خدمة انج خان ، موضع غبرته واضطر الى المعالجة بقرار سريع انقازا لحداثة . ولما تكلفت بعض معاركه الجزئية التى أعقبت ذلك بالنجاح ، زادت من أعداد المتعلقين به ، فانسحب ، بجيشه الصغير ، الى بلاد المنغال ، التى هو أحد أبنائها . ولقى هناك ترحابا ، حملة على أن يوحد معهم خططه فى الانتقام من أعدائه .

## • هوامش الفصل الخامس والأربعين

(١) يظهر أن مؤلفنا أخطأ هنا في سنة مولد جنكز أو جنكيز خان (الذى يجعله بعضهم في ١١٥٥) فخلط بينه وبين عام ارتقائه العرش .  
ان لم يذكر حتى عام ١٢٠١ أنه تولى قيادة جيوش المنغال ، ولا ورد حتى ١٢٠٢ حسب رواية الاسناد التى أخذ عنها بتيه ده لأكرواه ، ولا حتى ١٢٠٦ حسب ما أورده ده جنى ، أنه نودى به خانا أعظم أو امبراطورا . وفى نفس تلك المدة غير اسمه الأصلي من تيموجين الى الاسم الذى عرف به بعد ذلك . وتعطينا النصوص اللاتينية وغيرها تاريخ ذلك على أنه عام ١١٨٧ .

(٢) وفى بلاط حفيد جنكيز خان كون رفلوفينا فكرة ملؤها التقدير المفرط في فضائل هذا الرجل الفذ - وان عساها لم تكن عن مواهبه العسكرية - وهو الذى ينبغى أن يعد سوطا من سياط العذاب التى حلت بالبشرية ، والتى تسلط عليها من حين الى آخر كالطاعون أو الوباء أو المجاعة وتملا العالم بالخراب .

(٣) الواقع أنه حسبما روى المؤلفون الذين استقى منهم بتيه ده لأكرواه ، فان تيموجين كان متزوجا بالفعل من ابنة أونج خان ، عندما أبعدته مؤامرات منافسيه عن بلاط حميه بعد أن أدى له خدمات عسكرية على أعظم جانب من الأهمية .

(٤) اسم هذا السهل الذى ورد تندوتش في النص اللاتيني القديم ونسخه راموسيو ، كما ورد تندوك في طبعة بال ، هو تانجوت فى الخلاصات الايطالية . وربما كان الاسم الأخير خطأ ، كما أن من المؤكد انه لا يصح الخلط بين هذا المكان وبين تانجوت التى سبق ذكرها باعتبارها مرتبطة بالتبت ، ولكن هناك أسبابا قوية تحملنا على الظن بأن مؤلفنا انما قصد الاقليم المسمى قونجوس ( وهو اسم بينه وبين تانجوت مشابهة غير هينة ) ، الذى يقع قرب منابع نهر عامور ، والى جوار بحيرة بايكال ، والتقى الجمعان - حسبما يروى ده جنى والبروفسور جليل - بين نهري تولا وكركلون، حيث دارت منذ ذلك الحين . رحى معارك نظرية أخرى ضروس ، نجمت كما قد يتبادرالى الذهن عن كون الظروف المحايية مناسبة لتحركات جموع ضخمة من الخيالة .



(٥) طريقة التنبؤ بالغيب بواسطة ما يسميه الفرنسيون بعصى العرافة Baguettes معروفة ببلاد الشرق . فان بتيه ده لأكرواد عند تقديمه فى نصه هذه الحكاية عن « العصا الخضراء » نقلا عن عمل مؤلفنا ، يقرر قبي هامشه : « عملية العصى هذه كانت مستخدمة عند التتار ، كما أنها لا تزال موجودة فى الوقت الحاضر عند الأفريقيين ، وعند الترك ، وشعوب اسلامية أخرى » ص ٦٥ .

(٦) لم يذكر أحد من المؤرخين هذه الحادثة التى يقال هنا انها وقعت لجنكيز خان ، كما أنه ليست هناك دلالة تبين ما المقصود بمكان اسمه ثايجن . ويقال انه - على عكس ذلك - مات حتف أنفه ( أعلى فراشه ) مصابا بمرض فى ١٢٢٦ ، بعد سقوط مدينة لن تاو بقليل ، وهى مدينة فى ولاية شن سى التى كان تراجع عنها ، بسبب سوء احوال الهواء فى المكان الذى كان جيشه معسكراً فيه الى جبل يسمى ليويان . على أنه لا يجوز لنا أن نلصقنتج أن مؤلفنا على خطأ ، أو أن جنكيز لم يصب بجرح ربما تسبب فى جوا وبىء فى وفاته و عجل بها .

## ● هوامش الفصل السادس والأربعين

(١) أما وقد جاء هذا البيان عن خلفاء جنكيز خان ، أقل دقة بكثير مما قد يتوقع من رجل أقام عدة سنين كثيرة في خدمة حفيده ، فليس من غير المعقول أن نفترض ، أن بعض الأسماء الأعجمية لهؤلاء الأمراء ربما تكون حذفت ، كما شوهت أسماء أخرى على يد النساخ الأول : ومما يزيدنا يقينا في هذا الظن ، أننا نجد الأسماء مختلفة اختلافا بينا في الترجمات المختلفة ، وبدلا من أسماء تشين وبائين وايسو الواردة في طبعة راموسير ، نجد في أحد النصوص : كوى وبارتشيم والآو ، وفي آخر كاركى وساييم وروكون . وهم لا يكادون يتفقون جميعا الا في اسم مونجو أو مانجو فقط . وسأذكر على اعتبار أنها أشد طرق التبين تأثرا وهي في بعض الحالات أشدها قدرة على التوفيق بين المتناقضات ، - عملية الربط القائمة على سند المؤرخين ، وأقارن بها القوائم المشوشة التي تنسب الى مؤلفنا . وكان لجنكيز خان ، الذي مات حوالي ١٢٢٦ ، أربعة أبناء ، أسماؤهم جوجى وجفتاى وأوكتاى ( أوغداى ) وتولى ، ومات من هؤلاء جوجى أكبر الأبناء الذى تسميه بعض الروايات توشى ودوشى ، فى حياة جنكيز خلفا وراءه ولدا يدعى باتو ، ويسميه المؤلفون المسلمون أيضا سايين خان وساجين خان . فورث ، كحق لوالده ، ذلك الشطر من الامبراطورية الذى كان يضم القيشاق وأقاليم أخرى تقع الى جوار نهري الفولجا والدون ، كما أن فتوحه فى جنابات روسيا وبولندة وهنغاريا ، جعلته مصدر رعب لأوربا كافة . ولم يتبوا سدة منصب الخان الأعظم المهيبة أى رئيس الأسرة ، وتوفى فى ١٢٥٦ . ومن الجلى أن هذا الشخص هو من سمي بائين فى ترجمة واحدة للنص وسمى ساييم فى أخرى ، على أن بارتشيم فى ترجمة ثالثة يبدو أن المقصود منه هو بركة ، أخوه وخلفه فى عرشه . أما جفتاى أو زاجاتاى ، فكان نصيبه من ممتلكات أبيه ، الاقاليم الواقعة وراء نهر جيحون ، وهى التركستان ، أو - كما سميت منذ ذلك الحين - بلاد القتا الأوزبكين . وتوفى فى ١٢٤٠ ، دون أن يتولى هو أيضا المنصب الامبراطورى . وقد حذف اسمه هنا وان ورد عند مؤلفنا فى مواطن أخرى ، وهو تصرف كان بناء على هذا الاعتبار يكون سليما

لو أن اسم باتو لم يذكر . ونادى جنكيز نفسه بآينه الثالث أكتاي أو أغدای خليفة له وخانا أعظم ، أي رئيسا أعلى للأسرة مع اللقب الجديد كآآن . وكان نصيبه الخاص من الامبراطورية هو الوطن الأصلي للمغول أو المنغال أو المغل ، بما يتبعه من أقطار ، وكذا مملكة تاتار الفيونيشيه ، وهي تحوى كل ما تم فتحه حتى آنذاك من الصين الشمالية . ويعود اغفال اسمه كلبية ، وهو من أبرز رجال العائلة وأشدّهم تميزاً ، وبخاصة فى حروب اقليم الصين الشمالية سالفه الذكر . وقبل وصول مؤلفنا لا تزيد عن خمسة وثلاثين عاما ، - أمرا فى غاية الغرابة ، لو نسب الى الجهل أو ضعف الذاكرة من قبله . وتوفى أكتاي فى ١٢٤١ وخلفه فى المنصب الامبراطورى ( بعد فترة وصاية لمسيده دامت خمس سنوات ) - ابنه كايوك أو جايوك ، فلم يحكم الا سنة واحدة وتوفى ١٢٤٨ ويدعوه بلانوكاريينى ، وهو راهب صغير ( أرسله البابا اينوسنت الرابع الى بلاط باتو ) ، باسم الدوق باتو أو باشى ، فأرسله الأخير الى جايوك ، وسيدّه ومولاه ، وقد تم انتخابه وشيكا آنذاك ، باسم كوينه ، كما يسميه الصينيون كى يو ، ويسميه مؤلفنا تشين أوكوى ، حسب اختلاف القراءات . فأما الابن الرابع لجنكيز الذى كان اسمه تولى أو توابونى فمات فى ١٢٣٢ ، فى أثناء حكم أخيه أكتاي ، خلفا أربعة أبناء أسماؤهم : مانكر وقبلاى وهولاكو وارتجيفا ، فضلا عن آخرين ذوى شهرة تاريخية أقل . وانتخب من بين هؤلاء مانكو أو مونجو فى ١١٥١ ليخلف ابن عمه جايوك خانا أعظم ، وذلك بوجه رئيسى بفضل نفوذ ومساندة باتو ، الذى كان له حق أكبر فى ادعاء العرش بوصفه ابنا لأكبر الأبناء ولكنه لسبب ما يبدو أنه لم يتخذ لنفسه ذلك اللقب . وكان من أوائل الأعمال التى فعلها مانجو أن أرسل هولاكو ( من قره قورم عاصمته ) على رأس جيش لجب ، مكنه من اخضاع اقليم خراسان وفارس وبلاد الكلدان ( أو كلدانيا ) وقسم كبير من سورية . وأسس أسرة المغول الفارسية العظيمة . ولم تلبث تلك الأسرة حتى خلعت عن كاهلها بعد بضعة أجيال ، تبعيتها ، التى كانت أسمية أكثر منها فعلية ، لرئيس الامبراطورية الأعلى . ويبدو أن اسم هولاكو ، الذى يلين الى آلاءو وهو نفسه الاسم الذى يحرف هنا أكثر الى ايسو - ( نتيجة لخطأ فى حرف ) بدلا من أيلو . وهو فى الترجمة اللاتينية لنفس الفقرة يرد آلاءو . وتوفى مانجو ( مانكو ) فى ١٢٥٩ أو ( ١٢٥٦ ) بولاية سي تشوين بالصين ، وهو مضطلع بالحرب فى ذلك الاقليم . وليس حول اسمه أى لبس . وتولى قبلاى ، الذى كان فى نفس المكان ، قيادة الجيش ، ولم يلبث طويلا حتى انتخب خانا أعظم ، وان لقى ذلك معارضة



شديدة من جانب أخيه ارتجيفا ، الذى كان يلقي تأييدا قويا ، وتجرأ على رفع اللواء الامبراطورى بقره قورم . وتقدم قبلاى فى ١٢٦٨ لاختضاع مملكة مانجى أو بلاد الصين الجنوبية ، وكانت تحكمها فى ذلك الحين أسرة سنج ، فتم له الاستيلاء على عاصمتهم هنج تشيو فى ١٢٧٦ وضم الدولة كلها الى امبراطوريته فى ١٢٨٠ ، وهى السنة التى جعلت بداية لحكمه امبراطورا للصين ، فى « الحوليات التاريخية الصينية » ، التى يرد فيها تحت لقب يويون تشى تسو . وتوضع وفاته فى أول ١٢٩٤ ، وهو آنئذ فى الثمانين من عمره . وهو خامس خان أعظم فى هذه العائلة ، وبعد وفاته لم يعد أحفاد الجد الأعلى المشترك للجميع ، الذين يحكمون الولايات الواقعة فى الغرب والجنوب ، يعترفون بأى عاهل أعلى .

(٢) لما كان قبلاى انتخب خانا أعظم فى ١٢٦٠ وتسوفى فى ١٢٩٤ ، فان حكمه بلغ بالضبط أربعة وثلاثين عاما ، ولكن نظرا لانه عين نائب ملك لأخيه مانكو ببلاد الصين ، منذ ١٢٥١ ، فان فى الامكان اعتبار أن مدة حكمه دامت ثلاثا وأربعين سنة ، ولعله عمل هناك فى قيادة الجيوش ايان فترة أقدم من ذلك أيضا . ومع هذا فان تأكيد أنه حكم ستين عاما لا يمكن تبريره ، ولا بد أنه نتج عن غلطة أو تحريف لأوضاع الأرقام التى كان ينبغى فى الحساب اللاتينى أن تكون XL بدلا من LX أى ٦٠ .

(٣) كان وجود تلك العادة الفظيعة لدى التتار المغوليين موضع شك . على أن : « الحوليات التاريخية الصينية » لا تخلو من حالات لممارسة ذبح الأضاحى فى الجنازات ، وأنا لمنجد أنه حتى فى عام ١٦٦١ ، أمر الامبراطور التتارى شن تشى بتقديم قربان آدمى عند وفاة خليفة له أثيرة . يقول البروفسور كوبليه :

« Voluit tamen , « triginta hominum spontanea morte placari manes concubinae ritu apud sinas exerundo, quem barbarum morem successor deinde sustulit » .

(Tab Chronologica Monarchiae Sincae)

انظر

وفى البيان عن فتح الصين على يد تتار المانتشو ، الذى كتبه الراهب الجزويتى مارتينوس ورد أن ملك المانتشو ، لين منج ، أقسم ، حين غزا الصين للانتقام لقتل أبيه ، أنه ، جريا على عادة التتار ، ليحتفلن بجنازة الملك المقتول بذبح مائتى ألف صينى . وهذا يؤيد رواية ماركو

بولى بدرجة رائعة • ويختلف عدد الذين ذكر أن من رافقوا جنازة مانكو خان ضحوا بهم اختلافا جسيما فى الترجمات المختلفة ، كما أنه يرفع فى الخلاصات الى ٣٠٠٠٠٠ • وتجعله نسخة مارسدن يبلغ العشرة آلاف ، بيد أن المخطوطات المبكرة تبدو أنها تؤيد العدد الوارد فى نسختنا هذه •

## ● هوامش الفصل السابع والأربعين

(١) يدور حول هذه الهجرة الدورية لقبائل التتار قدر كبير من سوء السمعة ، بحيث لا يكاد بيان مؤلفنا عنها يحتاج الى ما يؤيده من أنوال الثقات ، على أن القارئ سيجد الفقرة التالية من دوهالك منطبعة عليهم بصورة تفصيلية : « يعيش جميع المغول أيضا على هذا المنوال ، حيث يتجولون هنا وهناك مع قطعانهم ويقيمون مخيمات في الأماكن المناسبة لراحاتهم والتي يجدون فيها أجود أنواع العلف ، وهم يتواجدون في العادة صيفا في أماكن مكشوفة قرب بعض الأنهار أو بعض البرك ، فان لم يجدوا قالى جوار بعض الآبار : وهم في الشتاء يلتمسون الجبال والتلال أو هم على الأقل يستقرون خلف أحد المرتفعات التي تدرا عنهم ريح الشمال الشديدة الزمهرير بتلك الاصقاع ، ويزودهم الثلج بالماء الذي ينقصهم . ويقيم كل ملك في قطره ، بغير أن يكون مسموحا له ولا لرعاياه بالذهاب الى أراضى الآخرين ، ولكن يمكنهم في الاتساع الأرضى الذى يمتلكونه أن يقيموا حيث يشاءون » ( ج ٤ ص ٢٨ ) . يقول الفنستون : « يسمى المقام الصيفى أيلوك » والمقام الشتوى « كشلاوك » وهما كلمتان اقتبسهما الأفغان والفرس كلاهما من التتار . انظر Acc. of Caubul ص ٣٩٠ .

(٢) اليكم وصف بل Bell للخيام كما شاهدها بين الكلموك ، المخيمين قرب نهر الفولجا : « أقام التتار خيامهم على امتداد ضفة النهر . وهى خيام ذات شكل مخروطى ، وهناك عدة أعمدة طويلة ترفع مائلة أحدها نحو الآخر ، وهى تثبت فى القمة فى شىء يشبه الطوق ، الذى يشكل محيط فتحة لطرد الدخان أو ادخال النور ، وقد وضعت عبر القضبان بعض العصي الصغيرة التى يتراوح طول الواحدة منها بين أربعة أقدام أو ستة ، وهى مثبتة على العمدان بسيور من جلد . ويغطي هذا الاطار بقطع من اللباد المصنوع من الصوف الخشن والشعر . وتؤلف هذه الخيام مأوى أحسن من أى نوع آخر . كما أنها مصممة بحيث تنصب وتفك وتطوى وتحزم بغاية اليسر والسرعة ، وهى من الخفة بحيث يحمل بعير خمسا أو ستا منها » ( ج ١ ص ٢٩ ) انظر أيضا دوهالد .



(٣) « وعندما ينزلون بيوتهم ( من فوق عرباتهم ) يديرون وجه الأبواب نحو الجنوب دائما . انظر ( Purchas, Journal of Rubruquis ) مج ٢ ص ٣ ) ويبدو أن فتح الباب نحو الجنوب هو العادة الشائعة ببلاد التتار : بكل من البيوت الثابتة والمتنقلة ، وذلك للتصوط بقدر الامكان من شر الرياح الشمالية . وسيرى القارئ فيما بعد أن هذه العادة نفسها لا تزال باقية في الولايات الشمالية للصين .

(٤) وهم يصنعون نوعا من سلال مربعة من عصي صغيرة رفيعة ، بلغ حجم الصناديق الكبيرة ، ومن جانب الى آخر يشكّلون غطاء سجوفاً من نفس هذه العصي وينشئون باباً في الناحية الامامية من السلال . ثم يغطون الصندوق المذكور أو المنزل الصغير باللباد الأسود المدهوك بالشحم أو لبن الغنم لمنع تسرب المطر من خلاله ، ثم يزخرفونه أيضاً بالطلاء أو الريش . وفي هذه الصناديق جميع أدواتهم المنزلية وثرواتهم . ثم انهم أيضاً يربطون هذه الصناديق ربطاً وثيقاً على عربات أخرى تجرها الجمال . انظر Purchas ، مج ٢ ص ٣ .

(٥) هذه العادة من تكليف الرجال النساء بإدارة شئونهم التجارية ، يؤيدها البروفسور جريبتون ، الذي صاحب الامبراطور كانغى في حملاته . ( انظر دو هالد ج ٤ ص ١١٥ ) . ويلاحظ ألفنستون بالمثل وهو يتحدث عن قبيلة بيلاد الأفغان ، تسمى قبيلة حازورة ، وهو يعدها بقية متبقية عن جيش تترى ترك هناك ، « ان الزوجة تدير البيت ، وتعنى بالملكات ، وتقوم بنصيبتها في أداء مظاهر الحفاوة ، كما أنها تستشار كثيراً في كل مشروعات زوجها » . انظر Acc. of Canbul ، ص ٤٨٣ .

(٦) « على هذه التلال ( القريبة من نهر سلنجا ) اعداد ضخمة من حيوان يسمى المرموط (Marmot) له لون ضارب للسمر ( للبني ) ، وله أقدام كأقدام الغرير (Badger) ، ويكاد يعدله في الحجم . وهو يحفر جحوراً عميقة في منحدرات التلال ، ويقال أنه يقضى ردها معينا من الشتاء داخل هذه الجحور حتى لو بغير تناول أى طعام . ومع هذا فإن الحيوان يجلس أو يكمن قرب وجاره ، وهو يراقب ما حوله مراقبة دقيقة ، حتى اذا اقترب خطر رفع نفسه على قدميه الخلفيتين ، وصفر صغيراً عالياً ، ثم توارى في جحره على الفور » . ( انظر Bell's Travels مج ١ ص ٣١١ ) . ويتطابق الوصف الذي أورده دو هالد عن الحيوان على خير وجه مع بيان مؤلفنا : « ان هذا الحيوان ( الذى يعادل في حجمه السمور الأبيض ( Ermine

انما هو نوع من فأر الغيط . وهو شديد الانتشار فى بعض أرجاء معينة من بلاد كالكاس . ويظل التلبي « Tael-pi » تحت الأرض حيث يحفر مجموعة فيها من الأنفاق الصغيرة بقدر الذكور التى فى السرب : ويوجد واحد منها فى الخارج على الدوام ، ليقوم بالعسس والترقب ، ولكنه يفر ما أن يرى أى انسان ، ويسارع الى الدخول الى الأرض بمجرد أن يقترب أحد منه . ويمكن الحصول فى وقت واحد على عدد كبير منه . ( ج ٤ ص ٣٠ ) .

(٧) ان هذه الكلمة التى كتبت هنا كيمورس « Kemors » وفى النسخة اللاتينية : Chuinis and Chemins هى ما يسميه الرحالة الآخرون كميز أو كموز (Kimmuz) وتنطق باللهجة السوقية كوزموس . وهى من تحضير من لبن الأقراس ، يجعل فى حالة تخمير بالتسخين ، ويضرب فى قربة ضخمة من جلد ( بقصد فصل الزبد عنه ، فيما يبدو ) ويجعل بهذه العملية مسكراً الى حد ما . وهو يتحمل وهو فى هذه الحالة ، الاحتفاظ به لعدة أشهر ، وهو الشراب الأثير لى جميع قبائل التتار . ويلاحظ ألفنستون قائلاً : « ان الشراب القومى للأوزبك هو الكيز ، وهو شراب مسكر ، من المعروف جيداً أنه يجهز من لبن الأقراس » . ( ص ٤٧ ) . هذا الكحول ( المستقطر ) ، وأن أنتج من نفس المواد ، ينبغى التمييز بينه وبين الكموز الذى يخلط بينه وبينه بعض الكتاب . ويزودنا روبروك ببيان تفصيلى عن هذه المستحضرات اللبنية فى كل مراحل صنعها .

(٨) يقول بل : « انه ينبغى أن نلاحظ ، وهو أمر يشرف نساءهم ، أنهم أمينات ومخلصات جدا ، وانه قل بينهن من كانت داعرة : فالزنى بينهم جريمة قلما سمع عنها الناس » . مج ١ ص ٣١ .

(٩) يقول البروفسور جريون ما نصه : « مع أن تعدد الزوجات لم يحرم بينهم حتى الآن ، فان الواحد منهم لا يتخذ فى العادة الا زوجة واحدة » . ( انظر دوهالد ج ٤ ص ٣٩ ) على أن غيره من الكتاب يقولون ان ممارسة التعدد أعم ، بيد أنها قد تكون أوسع انتشاراً فى احدى القبائل منها فى أخرى .

(١٠) يقول تيفينوه : « وهم لا يقدمون مهراً لزوجاتهم ، ولكن الأزواج يقدمون الهدايا لأبنائهن وأخوتهن ، ويدونها لا يستطيعون الحصول على زوجات » انظر Relation des Tar-tar-es ج ١ ص ١٩ .

ويقول روبروكس : أما بصد الزيجات فلن يستطيع رجل الحصول  
على زوجة حتى يشتريها « . انظر Purchas مج ٣ ص ٧ .

(١١) يضيف مترجم أبو الغازي : « ليس هناك سوى هذا الفارق  
بين التتار المسلمين وغيرهم من التتار : وهو أن المسلمين منهم يراعون  
بعض درجات القرابة ، التي يحرم عليهم فيها الزواج ، وذلك بينما أن  
الكلموك والمنغال ، لا يراعون - إلا في حالة أمهاتهم الطبيعيات - أية  
صلة دم في زواجهم » . ص ٣٦ هـ . ويقول روبروكس : « ان الابن  
ينزوج في بعض الأحيان جميع زوجات أبيه إلا أمه وحدها » Purchas  
مج ٣ ص - ٧ .



## ● هوامش الفصل الثامن والأربعين

(١) يقول بل : « يبدو أن دين « البوراتى » هو نفسه دين الكلموك ، الذى هو وثنية صرفة من أغلظ نوع . أجل انهم يتحدثون عن « كائن » قوى قاهر وصالح ، خلق الأشياء جميعا ويسمونه « بورشين » « Burchun » ، ولكن يبدو أنهم يتخبطون خبالا فى متاهة أفكار غامضة وخرافية تتعلق بطبيعته وحكمه . ولديهم كاهنان أعظمان ، يقدمون اليهما احتراماً عظيماً ، ويسمى أحدهما دالاي لاما ويسمى الآخر كوتوختى » . انظر Bell's Trav. مج ١ ص ٢٤٨ . « ويؤمن المنغال ( المغل ) ويعبدون خالقاً واحداً كلى القدرة لكل شيء . وهم يؤمنون أن الكوتوختو هو نائب الله فى الأرض ، وأنه سيكون هناك حالة مستقبلية من الثواب والعقاب » . ( ص ٢٨١ ) « وبلغنى أن دين التونجوت ، هو نفس دين المنغال ، وأنهم يؤمنون ، فيما يتعلق بتقمص الدالاي لاما بنفس الآراء التى يعتنقها المنغال حول الكوتوختو وأنه ينتخب بنفس الطريقة » . ( ص ٢٨٣ ) . أما الهيئة الكهنوتية ، التى يعد الدالاي لاما أى ( اللاما الأعظم ) رأساً لها ، فلم تؤسس ، حسبما يروى جوبل ، الا فى زمن متأخر جداً هو ١٤٢٦ ، ولكن يبدو أن اللامات العاديين كمجرد كهنة « لشياكيامونى » ، كانوا موجودين منذ زمن بعيد ، وأن الشامانات . فى الأصقاع الشمالية من بلاد التبت ، انما هم لامات فى مجتمع أخشن وأغلظ حالاً . والكوتوختو من اللاما الأعظم كالكرادلة ، من البابا أو ربما هو أقرب الى الكردينال الذى يعين مندوباً يابوياً .

(٢) هذا البند ( الوثن ) التترى ، الذى يكتب اسمه ناتاجاى فى الطبقات اللاتينية وناتشيجاي فى الخلاصات الإيطالية ، هو ايتوجا عند بلان ده كربان ، الذى راح يصف الممارسات الخرافية التى يمارسها هؤلاء الناس على النحو التالى : « وهم شديدي التمسك والاكباب على التنبؤات ، وعرافة العرافين ومطير الطيور والسحر والرقى والتعاويذ . وعندما يعطيهم الشيطان جواباً ما ، يعتقدون أن ذلك الجواب آت من الله نفسه ويسمونه ايتوجا » . ( انظر Bergeron ص ٣٢ ) .

(٣) يقول روبروكس : « وعندئذ يخرج خادم الى خارج البيت ،  
يحمل ملء فتجان من الشراب ، ويرشه ثلاث مرات في اتجاه الجنوب ،  
الخ ٠٠٠ وعندما يمسك سيد الدار بفتجان في يده ليحتسيه ، فانه قبل أن  
يذوق شيئاً منه ، يصب نصيبه على الأرض » . ( انظر Purchas  
مج ٣ ص ٤ ) .

والكلمات التي وردت في النص اللاتيني المبكر لمؤلفنا هي :  
(Postea accipiunt de brodio et projiciunt super eum per ostium  
domus suae camerae ubi stat ille deus uirum).

(٤) يقول بل : « وهم مسلحون بالمقسى والنشاب ( السهام ) ،  
وبالسيوف الضالعة (Sabres) والحراش ، التي يستخدمونها ببراعة  
كبيرة ، اكتسبوها بدوام الممارسة منذ الطفولة » . مج ١ ص ٣٠ .

## ● هوامش الفصل التاسع والأربعين

(١) ستتجلى صحة بيان مؤلفنا عن تشكيل جيوش المغل من مقارنته بالتقرير التفصيلي الموجود في الترجمة الفرنسية لكتاب أبي الغازی : « تاريخ التتار » « History of the Tartary » .

(٢) التومان هو الاصطلاح الفارسي المألوف لجيش من عشرة آلاف رجل . على أن كلمة توك ' Tuc ، بمعنى مائة ، ليست واردة في المعاجم . وربما كانت تحريفا هجائيا لكلمة دوز أو سوس أي أيون التي يعبر بها عن ذلك العدد في لهجات مختلف القبائل التتارية ، ( والتي منها بالتركية يوزياشى أي قائد مائة ( المترجم ) .

(٣) ان العادة الاسكيزية أو السمراتية من استخراج الدم من الخيل ليكون قوتا للفرد أو مادة للاستمتاع المترف ، وأيضا عادة الاحتفاظ باللبن ليستخدم في شكل متماسك ( متيبس ) كانت ممارسات معروفة لدى القدماء .

(٤) يقول بل : « انهم في الزخوف الطويلة تتكون جميع مؤنهم من الجبن ، أو بالحري من الخنثار المجفف ، المكور كورا صغيرة ، فيشربونه بعد أن يسحنوه ( يصحنوه ) ويخلطوه بالماء » . ( مج ١ ص ٣٤ ) ويقول ترنر : « وأهدى إلينا قدر موفور من اللبن الطازج الدسم ومن مستحضر يسمى بلغة الهند « دهى » Dhy ، وهو لبن محمض بمخيض اللبن الذي يغلى فيه ويحتفظ به حتى يتخثر قليلا « والكوموز » عند التتار هو لبن الأفراس مجهز بهذه الطريقة نفسها : وهو يجفف أحيانا في كتل حتى يصبح كالطباشير ، ويستخدم ليضفى نكهة للماء الذي يشربون بإذابته فيه . وقد بالغى أن عملية « تجفيفه » تتم أحيانا بوضع الدهى في أكياس من القماش محكمة الرباط وتعليقها تحت كروش الخيل » . انظر Embassy to Tibet ص ١٩٥ .

(٥) لعله يعنى بفساد العادات ، الإشارة الى النتائج التي عادت عليهم من فتح الصين ، وهو أمر أورث هؤلاء الأقوام الغلاظ الأشداء استمرار الاستمتاع بالدعة والترف . وبلغ من انهاك قوى المنغال قبل



انقضاء قرن واحد • أن طردوا شر طردة الى صحاريهم على اثر عصيان  
قام به السكان الصينيون •

(٦) لما كان موقع أوكاها أو أوتشاشا ، وضع هنا مقابلا لموقع  
الولايات الشرقية ، فانه يمكننا الظن بأنها هي أوكاك أو أوكاكا التي  
أوردها أبو الفداء ، على ضفاف نهر اتيل أو الفولجا ، غير بعيد من  
سراي ، التي زارها والد مؤلفنا وعمه في رحلتها الأولى • ومع هذا  
فليس المقصود بالاصطلاح النسبى وهو « الشرقية » أن ينطبق على  
الولايات التي نسميها ، بالنسبة للصين ، بلاد القنار ، بل على الاقليم  
الواقع شرقي بحر قزوين •

## ● هوامش الفصل الخمسين

(١) أطلق البرتغاليون على هذه العقوبة ، المعروفة بأنها شائعة ببلاد الصين ، اسم باستانادو ( وهى كلمة مشتقة من لفظة باستانو بمعنى الهراوة أو العصا ) .

(٢) الذى يحدث بالصين ، حيث يمكن الظن بأن قانون العقوبات التترى كان له سلطان كبير ، أن عقوبتى قطع الرأس وتقطيع الأجسام الى أجزاء كثيرة ، تستخدمان جزاء على جرائم كبيرة معينة .

(٣) يقول بل : « ان ماشيتهم ذات القرون ضخمة الجثة جداً . ولأغنامهم ذيول عريضة ، ولحم ضأنهم ممتاز . ولديهم كذلك أعداد مرفورة من الأعناز » . سج ١ ص ٢٤٦ .

(٤) هذه العادة ، مهما بلغ من خرقها للمألوف ، فلانما هى من نفس طبيعة السخافات الخطيرة التى توجد فى النظم الصينية . ويخبرنا البروفسور نافارت ، أنها توجد فى احدى الولايات الشمالية التى تتاخم بلاد المنغال ، حيث يمكننا بطبيعة الحال البحث عن تماثل فى الممارسات . يقول : « لأهالى ولاية شان سى عادة مضحكة هى تزويج الموتى . فقد أبلغنا نبا تلك العادة ونحن فى السجن ، الراهب الجزويتى ميخائيل تريجوسىوس ، الذى عاش عدة سنوات بتلك الولاية . اذ يتصادف أن يموت ابن لأحد الناس وابنة لآخر . وبينما النعشان لا يزالان فى البيوت ( وهم فى العادة يحتفظون بالنعوش سنتين أو ثلاثة أو أكثر ) يتفق الوالدان على تزويجهما ، ويرسلان الهدايا العادية كأنما هما على قيد الحياة مع الكثير من مراسم الاحتفالات والموسيقى . وبعد ذلك يضعان النعشين متجاورين ويقيمان وليمة العرس أمامهما ، وأخيرا يضعانهما جنباً الى جنب فى مقبرة واحدة . ومنذ تلك اللحظة لا يعد الوالدون الأربعة أصدقاء بل أقارب وأصهارا ، شأنهم لو تم الزواج بين ابنائهم وهم أحياء » . ( انظر Churchill's Collect. مج ١ ص ٦٩ ) . ويقسول

مالكولم : « ان هذا يقال ، انه لا يزال يمارس ببلاد التتار . وهم يلقون  
بالعقد في النار ويتصورون الدخان يتصاعد الى الطفلين الراحلين ،  
الذين يتزوجان في العالم الآخر . ويذكر هذه الحقيقة بتيه ده لأكرواه  
في كتابه حياة تشنغيز (Chenghiz) ، كما أني أجدها مذكورة في  
مخطوط فارسي كتبه رجل واسع العلم والاطلاع » . ( انظر Hist. of  
Peria مج ١ ص ٤١٣ هـ ) .



## ● هوامش الفصل الحادى والخمسين

(١) يظهر اسم بارجو فى خريطة بلاد التتار لاستراهلنبرج ، قرب الجزء الجنوبى الغربى من بحيرة أو بحر بايكال ، كما يرسم بخريطة دانفيل على الجانب الشمالى الشرقى ، ولكن مؤلفنا يطلق الاسم على الاقليم الذى يمتد من هناك ، مسيرة أيام كثيرة فى اتجاه المحيط المتجمد ، ويبدو كأنما يتقابل وما نسميه الآن سيبيريا . ويلاحظ استراهلنبرج هذا الخطأ فى وضع المكان ( كما يراه ) ويقول : « يوجد اسم بارجو فى الخريطة القديمة لبلاد التتار الكبرى ، ولكنه فى موضع بالغ الخطأ ، وأعنى بذلك أن موضعه منحرف نحو البحر المتجمد » . ( هامشة ٨ ص ١٤ ) . ومع ذلك فربما حدث فى مدى أربعة قرون أن قد حل اسم منهم محل آخر ، وأعتقد أنه لن يناع أحد أن سيبيريا هى الاسم القومى للمنطقة التى أطلق عليها .

(٢) قبيلة مكريتى هذه ، التى وردت فى المخلصات الايطالية تحت اسم مكرييت ، ولكنها فى الطبعة اللاتينية مديتاي ( وميكاكى فى اللاتينية المبكرة ) ، كثيرا ما تذكر فى التواريخ القترية باسم مركيت ومركات ، وكانت بلادهم من أوائل ما فتح جنكيز خان ، لأنها متاخمة له مباشرة . ولم يذكر موقعها على أية درجة من الدقة ، وان أمكن استنتاج توغلاها شمالا من فقرة فى كتاب : « Hist. Gen. des Huns » ، حيث ورد فى سياق الكلام عن هزيمة النايماو وتشنت أمراهم ما نصه : « لأن الجميع بأذيال الفرار وانسحبوا صوب نهر ارتش ، حيث وطنوا أنفسهم وألفوا مجموعة قوية تم تماسكها تحت قيادة تكتايغ ، خسان المركيت » . ( الكتاب ١٥ ص ٢٣ ) ويقول أبو الغازى : « من كانوا من قبيلة المركات ، أتيح لهم فى زمن زنجيزشان ( خان ) يسمى طوشدتايجى الذى كان دائما فى نزاع مع زنجيزشان » . ( Hist. Gen. ص ١٣٠ ) . وربما كانت هذه أكثر القبائل بعدا فى الشمال عرف مؤلفنا اسمها . ومع أنه يواصل الآن الحديث ( بصورة عامة جدا ) عن تلك الأقطار المترامية التى تمتد بين نهري أوبى وليثا ، فربما أمكن افتراض أنه لم يكن يعرف شيئا عنها الا عن طريق ما يسمعه من الغير ، ولا هو يحاول أن يفهمنا أنه زارها بشخصه .

(٣) ذلك هو غزال الرنة المعروف ، وهو نوع ضخم وجميل من الظبي Cervus يعادل ظبي الالكة (EIK) فى الحجم ، ولا يبعد فى الشكل عن غزالنا الأحمر .

(٤) يتقارب وصف هؤلاء الناس ويلادهم وما نقرأ عن كثير من القبائل المتوحشة التى تضرب فى هذه الصحراوات القاحلة التى تنساب فيها الأنهار الشمالية الكبرى .

(٥) ينبغى أن يكون مفهوما أن مسافة رحلة الأربعين يوما هذه ، تبدأ من ( سهل أو سهب (Steppe) بارجو . وهو يتحدث عنها بتحفظ ، وليس على أنها منطقة زارها بنفسه .

(٦) يقول استراهلنبرج : « يوجد بولاية دوريا وقرب نهر أمور أو عامور ( وهو صفالين أولا عند الجزويت ) عدد لا يحصى من البزاة الناصعة البياض كالملمن ، وترسل منها أعداد كبيرة الى بلاد الصين » ص ٣٦١ . ويقول بل : « لم يسعنى الا أن اعجب بملاحة هذه الطيور الجميلة . . . وهى تجلب من سيبيريا ، أو من أماكن واقعة شمالى نهر عامور » . ( Travels مج ٢ ص ٧٩ ) وكان بين الهدايا التى بعث بها القيصر أيفان باسيلي وتر . على يد سفيره ، الى الملكة ماري فى ١٥٥٦ ( كما ذكرها كليوت ) . سنقر (Jerfawcon) ضخم أبيض وجميل ، من أجل صيد البجع والكركى ، والأوز البرى ، وغيرها من الطيور الكبيرة .

(٧) لعل الكلمات الايطالية Lastella tramontan التى تترجم هنا باسم : « مجموعة النجوم القطبية » . ينبغى أن تكون ان شئنا الدقة هى « النجم القطبى » . وينبغى أن نفترض أن ما يعنيه هو أن النجم الواضحة الواقعة فى ذيل الدب الأصفر ، أو ربما ما نسميه فلك السدب الأكبر ، كانت تظهر الى الجنوب من الشخص الواقف على الطرف الأقصى من القارة الشمالية . وأنا لنجد فى خريطة فراموزي هذه الكلمات .

## ● هوامش الفصل الثاني والخمسين

(١) المقصود من اسم أرجينول أو أرجينوز المحرف ، ( كما يمكن حدسه من الظروف ) ، هو تلك الناحية من تانجوت التي تسمى كوكونزر عند التتار ، وهو هونور أو هو هونول عند الصينيين ، وتعتبر عند البعض هي تانجوت نفسها . وتفصل بحيرتها عن مدينة كامبيون أو كان تشيو مسافة تقارب مائة وأربعين ميلا ، في اتجاه جنوبي تقريبا ، لا يكاد يمكن قطعها في خمسة أيام عبر شقة جبلية ، بيد أن موقع مدينتها الرئيسية ربما كان أقرب كثيرا إلى ذلك المكان ، وربما كان أيضا يقع إلى الشرق من خط زواله على ضفاف نهر أولانمورين . والاسم الوارد في طبعة بال إيريجيمول ، وفي اللاتينية الأقدم أرجيمول ، وفي الخلاصات الإيطالية أرجيول ، ولكن واضح أن واحدة منها ليست أصح من أرجي نول عند راموسيو ، وهى كلمة ، الجزء الأخير منها يبدو أنه كلمة « نور nôr أو nôr التي معناها بحيرة .

(٢) ظن بعضهم أن سنجوى ( كما يكتب الاسم فى نصوص راموسيو وطبعة بال والنسخة اللاتينية المبكرة ، ولكنه فى المخطوطات سجن وسجوى وفى الخلاصات سيريجاي ) ، - هى مدينة سى جنان فو عاصمة ولاية شن سى . على أن الأخيرة تقع قرب الحد الشرقى للولاية ، وفى قلب الصين ، بينما تانجوت هى التى لا يزال مؤلفنا يصفها ، ورغم أن الطرف الغربى من شن سى كان تابعا فيما مضى لسيفان أوتوفان ( شعب تانجوت ) ، فإن هذا لا ينطبق على الجزء الداخلى من الولاية . ولا شك عندى أن المقصود بسنجوى أو سجن ، هو بحد ذلك ، السوق الشهيرة المسماة سى ننج ( وهى سيلين عند بالاس ) ، على الحافة الغربية لشن سى ، ولا تبعد سوى مسافة رحيل بضعة أيام عن هوجو نور ، فى الاتجاه الجنوبى الشرقى . وقد كانت سنجوى فى كل الدهور ، ولا تزال حتى يومنا هذا ، محط الرحال العظيم للمسافرين بين التبت وبكين ، ومن يصدق عنها القول بأنها تقع فى الطريق إلى كاثاي .



(٣) لم يفت دوهالذ أن يلحظ هي أيضا هذه القلاع أو الحصون الكثيرة ، وهو يصف الأجزاء القريبة من شن سى بأنها تتألف من واديين عظيمين ، يتفرعان من نقطة ويتقدمان : واحد منهما في اتجاه شمالي والآخر في اتجاه غربي ، إلى إقليم سيفان . ولم تكن هذه الشقة تؤلف جزءاً أصلياً من الامبراطورية ، بل كانت اقليماً مغزواً ، اقتطع من تانجوت وضم إلى شن سى ( ويعدّها مؤلفنا تابعة لتانجوت في زمانه ) .

(٤) هذا النوع الجميل من الثيران نعتة بوجه خاص ترنر في كل من كتابيه : Embassy to Tibet Asiatic Researches مج ٤ ، باسم « ياك بلاد التتار » أو ثور التبت الكث الذيل . وهو يلاحظ : « ترتفع فوق الكتفين عضلة غليظة يغطيها لبد كثيف من الشعر الناعم ، هي أعلى الجملة أطول وأغزر من الممتد على بروز الظهر حتى بداية الذيل . ويتكون الذيل من كمية هائلة من الشعر الطويل المسترسل الصقيل . . وتكتسى الكتفان والمؤخرة والجزء الأعلى من الجسم بنوع من الصوف الناعم الكثيف ، ولكن الأجزاء الدنيا مكسوة بشعر مستقيم مدلى ، ينزل إلى أسفل الركبة . . ولهذه الثيران أضرب كثيرة من الألوان ، ولكن اللونين الأسود والأبيض أشدها شيوعاً » . ( انظر Embassy ص ١٨٦ ) . أما ارتفاعه الذي ضخّمه مؤلفنا ، فإن ترنر يقول انه يقارب ارتفاع الثور الانجليزي ، ولكن نظراً للكمية الضخمة من الشعر التي تغطي جسمه فإنه يبدو « ذا ضخامة بالغة » . وهو يتميز باسم Bos Grunniens .

(٥) ( يضيف ترنر : « ان « الياك » مال وثروة ثمينة جداً للقبائل التتارية المرحلة المسماة دوكبا ، وهي تعيش في خيام ، وترعى أسراب الياك من مكان إلى مكان ، ثم هي تتيخ في الحين نفسه لرغباتها وسيلة انتقال سهلة ، وأغطية جيدة وطعاماً صحياً . وهي لا تستخدم قط في الزراعة » . ( من الواضح أن هذا ربما لم يكن هو الحال بكل منطقة ) ، ولكنها نافعة بالغ المنفعة كدواب حمل ، وذلك لأنها قوية الأجسام ، ثابتة الأرجل على الأرض ، وتحمل ثقلاً عظيماً » . ( ص ١٨٧ ) .

ويبرز موركرافت هذه الصفات بقوة في Journey to Lake Mansarovera بمجلة : Asiat. Res. مج ١٢ .

(٦) من المعلوم عند الجميع أن مسك بلاد التبت ، أو مسك ذلك الجزء من بلاد التتار المجاور لشمال غرب الصين ، يفوق ما يحصل عليه منه في الولايات الصينية .

(٧) نحصل من ترنر على بيان دقيق ، وان يكن غير علمي ، لما يسمى عادة باسم غزال المسك ، الذي يقول انه يسمى بلغة التبت « La » كما يسمون الغشاء الوعائي للمسك « Lacha » . فبعد الحديث عن الماشية الطويلة الشعر يمضى فى المكان التالى كما يفعل مؤلفنا فيقول : « ويكثر غزال المسك أيضا ، وهو ينتج سلعة ثمينة تدر دخلا وفيرا ، كثرة عظيمة فى المنطقة المجاورة لهذه الجبال ، ويلاحظ أن هذا الحيوان يبتهج فى أشد أيام البرد زهرياً ، كما أنه يوجد على الدوام فى الأماكن التى تجاور المنطقة الثلجية . ويمتد من فكه الأعلى نابان شديداً الطول مقوسان ، ومتجهان الى أسفل ، وكأنى بالمقصود بهما بنوع خاص مساعدة الحيوان على احتقار الجذور النباتية من الأرض التى يقال انها طعامه المعتاد ، ومع هذا فربما كانا سلاحى هجوم لديه . » وتقارب تلك الغزلان فى الارتفاع خنزيراً متوسط الحجم ، وتشابهه كثيراً فى شكل الجسم ، ولكنها مع ذلك أقرب الى الغزال الخنزيرى Hog-deer الهندي الصغير الذى يسمى كذلك ببلاد البنغال تأسيساً على نفس المشابهة . ولها رأس صغيرة ، ومؤخر غليظ ومستدير ، وهى بتراء بلا ذنب ، كما أن لها أطرافاً مفرطة النحافة . وأعجب ما يتفرد به هذا الحيوان ، هو نوع الشعر الذى يغطى بدنه ، وهو غزير غزارة هائلة ، وينمو منصبا فوق جسمه كله ، ممتداً ما بين بوصتين الى ثلاث بوصات ، ولا يرقد ويملس الا حين يكون قصيراً ، على الرأس والسيقان والأذنين . والشعر عند نبتة أبيض اللون ، وفى الوسط أسود ، وفى أطرافه بنى . والمسك افراز يتكون فى كيس صغير أو ورم ، يشبه الكيس الدهنى ويقع عند السرة ، ولا يظهر الا فى الذكور . انظر Embassy to Tibet (ص ٢٠٠) على أن هناك فى كتاب نشر بـكلكتا فى ١٧٩٨ ، يسمى « Oriental Miscellany » (مج ١ ص ١٢٩) ، وصفاً علمياً « لمسك التبت » من تأليف الدكتور فلمنج ، مع لوحة مأخوذة عن رسم مضبوط للحيوان ، رسمه المستر هوم . وانظر أيضاً صورة مطبوعة للرأس فى كتاب كركيا تريك المسمى Acc. of Nepaul

(٨) كانت الحالات التى استخدم فيها اللحم طعاماً ، موضع ملاحظة كثير من الكتاب العصريين .

(٩) ( الوارد فى النص اللاتينى المبكر هو خمسة عشر ) •

(١٠) الراجح أن هذا هو تدرج أرجوس (Phasianus argus) الذى يقال ، رغم أنه يقطن سومطرة ، يوجد أيضا بالجزء الشمالى من الصين •

(١١) تنتشر عبادة اللامات ، وهى وثنية ، بالمنطقة المجاورة « لسى قنج » ، فضلا عن جميع الأقاليم المتاخمة لولايتى شن سى وسى تشوين فى الغرب •

(١٢) ونص النسخة اللاتينية المبكرة هو  
« (Non habent barbam nisi in mento) »



## ● هوامش الفصل الثالث والخمسين

(١) لا يوجد أى أثر لأسماء اجريجايا ولا اججايا ولا اجيجايا أو اجريجيا ولا أسماء كالاتشا أو كالاكيا أو كولاتيا أو كاتيا بأية خريطة يمكن اتخاذها سندا يعتمد عليه . ومع هذا فللأسم الأول بعض المشابهة باسم أوجوريا وإيجوريا أو بلاد الإيغور ، وكما يشابه الثانى اسم المدينة التى يدعوها روبروكى كايلاك ويسمىها ب . جريز كياليس ، التى من المظنون أن موقعها يوجد فى الخريطة الملحقه بأول كتاب تاريخ تيموربك لشرىف الدين ، الذى ترجمه بقيه ده لأكرواه ، على مسافة قريبة الى الغرب من تورفان باسم يولدوز كيساليس . يقول روبروكى : « وجدنا هنا مدينة عظيمة ، بها سوق ومخزن عظيم للتجار الذين يختلفون اليها كل هذا الاقليم كان يسمى عادة أوجانم ، كما كان لأناسه لغتهم الخاصة ونوع كتابتهم المعين » . . . ويسمى أول نوع من هؤلاء الوثنيين الجوجور ، وهم الذين تتاخم أرضهم أرض أوجانم سالفه الذكر ، باتجاه شرقى داخل الجبال المذكورة . وكان لأهالى مدينة كايلاك سالفه الذكر أيداد : ( معابد أصنام ) ثلاثة ، وقد دخلت اثنين منهما لأشهد خرافاتهم الحمقاء » انظر Purchas مج ٣ ص ٢٠ .

(٢) كان استخدام وبر الجمل فى نسج القماش من أى نوع موضع الشك ( وذلك لأن من المعروف أن المادة المستخدمة فى صناعة الشيلان هى نوع معين من الغنم ) ، بيد أننا نعلم من الفنسستون أن « الأورموك ، وكذا قماش ناعم مصنوع من وبر الجمل ، وكمية من القطن ، وبعض جلود الحملان ، تستورد الى ( كاربول ) من اقليم بخارى » . ص ٢٩٥ .

## ● هوامش الفصل الرابع والخمسين

(١) أسلفنا اليك ذكر سهل تندوك ( ف ٤٥ ، ه ٤ ) ، وأوضحنا أنه كان معترك واقعة شهيرة ، هزم فيها جنكيز خان جيش أنج خان وقضى عليه ومع أن الاسم لم يرد في خريطة الجزويت ، فإن موقعها حلتقته خريطة البروفسور جوبل ، حيث أوردت أن رحي الواقعة دارت في المسافة الممتدة بين نهري تولاوكرتون ، اللذين يقع منبعاهما عند حوالى خط عرض ٤٨° أو ٤٩° . وفي نفس هذه الشقة وعلى الحد الشمالى للصحراء ، حلت الهزيمة بالكالدان أى أمير الأليوت على يد قسوات الامبراطور كانج هى ، فى عام ١٦٩٦ . وانى لأميل بقوة الى الاعتقاد ، بأن اسم تندوك ، الذى خلط بتيه ده لأكرواه بينه وبين تانجوت ، ان هو الا تانجوس ، كما نجد فى الخرائط ، قبائل التانجوس مقيمة بهذه المنطقة ، وبخاصة بين نهر عامور وبحيرة بايكال . حقا ان اديلنج يلاحظ ان أسماء الحيوانات المستأنسة فى لغتهم هى نفسها أسماءها عند المنغال ، التى تلقوها عنهم ، وهو برهان على قدم تجاورهم واختلاطهم .

### (٢) انظر التذييل ١ .

(٣) حدث فى عهد أسرة السلاجقة فى فارس ، الذى بدأ فى القرن الحادى عشر ، أن وطن المسلمون أنفسهم بأعداد غفيرة بمدينة قشغر ، ومنها انتشروا رويداً رويداً فى كل أرجاء بلاد التتار بصفتهم المألوفة كتجار . على أنهم ما لبثوا فى أثناء عهود أباطرة الصين المغول أو المنغال ، أن ظهوروا متقلدين وظائف وصلاحيات أعلى ، حيث كثيراً ما قادوا الجيوش ورأسوا المحاكم . وان رينودوت ليبذل كذا شسديدا لاثبات أن أبكر اتصال بينهم وبين ذلك القطر تم بطريق البحر ، هو أمر قد يصدق على العرب وان لم ينطبق على مسلمى فارس وخراسان .

(٤) اسم أرجون هذا يبدو أنه هو أورجون عند الجزويت وأرتشون فى خريطة بل . والنهر المسمى بهذا الاسم يجرى من خلال قسم بلاد التتار الوارد وصفه هنا ، فاذا التقى به نهر تولا أفرغا ماءيهما المتحددين

فى نهر السلنجا • وأنا لنجد على الضفة الشمالية الغربية لنهر  
الأرجوان ما يسمى فى العصر الحديث باسم الأورجا • أى مركز اللاما  
الأعظم للمنغال • وعلى نفس خط العرض تقريبا ، ولكن الى الشرق  
أكثر ببضع درجات ، يظهر أيضا نهر آخر أشد ضخامة ، يسمى فى  
خريطة الجزويت باسم أرجونه ، أو أرجون ، مكونا الحد الفاصل بين  
ممتلكات الصين والروسيا فى هذا الصقع ، من العالم ، وتقع على قرب  
منه مدينة أو بلدة تسمى أرجون سكوى •



## ● هوامش الفصل الخامس والخمسين

(١) ينبغي لنا الاعتراف بأن هذه الفقرة ، غير مفهومة كلية على صورتها المذكورة الآن ، وعلينا أن نفترض أن كلمات مؤلفنا أسوء فهمها وحرقت ، وربما ظن بعض الناس أنه من غير العملى اعسادة صياغتها ، بحيث يصير لها معنى مستقيم . ومن الجلى أن غرضه هو تبيان الفرق بين الجنسيتين اللذين يألف منهما رعايا أونج خان ، وأعنى بذلك المنغال والترك ، اللذين أصبح يطلق عليهما فيما بعد على وجه القصر ، اسم التتار : وهو تمييز أضفى عليه الغموض ، رغم التباين الملحوظ فى اللغات ، نتيجة لخليط القبائل المشمولة بحكم الحكومة نفسها . وذلك أنه ترتب على السمعة الممتازة التى اكتسبها الحكام التابعون مباشرة لجنكيز خان أو القبائل الأجنبية المساعدة المتنوعة ادعت الانتساب الى المنغال ( المغل ) ، بينما من الواضح كذلك أن الصينيين أطلقوا عليهم بغير تمييز اسم تاتا أو التتار . وربما جاز لنا أن نلاحظ بصدد اسمى ياجوج وماجوج ، الواردين فى التوراة ، أن المؤلف يتحدث عنهما هنا على اعتبار أن الأوربيين أطلقوهما خطأ على هذين الشعبين ، وليس على أنهما تسميتان معروفتان بهذه البلاد . والمفهوم لدى الغالبية العسامة من العرب والفرس ، الذين ينطقون الاسمين ياجوج وماجوج ، أنهما ينتسبان الى سكان المنطقة الجبلية الواقعة فى الجانب الشمالى الغربى لبحر قزوين ، أى الى الاسكيذيين القدماء ، الذين أقيم ضد غاراتهم للسلب والنهب ، منذ عهد سحيق استحكام دريند القوى ، فضلا عن خط الحصون الممتد منه وهى التى تعد من الخوارق . على أن هناك مواقع أخرى لهؤلاء القوم الجوالين ذوى الصفات المرعبة ، نسبها اليهم المؤلفون الشرقيون فى العصور الوسطى ، وفيهم من يجعلهم فى الجزء الشمالى من بلاد التتار .

(٢) بنيت عدة مدن ضخمة فى ذلك الجزء من بلاد التتار الذى يقع بين نهر كرلون وولاية بيه تشيه لى الصينية ، فى أثناء العهد المتعاقبة لأباطرة المغول فى الصين ، ولكنها دمرت فيما بعد ، عند طرد أسرة منج لتلك الأسرة المغولية ، وكان هدف منج هو - محو كل أثر لسلطان سادتهم السابقين .

(٣) لم نتمكن من العثور في خريطة الجزويت على اسم سنديسين أو سنديتشين ، الذي ورد في طبعة بال سنداكوى وفي الخلاصات الإيطالية سنداتوى وفي النسخة اللاتينية المبكرة سنداتوس ، ولعله ينبغي أن يكون سندی أو سنداتشيون ( والمقطع الأخير من الاسم يدل على كلمة مدينة ) ، لكن ربما كان اسما لأحد الأماكن التي دمرتها أسره منج ، كما هو وارد في الهامشة السابقة . وكذلك الشأن في ايديفا أو ايديفو أو ايدىكا فانها ضللت أبحاثي ، وإن كان ظرف وجود منجم فضة في جيرتها ربما ساعد على تحديد موقعها . والحق انه على وجه الجملة ، وعلى نحو خاص من وصف المصنوعات التي قيل انها مزهرة هناك فاني أميل الى الظن بأنه حدث نقل وتحريف للمكان في هذه الحالة بالذات ( وهو وضع سنشهدك فيما بعد على أمثلة منه لا شك فيها ) ، وإن الفقرة البائدة بالكلمات : « وأنت حين تسافر مسافة سبعة أيام مخترقا هذه الولاية » ، حتى ختام الفصل ، لا تربطها علاقة صحيحة لا بنا سبقها مما يتعلق بإقليم المغول ، ولا ما يعقبها ويتعلق بتشانجانور ، ولكن لابد انه يطلق على إقليم أكثر حضارة ، يقع أقرب الى تخوم الصين .

## ● هوامش الفصل السادس والخمسين

(١) من الجلى أن المقصود من سيانجانور أو تشانجانور عند راموسى ، وكيانيجا فيورم فى طبعة بال ، وكيانجامورم فى الطبعة اللاتينية الأقدم وكيانجامور فى مخطوطتى برلين والمتحف البريطانى ، ونشيداجنورم فى الخلاصات الايطالية ، هو تساهان نور أو البحيرة البيضاء الواردة بالمخرائط ، والمرجح أن جبال تشانجاي عند استراهلنبرج أو هانجاي ألين عند الجزويت ، تستمد تسميتها من نفس صفة «البياض» ، حقيقة كانت أو تخيلية . واللفظة الدالة على « أبيض » فى المعجم الكالموكتى - المغولى هى زاجان ولها نطق مرقق لتشاجان ) . كما أنها فى « معجم المانشيو للانجلز » . « Mancheu dict. of Langles » وردت « تشانجوين » .

(٢) ان هذا الطير الذى أطلق عليه اسم جرو فى النسخ الايطالية وجروس فى اللاتينية ، سميته الكركى Crane فى الترجمة الانجليزية ولكن يمكن الشك فى ان ما عناه وصف مؤلفنا هنا بالحرى مالك الحزين (ardea Heron) أو اللقلق (ciconia) Stork . يقول مترجم أبى الغازى أو المعلق عليه : « توجد كمية ضخمة من الطيور ذات جمال ممتاز فى السهول الفسيحة لبلاد التتار الكبرى ، والطائر الذى تكلم عنه هنا يمكن أن يكون نوعا من مالك الحزين ، الذى يوجد ببلاد المغول قرب حدود بلاد الصين ، وهو طائر ناصع البياض كله ، فيما عدا منقاره وجناحيه وذيله وكلها ذات لون أحمر أيضا نوعا من اللقلق » . انظر : Hist. Gén. des Tartares ص ٢٠٥ . وهذا هو طائر Crus Leucogeranus أو الكركى السيبيرى عند بنانت .

(٢) ورد بالنسخة اللاتينية المبكرة ما نصه :  
(Quarta generatio sunt parvae et habent ad aures pennas nigras.  
Quinta generatio est quia sunt omnes grigiae et maxime, et habent  
caput nigrum et album).

(٣) ينتقل الصيد بمقادير ضخمة وفى حالة متجمدة من بلاد التتار الى بكين اثناء الشتاء . انظر Lettres édif. مج ٢٢ ص ١١٧  
اصدار ١٧٨١ .

## ● هوامش الفصل السابع والخمسين

(١) ان شاندى وهى تشانج تو : ( شانجتو ) الواردة فى خريطة الجزويت ، والتي أوردها البروفسور كوبليه فى تهميشاته على « Observation Chronol » تأليف البروفسور جوبل ، يجرى الحديث عنها بوصفها : مدينة مخربة ، وهى تقع باقليم كارتشن ببلاد القتار . « على خط عرض ٢٢ر٥٤٠ . شمال شرقى بكين ( ص ١٩٧ ) . وفى عام ١٦٩١ تكلم عنها العلامة جريبون على هذا النحو : « كنا على ٤٠ فرسخا فى سهل يسمى سهل كاباي ، على ضفة نهر صغير يسمى شاندتو ، بنيت على امتداده فيما مضى مدينة شانتو ، وكان جميع أباطرة أسرة يوون يعقدون بها بلاطهم طوال الصيف . ولا تزال بقاياها قائمة يمكننا رؤيتها » . ( انظر دوهالد مج ٤ ص ٢٥٨ ) فان كانت المسافة بين شانجانور وهذا المكان مسيرة ثلاثة أيام فقط ، فان الأولى لا يمكن أن تكون على الجانب الشمالى من الصحراء ، بيد أن الأعداد مغلوطة غلطا شائنا بسبب عدم الدقة فى النقل ، كما أن الكسور العشرية حذفت فى هذه الحالة .

(٢) يقول بل متحدثا عن مقر الصيد للامبراطور : « ان هذه الغابة انما هى والحق يقال مكان بهيج ، وهى مزودة بأضرب بالغلة الكثرة من الصيد ، كما أنها عظيمة الاتساع كما يمكن تصور ذلك بسهولة من البيان الذى قدمته حول اليومين اللذين قضيناهما فى الصيد . وهى محوطة بأجمعها بسور مرتفع من الطوب » . انظر Travels مج ٢ ص ٨٤ .

(٣) ان لم يكن هذا الحيوان هو النمر الأبيض Ounce فانه هو فهد الصيد : Felis Jubata وهو أصغر كثيراً فى حجمه من النوع المعروف . وهو يسمى فى الهندوستان بالتشيتا ويستخدمه الأمراء الوطنيون فى صيد بقر الوحش . انظر بيانا عن « طريقة الصيد عند أمراء الهندوستان » . فى Asiatic Miscellany مج ٢ ص ٦٨ ، حيث يسمى هذا الحيوان التشيتار أو البانثار ( أى الفهد الصياد ) .



(٤) من المعلوم جيدا أن التنين ذا المخالب الخمسة ( بدلا من أربعة ، كما تصوره الصور العادية ) هو الرمز الامبراطورى ، ويشكل جزءا ظاهرا فى كل قطعة من الملابس أو قطعة أثاث أو زخرفة تتصل ببلاط الصدين بسبب .

(٥) طريقة التسقيف الموصوفة هنا معروفة تماما بالجزر الشرقية، وورد ذكرها فى الفقرة التالية المقتبسة من Hist. of Sumatra : « هناك نوع آخر من المنازل ، يشاد فى الأغلب الأعم لغرض مؤقت ، وسقفه مسطح وهو مسقف بطريقة جد غريبة وبسيطة وبارعة . فان الخيزرانات الضخمة المستقيمة تقطع فى أطوال تكفى للامتداد عبر البيت ، حتى اذا تم شقها بالضبط الى اثنين وأزيلت منها العقد رصت منها طبقة أولى فى نظام وثيق مع جعل الجوانب الباطنية أو المجوفة الى أعلى ، وبعد ذلك توضع طبقة ثانية من الخيزران مع جعل الجانب الخارجى أو المحدث الى أعلى فوق الأخريات بحيث تقع كل محدبة داخل القطعتين المقعرتين المتجاورتين مغطية بذلك حافتيهما ، حيث تعمل الأخيرة أى المقعرة كبرابخ أى ميازيب الماء الذى يقع على الطبقة الفوقانية أو المحدثبة » . ص ٥٨ الطبعة الثالثة .

✽ الطنب : الحبل الذى تشد به الخيمة ( المترجم ) .

(٦) احتفظ من بعده من الأباطرة بأفراس وفحول للاستيلاء على نفس هذا المعيار الضخم . ولا يبدو أن اللون الأبيض الآن على نفس أهميته التى كانت له عند أباطرة التتار المغوليين .

(٧) تختلف طريقة كتابة اسم هذه الأسرة ما بين بوريات وهورياتش وهوريث وأوراتى وأورارى . ولا شك أنها الأسرة القترية الرفيعة الشأن التى تحدث عنها مالكولم فى Hist. of Persia حيث يقول : « فى الأصل جاءت قبيلة بيات Byât القوية من بلاد التتار مع جنكيز خان . وطال مكثهم بآسيا الصغرى ، وحارب عدد منهم فى جيش بايزيد ضد تيمورلنك » . مج ٢ ص ٢١٨ . هـ .

(٨) ان لجوء أمراء أسرة جنكيز خان على الجملة الى فنون السحر ، لشئ يتجلى من بيانات تاريخية أخرى .

(٩) يبدو أن هؤلاء كانوا من الهنود أتباع اليوجا أو الجوسان الذين من المعلوم أنهم يسافرون الى التبت عن طريق كشمير ، ومنها كثيرا ما يختلفون الى الأصفاع الشمالية من بلاد التتار . وكان مظهرهم

العارى والقذر موضع الوصف فى كل العصور ، وكذلك شأن كفاراتهم غير العادية وما ينزلونه بأنفسهم من عذاب .

(١٠) ان الاتفاق بين البيان الوارد هنا عن هذه العادة الهمجية المتبريرة وبين ما يعرف عن شعب باطا Batta فى سومطرة ، الذى يلتهم أجسام المجرمين المحكوم عليهم بالاعدام لعجيب لافت للأنظار ، بحيث لا يكاد يداخلنا شك فى أن نقلا وتحريفا حدث فى ترتيب مذكرات مؤلفنا ، ترتب عليه أن ملحوظة حول أخلاق شعب باطا ، الذين أقام بين ظهرانيهم عدة أشهر ، نزع من مكانها الصحيح ، وأدخلت فى هذا الفصل ، الذى يدور حول متوحشين ذوى أوصاف مخالفة ، لم ينسب اليهم أكل لحوم البشر أى رحالة منذ زمانه .

(١١) وأنا لنجد فى الآيين الأكبرى لأبى الفضل ، تأكيدا لما قيل هنا أنه معنى مصطلح باكس أو باكشى أو بوكشى حسب النطق البنغالى للكلمة الفارسية ، وهى كلمة لم تزودنا بها المعاجم . فهو يقول تحت عنوان « مذهب البوذ » : « يطلق علماء الفرس والعرب على كهنة هذه الديانة اسم بوكشى ، كما أنهم يسمون باسم اللاما ببلاد التبت » . ( مج ٣ ص ١٥٧ ) . ويلاحظ كلايروت فى كتابه (Abhandlung über die Surache und Schrift der Virguren) أن لفظة باكشى من أصل مغولى وأنها هى الاسم الذى يطلق على حكماء (Gelehrten) البلاد الذين يسميهم الصينيون ستشو ( شو ) . ص ٣٧٧ هـ .

(١٢) ما يبدو أن ما ينسب هنا الى الشعوذة لم يكن الا حيلة بانتوميمية ( ايمائية ) ، ولا يمكن تنفيذها بوسيلة خارقة . وفى تصورنا أنه ربما كان الامبراطور ولعل معه أيضا بعض ذوى الثقة من خدامه ممن كان لهم شرف الجلوس قرب سائنته المرتفعة ، على بيئة من الأجهزة والآلات المستخدمة ، ولكن ربما خدع الضيوف بوجه عام ، بل حتى رجال البلاط أو الموظفون ( الماندارين ) من ذوى المرتبة الدنيا ، وهم الذين كان مؤلفنا بينهم فيما يرجح ، وتحول المسافة البعيدة بينهم وبين تبين الأسلاك التى كانت تحرك الأوانى ، حركة يخيل اليهم أنها تلقائية ، من أحد جوانب قاعة الوليمة الى آخر . وخير مثال يوضح الخيال العجيب لدى هؤلاء الأمراء التتر من أجل جعل شئ ابهم ( وهو أمر يعد دائما فى الدرجة الأولى من الأهمية ) يقدم اليهم بصورة حب فيها إثارة العجب ، ما ورد فى أسفار روبروكس ، الذى يصف جهازا آليا عجيبا أنشأه فلان فرنسى لكى يحمل الى القاعة أضربا متنوعة من المشروبات كانت تنبعث من أفواه أسود من الفضة .

(١٣) يقول تيرنر : يبدو أن نوعا خاصا من الأغنام يقطن هذا المناخ ويمتاز دائما تقريبا بالرؤوس والأرجل السوداء . وهى صغيرة الحجم ، وصوفها ناعم ، كما أن لحمها يكاد يكون الغذاء الحيوانى الوحيد الذى يؤكل ببلاد التبت وفى رأى أنه أجود أنواع الضأن فى العالم . ( ص ٣٠٢ ) . ويلاحظ هاملتون وجود نوع مماثل بسواحل بلاد اليمن يقول ان أغنامهم ناصعة البياض مع رؤوس فاحمة السوداء وأذان صغيرة ، وأجسام كبيرة - كما أن لحمها شهى . ( مج ١ ص ٥ ) .

(١٤) سبق الحديث عن الأديرة التسعة بولاية تانجوت . وهناك وصف خاص لها ورد فى Alphabetum Tibetanum وتعداد فى Miémoires concernant les Chinois مج ١٤ ص ٢١٩ ، تحت عنوان « مياو Miao أو المعابد الموجودة داخل اقليم سى فان » مبتدأ بمعبد بوتالا قرب مدينة لاسا . وكان هناك أيضا كثير من المعابد بالأجزاء الشمالية أكثر ببلاد التتار ، ولكن هذه خرب معظمها أثناء الحروب التى نشبت عند إبادة الأسرة المنغالية فى الصين ، ليس فقط بين الأسرة المالكة الجديدة وأنصار أسلافها ، بل أيضا بين القبائل المستقلة نفسها ، والتى تسمى بالايوت والكلكا . أما فيما يتعلق بعدد الأشخاص الذين تضمهم هذه المؤسسات الديرية ، فإنه يتوافق تماما والبيانات التى قدمها إلينا الرحالة العصريون . ويحدثنا ترنر أنه كان هناك ألفان وخمسمائة جيلونج ( أى راهب ) فى أحد الأديرة التى زارها .

(١٥) نتحدث جميع ما لدينا من بيانات عن هؤلاء القوم عن الاهتمام بوحدة زى الملابس بين الأشخاص المكرسين للقيام بأعباء الخدمات الدينية والحياة الديرية ، وفقا لطبقاتهم ومراتبهم المتعددة ، فضلا عن العناية باللونين ( الأصفر والأحمر ) اللذين ترتديهما الطائفتان الكبريان اللتان ينقسم إليهما اللامات . وتذكر مصادر ثقة مختلفة حلق رأس شعر المترهبين أيضا . يقول الآيين الأكبرى : « ان كهان هذا الدين ، يخلقون رؤوسهم ، ويرتدون أثوابا من الجلد ( وهى كما هو واضح غلطة فى لفظة الأصفر ) والقماش الأحمر » . ( مج ٣ ص ١٥٨ ) . ويلاحظ روبروكى ، وهو يصف بدوره تتار قره قورم : « ان جميع كهانهم يخلقون رؤوسهم ولحاهم تماما ، كما أنهم يرتدون أثوابا بلون الزعفران » انظر Purchas مج ٣ ص ٢١ .

(١٦) مع أنه يبدو أن كهان بوذا أو شكيامونى أو فو تفرض عليهم العزوبة عادة ، فإنها ليست شيئا عاما . يقول البروفسور ماجالهانز : « ان هذا الماندرين قال لى ، بعد أن تحرى المعلومات بعناية ، انه يوجد



بمدينة بكين وحدها والبلاط ١٠٦٦٨ راهبا غير متزوج ، وهم الذين نسميهم هوكسام ( هوشانج ) ، و ٥٠٢٢ متزوجا . « انظر : (Nouy. Relat. de la Chine) ص ٥٧ .

(١٧) يبدو أن المقصود من كلمة سنسيم أو سنسين هو المقطعان الفرديان الصينيان سنج سن ، ومعنى المقطع الأول منهما ( حسبما قال ده جنى ) الرهبان البوذيون أو كهان « فو » . ونحن نقرأ فى قاموس موريسون تحت مادة سانج . « كهان طائفة فوه الذين يسمون بالمثل شا - من : ويسمون أيضا شانج - جن . وهناك أسماء عديدة أخرى تطلق عليهم ، وأكثرها شيوعا هو هوشانج » . وبناء على ما لدينا من بيان عن غذائهم ، يجوز لنا أن نستنتج أنهم من متبغلى الهند ، وربما كانوا سانيازيين ، وهم قوم يمكن أن يعدوا من المنشقين بين شعب تنتشر فيه عقيدة بوذا .

(١٨) ان حالة الأردية القاتمة اللون ( وهى الأسود والسكابي nere e biave التى تلبسها هذه الطائفة ، تبدو أنها ذكرت بقصد تمييزهم من الهوشانج واللامات ، الذين يلبسون اللون الأصفر أو الأحمر دواما ، حسب الطائفة التى ينتمون اليها ، وتزيد من احتمال أنهم لم يكونوا بوذيين .

(١٩) ان التقشفات الصارمة ، التى يعرض لها اليوجيون والسنيازيون ، والجوزايتيون الهند أنفسهم ، وغير هذه من طوائف الزهاد ، سلفت الاشارة اليهما قبل . وكثيرا ما تقودهم حاجاتهم الى حدود الصين والى ولايات التتار النائية .



## التعريف بالمترجم

- ولد بالقاهرة وتخرج فى كلية المعلمين العليا الادبية ١٩٢٩ .
- اشتغل بالتدريس حتى رقى وكيلا لمدرسة مصر الجديدة الثانوية ١٩٥١ .
- فمديراً للمركز الرئيسى للتدريب بمنشية البكرى ١٩٦٣ .
- شغف بآداب العربية والانجليزية والفرنسية منذ حداثته ، انضم لعضوية لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ .
- حاز جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة ١٩٨١ ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى .

### بعض أعماله :

- عنى بنقل أمهات الكتب الانجليزية وبعض الفرنسية .

#### ١ - فى التاريخ :

معالم تاريخ الانسانية لويلز (١) فى أربعة أجزاء ،

- وصفوه « موجز تاريخ العالم » - « ويلز » .

#### ٢ - فى تاريخ الحضارات :

- حضارة الاسلام (٢) ( جرونى باوم ) ، الحضارة البيزنطية ( رنسيما ) ، الحضارة الهلينستية ( تارن ) ، ميلاد العصور الوسطى ( موص Moss ) ، اضمحلال العصور الوسطى ( هويتجا ) .
- الطفل من الخامسة الى العاشرة ( أرنولد جزل ) (٣) .
- رحلات ماركو بولو (٤) وغيرها ..... وغيرها .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) : أصدرت هيئة الكتاب طبعة جديدة من هذه الكتب الأربعة .

## اقرأ في هذه السلسلة

أحلام الاعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ي . رادونسكايا
نقطة مقابل نقطة	الديس هكسلي
الجغرافيا في مائة عام	ت . و . فريمان
الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا ( ٢ ج )	ر . ج . فوربس
الأرض الغامضة	ليسترديل راى
الرواية الانجليزية	والتر ألن
المشهد الى فن المسرح	لويس فارجاس
آلهة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشاشة	د . قدرى حفى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	اولج فولكف
الهوية القومية فى السيئما العربية	هاشم النحاس
مجموعات النقود	ديفيد وليم ماكديوال
الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق	عزيز الشنوان
عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى	د . محسن جاسم الموسوى
ديلان توماس	اشراف س . بى . كوكس
الانسان ذلك الانسان الفريد	جون لويس
الرواية الحديثة	جول ويست
المسرح المصرى المعاصر	د . عبد المعطى شعراوى
على محمود طه	أنور المعداوى
القوة النفسية للأهرام	بيل شول وأدنييت
فن الترجمة	د . صفاء خلوصى
تولستوى	رالف ثنى ماتلو
ستندال	فيكتور برومبير

رسائل وأحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
الجزء والكل ( معاومات فى مضمار	فيرنر هيونفبرج
الفيزياء الذرية )	
التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
فن الادب الروائى عند تولستوى	ف . ع . أدنيكوف
ادب الأطفال	هادى نعمان الهيتى
احمد حسن الزيات	د . نعمة رحيم العزاوى
اعلام العرب فى الكيمياء	د . فاضل أحمد الحلاشى
فكرة المسرح	جلال العشرى
الجحيم	هنرى باربوس
صنع القرار السياسى	السيد عليوة
التطور الحضارى للانسان	جاكوب برونوفسكى
هل نستطيع تعليم الاخلاق للأطفال ؟	د . روجر ستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا . سينسر
النحل والطب	د . ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء	
مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤	د . لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د . جون شندلر
الصحافة	بيير البير
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن	الدكتور غبريال وهبه
التشكيلى	
الادب الروسى قبل الثورة البلشفية	
وبعدها	د . رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د . محمد نعمان جلال
الفكر الاوروبى الحديث ( ٤ ج )	فرانكلين ل . باومر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى	شوكت الربيعى
١٨٨٥ - ١٩٨٥	
التنشئة الاسرية والابناء الصغار	د . محيى الدين أحمد حسين

تأليف : ج . دادلى اندرو

جوزيف كونراد

د . جوهان دروشنر

طائفة من العلماء الأمريكيين

د . السيد عليوة

د . مصطفى هنسانى

صبرى الفضل

فرانكلين ل . باومر

جابريل باير

انطونى دى كرسبى

دوايت سوين

زافيلسكى ف . س

ابراهيم القرضاوى

بيتر رداى

جوزيف داهموس

س . م بورا

د . عاصم محمد رزق

رونالد د . سمبسون

ونورمان د . اندرسون

د . انور هبى الملك

ولت وتيمان روستو

فريد . س . هيس

جون بوركهارت

الان كاسبيار

سامى عبد المعطى

فريد هويل

شاندرا يكراماسينج

حسين حلمى المهندس

روى روبرتسون

دوركاس ماكلينتوك

هاشم النحاس

نظريات الفيلم الكبرى

مختارات من الادب القصصى

الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد؟

حرب الفضاء

ادارة الصراعات الدولية

الميكروكمبيوتر

مختارات من الادب اليابانى

الفكر الاوروبى الحديث ٢ ج

تاريخ ملكية الاراضى فى مصر الحديثة

اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

كتابة السيناريو للسينما

الزمن وقياسه

اجهزة تكييف الهواء

الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى

سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى

التجربة اليونانية

مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية

العلم والطلاب والمدارس

الشارع المصرى والفكر

حوار حول التنمية الاقتصادية

تبسيط الكيمياء

العادات والتقاليد المصرية

التذوق السينمائى

التخطيط السياحى

البذور الكويتية

دراما الشاشة ( ٢ ج )

الهيرويين والايدين

صور افريقية

نجيب محفوظ على الشاشة



الكمبيوتر في مجالات الحياة  
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية  
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء  
الهندسة الوراثية  
تربية اسماك الزينة

كتب غيرت الفكر الانساني ( ٣ ج )  
الفلسفة وقضايا العصر ( ٣ ج )

الفكر التاريخي عند الاغريق  
قضايا وملاحم في الفن التشكيلي المعاصر  
التغذية في البلدان النامية  
بداية بلا نهاية  
الحرف والصناعات في مصر الاسلامية  
حوار حول النظامين الرئيسيين  
للكون  
الارهاب

اختاتون  
القبيلة الثالثة عشرة  
الفلسفة وقضايا العصر ( ج )  
الاساطير الاغريقية والرومانية  
تاريخ العلم والتكنولوجيا

التوافق النفسي  
الدليل الببليوجرافي  
لغة الصورة  
الثورة الاصلاحية في اليابان  
العالم الثالث غدا  
الانقراض الكبير

تاريخ النقود  
التحليل والتوزيع الاوركستراالى  
الشاهنامه ( ٢ ج )

الحياة الكريمة ( ٢ ج )  
قيام الدولة العثمانية

د . محمود ببرى طه  
بيتر لورى  
بوريس فيدوروفيتش سيرجيف  
ويليام بينز  
ديفيد الدرتون

احمد محمد الشنوانى  
جمعها : جون ر . بورر  
وملتون جولدوينجر  
ارنولد توينبى

د . هيايج رضا  
م . ه . كيج وآخرون  
جورج جاموف  
د . السيد طه ابو سيديرة

جاليليو جاليليه  
اريك موريس وآلان هو  
سيريل الدريد  
آرثر كيسيتلر  
جون بورر  
ب . كوملان  
ر . ج . فوريس

توماس ا . هاريس  
مجموعة من الباحثين  
روى ارمز  
ناجاي متشيو  
بول هاريسون  
ميكائيل اليبى ، جيمس لفلوك  
فيكتور مورجان  
اعداد محمد كمال اسماعيل  
أبو القاسم الفريدوسى  
بيرتون بورتر  
محمد فؤاد ، كوبريلى

عن النقد السينمائي الأمريكي	ادوارد ميرى
تراثيم زرادشت	اختيار / د - فيليب عطية
السينما العربية	اعداد / موني براج وآخرون
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص أخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هبزر
التاريخ من شتى جوانبه ( ٢ ج )	ستيفن اوزمنت
الحملة الصليبية الاولى	جوناثان ريلي سميث
التمثيل للسينما والتليفزيون	توني بار
العثمانيون فى اوربا	بول كولنر
صناع الخلود	موريس بير براير
الكنائس القبطية القديمة فى مصر (جزآن) ألفريد ج - بتلر	رودريجو فارتيماس
رحلات فارتيماس	فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ( ٢ ج )	اختيار / د - رفيق الصبان
فى النقد السينمائي الفرنسى	بيتر نيكوللز
السينما الخيالية	برتراند راصل
السلطة والفرد	بينارد دودج
الأزهر فى الف عام	ريتشارد شاختر
رواب الفلسفة الحديثة	ناصر خسرو علوى
سفر نامه	نفتالى لويس
مصر الرومانية	جاك كرايس جونيور
كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر	هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية	اختيار / صبرى الفضل
مختارات من الآداب الآسيوية	

أحمد محمد الشنواني	كتب غيرت الفكر الانساني ( ٣ ج )
اسحق عظيموف	الشموس المتفجرة
لوريتو تود	مدخل الى علم اللغة
اعداد / سوريال عبد الملك	حديث النهر
د . ابرار كريم الله	من هم التتار
اعداد / جابر محمد الجزار	ماستريخت
هـ . ج . ولز	معالم تاريخ الانسانية ٤ ج
جوستاف جرونيياوم	حضارة الاسلام
ستيفن رانسيمان	الحمالات الصليبية
أرنولد جزل	الطفل ٢ ج
بادي اونيمود	افريقيا الطريق الآخر
برنسلو مالمينوفسكى	السحر والعلم والدين
جلال عبد الفتاح	الكون . ذلك المجهول
محمد زينهم	تكنولوجيا فن الزجاج
مارتن فان كريفلد	حرب المستقبل
سوندارى	الفلسفة الجوهرية
فرانسيس ج . برجين	الاعلام التطبيقي
جى كارفيل	تبسيط المفاهيم الهندسية
الفين توفلر	تحول السلطة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٩٤٤٤ / ١٩٩٥

---

ISBN — 977 — 01 — 4559 — 9





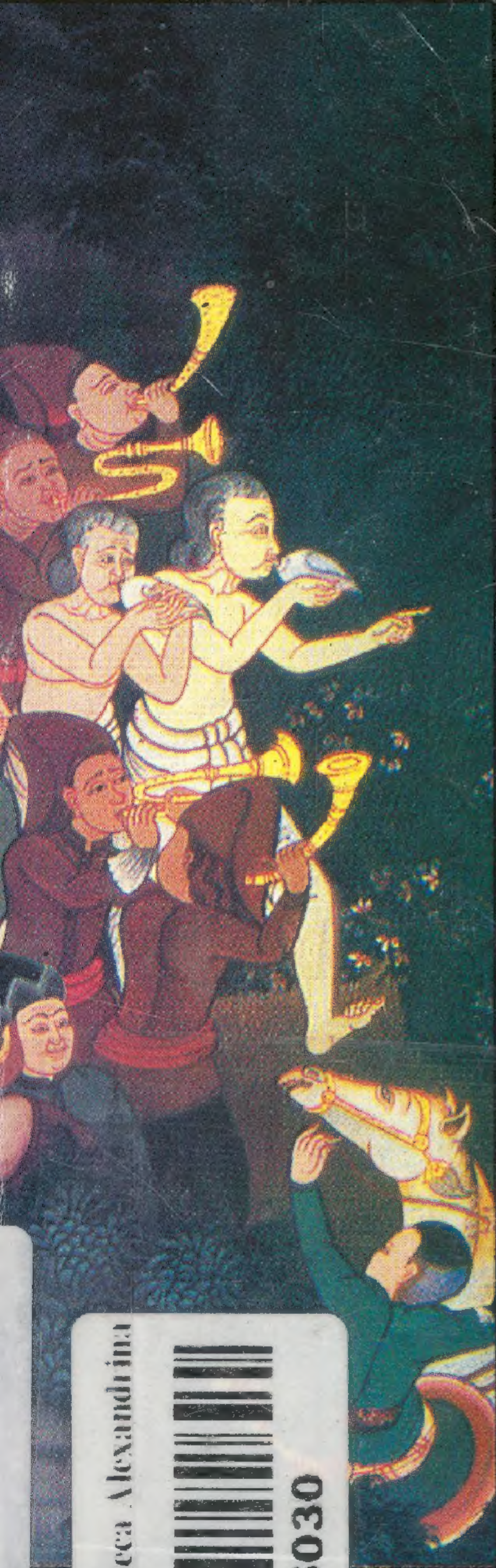


في عام ١٢٧١ خرج ماركوبولو، وكان آنذاك في السابعة عشر من عمره، مع أبيه وعمه في رحلة عجيبة انطلقت بهم من مدينة البندقية في ايطاليا وحملتهم عبر قفار وجبال وسهول آسيا الشاسعة حتي أرض الصين في عصر الأمبراطور المغولي العظيم قبلاي خان الذي احتفي بهم وضمهم إلي حاشيته فعاشوا هناك سنوات طويلة...

وقد دون ماركوبولو اخبار رحلته هذه في ذلك الكتاب الذي يعد أشهر وأهم كتب الرحلات قاطبة، فهو سجل في نادر لحياة الكثير من الشعوب والحضارات القديمة التي إندثرت اليوم ولم تبق منها سوى تلك الصور التي التقطها ماركوبولو بقلمه عندها، فهو علي طرافته مرجع علمي عظيم عن تاريخ آسيا والصين في العصور الوسطى..

وقد ترجم هذا الكتاب إلي العربية مترجم قدير هو الأستاذ عبدالعزيز توفيق جويد ضمن إسهاماته المتعددة في إثراء المكتبة العربية بالنفيس والهام من الكتب..

وفي الجزء الأول من الرحلة نتنقل مع رحالتنا عبر أراضي فارس وأرمينيا وتركستان و ممالك التتار...



Bibliotheca Alexandrina



0345030

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب